تقديم إلى مقام إمام العصر والزمان المهدى المنتظر﴿عليه السّلام﴾

مهتز و زلق كالهُلام

(مدخل على نمط حياتنا)

إسماعيل شفيعي سروستاني

كَافَّةُ حُقُوق الطّبع وَ النَّشرِ وَ التَرجَمَةُ مَحفُوظَة لِلنَّاشِر

«موعود العصر(عج)»

لصاحبه

اسماعيل شفيعي سروستاني

ترجمة:

كاظم شماعيان

الطّبعَة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

ص ب ٨٣٤٧ ـ ١٤١٥٥

هاتف: ٨٨٩٤١٣٣٧ - ٠٢١ (٠٠٩٨)

٨٨٩٤١٢٣٥

فاكس: ٨٨٩٤١٤٠٢

الفهرس

متطلبات الهلاک ۶
ألم الإفتقاد للمعلم ۲۶
عاقبة الفعل الردئ، رديئة ۴۷
فی عصر وصاية التقنية ۵۷
العلمانية قربة إلىالله ۶۸
دعوة (الاتصال)، استدعاء الشياطين ۷۹
مهتز و زلق كالهُلام ۱۴۸
الامير المسجون ۲۰۳
الزيارة الحمراء ۲۱۸

متطلبات الهلاک

قلما نجد ناشئا أو شابا وحتى طفلا في الإبتدائية، لم يسمع ولو مرة واحدة على الأقل بقصة قوم نوح وسفينة نوح، ناهيك عن الكبار. إنهم يعرفون القصة بالكامل. و ذكر أن النبي نوح(ع) عمّر لاكثر من تسعمائة عام وأنذر قومه العنيدين و اللجوجين جيلا بعد جيل ودعاهم إلى الفلاح و النجاة. و بالتالي فان طوفانا هائلا أتى على الجاحدين للجميل والناكدين للنعمة. و بلغ الحد بهؤلاء القوم أنهم كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم لكي لايسمعوا رسالة ودعوة نبي الله، و يفرون من حوله. ويقول القرآن الكريم على لسان نوح(ع):

«وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۞ مَّا لَكُمْ لاتَرْجُونَ للهِ وَ قَارًا.»[1]

آمل ألا يتصور القارئ الكريم أنني أحمل رسالة لنفسي أو رأيت مناما وأريد أن أجمع أنصارا ومريدين، بل لدي كلام آخر، إن صبرتم سآتي على ذكره.

---

١. سورة نوح، الآيات ٧ – ١٣.

لقد كان النبي نوح(ع) يذكّر الناس بنعم الله، ومن أن الذنوب يمكن أن تمنع الفيض الإلهي، لذلك كان يعتبر التوبة لهم سببا لزيادة النعمة و بقائها مثل تساقط الأمطار و نضارة وخضرة البساتين و وفرة المال.

لكن ما كان أحد ليصغي ويسمع! إنهم كانوا يعاندون و يجلعون أيديهم في آذانهم حتى لايسمعوا شيئا وكانوا يستغشون ثيابهم و يتجنبون النبي نوح(ع). ولذلك حدث ما لميكن يجب أن يحدث.

وما كان إلا أن رفع نوح المنكسر القلب من طغيان قومه، يديه إلى السماء مبتهلا:

ربى! إن هؤلاء القوم لا يهتدون بكلامى وموعظتى، وماعدا هؤلاء القلة من الناس فليس هناك من يطيعنى. ربى! إن هؤلاء لا يصغون و لايتعظون باخبار الماضى. و قد طغت عليهم الغفلة. ارسل عذابا لانهم يستحقون العذاب و لا عذاب سوى عذابک لتوعيتهم.

و وعدالله، نوحا أن يرسل عذابا يقضي على الظالمين، عسى أن يتفكر الآخرون و يتعظون.

إن آيات كتاب الله، لاتروي قصة وحكاية فسحب. بل هو كتاب الذكر، يذكّر الإنسان في سياق القصة. إن الذكر القرآني هو ذكر سريان السنن والقوانين الثابتة في الوجود، وتبيان لمجمل علاقات ومناسبات وساحات الحياة الجلية والخفية. ولذلك أشير مرارا إلى عبارة «عبرة لأولى الألباب.» إن اصحاب العقل والحصافة هم أولئك الذين تذكروا واتعظوا، هم الذين أدركوا أن هذه السنن والقوانين تفعل فعلتها في الكون شاؤوا أم أبوا. فعلى سبيل المثال، عندما تضع إبريقا مليئا بالماء على النار، فان مفعول حرارة النار سيجعل الماء في داخل الأبريق، يغلي.

إنهم كانوا يظنون إن لم يسمعوا دعوة النبي نوح(ع) ويمارسون العناد واللجاج، فانهم سيواصلون حياة مستقرة ومريحة، متجاهلين أنهم يقتربون لحظة بلحظة من درجة الغليان أو بالأحرى نزول الحكم والقضاء الإلهي المتمثل بالغضب والعذاب السماوي.

وعندما آن الأوان، لم تنفعهم صرخات «يا ويلينا أنا كنا ظالمين.»

وبعدها أصبح قوم نوح يقفون بفعل عنادهم على منحدر شديد النزول وهو أحد متطلبات الهلاك. إن جعل الإصبع في الأذن لمنع سماع إنذار نوح وتذكاره، كان بسبب هذا الإقتضاء. وكأنهم كانوا قد دخلوا أجواء برزخية خاصة سدّ عليهم طريق العودة. إنهم كانوا قد أغلقوا طريق العودة على أنفسهم، و أعدوا أبدانهم وأرواحهم في مناخ ما بين الفلاح والتعاسة، لتقبل سياط العذاب والتماشي مع تقليد كانوا يعرفون بسبب لجاجتهم أنه آت.

إن مقتضيات الهلاك، كانت تنطوي على نوع من الجهوزية لتطبيق القضاء والحكم السماوي الذي لم يملك أحد الحد من تنفيذه. إنهم دخلوا تدريجيا في قدر محدد يحمل في طياته هذا الحكم والقضاء.

وانصب جل جهد النبي نوح(ع) لتغيير مصير قومه. فهم الذين كانوا يقررون مصيرهم، و أن النبي نوح(ع) و بسبب مقام النبوة، كان على علم بخواتيم القوم و نزول الحكم والقضاء الإلهي (العذاب) ومن ثم السير باتجاه المصير الذي اختاروه لانفسهم والتذكير المستمر بهدف تحذيرهم.

و «العبرة» التي يأتي أهل الحكمة على ذكرها، تندرج في هذا السياق. إن كل شخص وكل قوم إن سلكوا مسارا محددا يؤدي في السير التكويني إلى تنفيذ حكم العذاب، فانهم سيجربونه شاؤوا أم أبوا، حتى وإن كانوا يجهلون عاقبته بسبب انعدام الحكمة و الدراية.

إن التذكير والتحذير اللذين أطلقهما الأنبياء عن طريق تبيان مصير الأمم شاهد على مواجهة الحكم والقضاء الإلهي مسبقا، وذلك في مرآة ما مرّ على الأمم السالفة. إن السنن الإلهية ثابتة لا تبديل فيها أكانت بشأن قوم عاد وثمود أو قوم لوط ونوح، إن ما يطلق عليه من أن التاريخ يعيد نفسه يعكس حتمية فعل السنن التي تقع في الساحات المختلفة في ظرف وقدر محددين.

وآمل أنه عندما يقال بان قوم نوح كانوا يبحثون عن مقتضيات الهلاك لا يُظن بان قسرا وإكراها حدثا. إنهم كانوا قد تمسكوا بحبل وسلكوا طريقا كان يفضي إلى التعاسة والهلاك. وكأنهم لم يكونوا يرغبون بان يسمعوا كلاما معارضا لما كانوا يسيرون عليه. إن الإمام الصادق(ع) قدم تعريفا مذهلا عن السعادة والشقاء، اذ يقول **«السعادة سبب خير تمسّک به السعيد فيجره إلى النجاة، والشقاوة سبب خذلان تمسک به الشقی فجرّه إلى الهلكة، وكلٌّ بعلم الله تعالى.»**

وذات يوم قلت لشاب: إن الانسان يعتاد على كل ما يكرره. وكل ما اعتاد عليه يتحول إلى أخلاقه، وكل ما يتحول إلى أخلاق، يحدد قدره.

وعندما يعتاد الانسان على شئ ما، يتمسك به لدرجة أنه يعجز عن الإقلاع عنه، ويتحول إلى أخلاق ثانوية له. إن العمل المتكرر والخلق الذي يتحصل منه، يصبحا ملكة له، وهذا يقرر مصيره وعاقبته.

ويقال بان الإنسان يموت بنفس الأسلوب الذي يعيش فيه ويُحشر بنفس الأسلوب الذي مات فيه.

إن الدنيا والقبر والقيامة هي بنفس الإمتداد. وعالم القبر هو البرزخ. والبرزخ هو مكان ظهور كل ما اعتدنا عليه وتحول إلى ملكة لدينا. إن الانسان يصنع في الحقيقة في هذه الدنيا برزخه، ويبلور قيامته ويصنع ذاته في النهاية، أكانت السعادة أو الشقاء.

إن السعادة والشقاء يجسدان الكمالات الأخلاقية أو الرذائل في وجود الانسان. إن ظهور وتجلي الصفات هو بمثابة ترسخ الصفات الحميدة أو المذمومة في النفس.

وعندما تترسخ الكمالات أو المفاسد في نفس الانسان، يصبح منها. فان كان أحد ثاقب البصر والبصيرة، وينظر إلى الناس، فانه يراهم في هيئة ولون ورائحة الكمالات الأخلاقية أو الرذائل الأخلاقية قبل أن يراهم على صورة وهيئة انسان. وحتى أنه يتسم بلونهم ورائحتهم.

ويمكن من هذه الآية أو آيات مماثلة:

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلّ شَيْءٍ حَيّ»[١]

الخروج بانطباعات واستنتاجات مختلفة. ويمكن تقديم تعبير شاعري. إن نشأة الكون والوجود من الماء أو أن الوجود قائم على حقيقة الماء. وكل ما ينتسب إلى الماء ينتسب إلى الحياة والنضارة وكل من ينقطع وينفصل عن الماء فانه يموت ويزول ويصبح صحراء قاحلة.

و البحر كله ماء، وكل السحب والأمطار من ماء البحر، ونرى في ظاهر البحر بانه لا يحتمل التلوث والجيفة. إن اقتضاء الماء، هو الطهر والنظافة والتطهير و التنظيف. لذلك فانه مضاد للقذارة وينبذها عنه. وطالما كان السمك يملك حياتا، فانه يعيش في الماء. وما إن يتحول إلى ميتة، فانه يُقذف إلى خارج البحر حسب السنة و القاعدة الثابتة للبحر.

إن الحياة الحقيقية سواء في الدنيا أو البرزخ والقيامة، هي كتجربة الماء. مثل التحول إلى الماء والتطهر والتطهير. ويرى الإمام(ع) بان السعادة هي تجربة الخير و السير نحو النجاة، أي النجاة من الهلاك والميتة، أي أن الغطس في الماء والسباحة

١. سورة الأنبياء (٢١)، الآية ٣٠.

في البحر هي السعادة والخير. إن الكون مبني على الخير. ولا مكان للشر والدناءة في خالق الكون. إنه الخير المطلق. ومثلما أن الماء يطهر النجاسات، فان الإنتساب إلى حضرة الحق والدين يعني تجربة الكمالات الأخلاقية، يطهر الانسان كالماء. و تقول رسائل الأحكام الدينية أن إعتناق الاسلام هو مُطهِّر. مثل الماء. إلا أن الماء الظاهر يُزيل القذارة الظاهرة ويُطهر الجسم لكن الماء الحقيقي الذي هو التدين، يزيل القذارة الباطنية. إن الكفر والشرك النفاق هي القذارة الباطنية تزول عن الانسان بواسطة ماء الدين والتدين الطاهر، شريطة حفظ القاعدة.

إن الوجود المطلق واللامتناهي لله هو الخير المحض وهو ينبوع جميع الخيرات و البركات.

و لايصدر منه وهو الكمال المحض، إلا الخير.

و روح الإنسان تنتسب إلى هذا الخير المحض. وألم يقل سبحانه وتعالى «ونفخت فيه من روحى.» فالانسان يحمل هذه الروح. لذلك فان روح الانسان طالبة للخير والكمال. إنه لا يطلب إلا الخير. وطالما بقيت فطرة الانسان سليمة لم تعبث بها أي يد، فهي كالبحر تسير في الطهر وتبعد القذارات عنها. إن الانسان لا يحب إطلاقا النقص. ويمكن تعريف الانسان بانه كائن يبحث عن الكمال. إن قصة مجئ الأنسان إلى الأرض، هي قصة حياته وموته بهدف البحث عن الكمال. إن الإنسان يدعو و يطلب كمال الجمال وكمال القوة وكمال السلامة وكمال العلم و.... إن عشق الانسان هو عشق الكمالات وكراهيته هي كراهية النقص والعيب والقبح والحقارة. لذلك قلت بانه كالبحر. مثل الماء وطالب للماء.

وهل شاهدتم أحدا يعشق الكائن الناقص والعاري عن الكمال والجمال؟

لنعود إلى قصة نوح(ع). إنهم كانوا مدمنين على الشرّ والعدم والقذارة وعبادة الأوثان، وهي ضد الكمال وطلب الكمال، وكانوا في الوقت ذاته يسمعون دعوات من النبي نوح(ع) متناغمة مع الذات الطبيعية وفطرة الانسان في الظروف الطبيعية.

فكانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا. إنهم وبسبب إصابتهم بالمرض المزمن المتمثل بالكفر والشرك، كانوا قد خسروا الرغبة والميل لطلب الطعام الطاهر. كالمريض الذي يصبح العسل مرا في فمه.

لقد كان كلام النبي نوح(ع) كالعسل المصفى، لكنهم وفي خضم مرضهم المزمن كانوا يفهمون العسل مرا. ولم يطيقوا وكانوا يطلبون الموت والفناء. إن الهلاك هو بنوعية تلك الرذائل الدنيئة، والشرك والنفاق، من نوعية ذلك الشئ الذي تحول إلى صفة راسخة في نفس قوم نوح. لذلك فانهم كانوا يطالبون بمقتضيات الهلاك.

إن هذا الهلاك هو ليس بمثابة تجربة الموت والعودة إلى الله الذي هو الخير المطلق. وليس أيضا من نوع الفناء في الله لدى أهل المعرفة والسير والسلوك العرفاني، بل هو الإنخراط في العدم. الإنخراط في الفناء والزوال، وإلا فان الرحيل والشهادة والفناء في الله هي الحياة الخالدة بعينها، مثلما أن تنضم قطرة إلى البحر، تصبح من نوع البحر وتنال الخلود الدائم. وإن لم تلتحق بالبحر فانها تتبخر بفعل الحرارة و تزول.

إن من ينتسب في الدنيا إلى الشرّ والرذالة، فانه يذهب في عوالم البرزخ والقيامة إلى جهنم بالضرورة لانها الشرّ المحض، على عكس الجنة التي هي الخير المحض.

و بعبارة أخرى وحسب الآيات القرآنية، فان الجماعة التي تتجاهل الأوامر الإلهية وتتجه نحو تكذيب حقيقة هذه الآيات والأحكام، فانها تبتلى بالإستدراج. ويقول القرآن الكريم:

«وَالّذِينَ كَذّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمُونَ.»[۱]

إن الإستدراج هو السير التدريجي وخطوة فخطوة نحو العذاب الإلهي. وهذا العقاب لا يحدث بغتة، بل يسير مرحلة بمرحلة إلى أن يُصاب المرء بعمق البلاء والعقاب.

إن الله تعالى يُمهل عبده من منطلق الشفقة من أجل أن يتنبه ويتذكر ويصحو و بعدها يمسك به بحيث أن العبد لا يعرف من أين حصل هذا له!

«وَأُمْلِي لَهُمْ إِنّ كَيْدِي مَتِينٌ.»[۲]

و طالما كانت أبواب النعمة مفتوحة وأزيل الفقر والفاقة وتلونت الموائد وكثرت، فان الانسان يلتبس عليه الأمر وهو في غفلة تامة، فيكفر ويجحد بالنعمة و ينكر الجميل وينكث العهد ويطغى ويمضي هكذا خطوة خطوة. فان تنبه في منتصف الطريق و تيقظ فان هذه النعمة تصبح سببا لفلاحه ونجاته، وبخلاف ذلك يُصاب بالإستدراج و يسلك الطريق الذي يوصله إلى العذاب.

إن سنن الله وقوانينه في الوجود عديدة جدا. والإستدراج هو من سننه أيضا. وهو يشبه في الحقيقة غليان الماء في مائة درجة مئوية، فان زالت النار، يبقى الماء باردا وفيما عدا ذلك فان الماء يسخن شيئا فشيئا ويغلي فجأة في نقطة ما.

إن غليان الصبر والمهلة الإلهية و وقوع العذاب سنة ثابتة تصاب بها كل الأمم و الأشخاص عندما يسلكون مسارها.

فعلى الأشخاص والأمم التي تفتح لهم أبواب النعمة وتتدفق النعمة تلو النعمة عليهم و يحصل لهم إنفراج تلو انفراج وتجري المياه في جدوالهم و يزداد الخير و البركة على موائدهم، أن يخافوا.

---

۱. سورة الأعراف (۷)، الآية ۱۸۲.
۲. المصدر السابق.

و جاء عن الإمام الصادق(ع) في تفسير الآية:

«وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ» أنه قال «هو العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار عن ذلك الذنب.»[١]

و ورد عن الإمام الصادق(ع) في كتاب الكافي:

إن اللّه إذا أراد بعبد خيرا فأذنب ذنبا، أتبعه بنقمة ويذكره الإستغفار، وإذا أراد بعبد شرا فأذنب ذنبا أتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار, ويتمادى بها، وهو قوله عزوجل [سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ] بالنعم عند المعاصى.[٢]

ولاتبقى ذريعة، فهناك الشواهد والأمثلة تنهال علينا صباح مساء من أجل أن نتحلى بالوعي والتيقظ. وبالنسبة للمصاب بالغفلة، فان أي حادث ومشاهدة أي مصيبة بجانب إنذارات و تحذيرات و نصائح أولى الألباب والوعظ، هو بمثابة تذكير للخروج من الغفلة ومن أجل تذكر الصاحب الرئيسي للنعمة وتقديم الشكر والتقدير لحضرة الحق ومن أجل التواضع والتذلل، لكن عندما يغلق هذا العاقل صاحب الإختيار عينيه وأذنيه ولا يتذكر آيات ونعمات الله، ويمشي في الأرض مغرورا مزهوا ويستهزئ بعبادالله والمؤمنين فانه يفقد الموهبة على تلقي العناية ويسير بالعكس في طريق تزول عنه الرعاية والعناية ويُصاب بالعذاب. إن هذه هي السنة التي تحدثت عنها.

و كم هم كثيرون أصحاب الجاه والشهرة والجلال ممن يغتبطهم الناس، لكنهم يسيرون في المنحدر الشديد للإستدراج إلى العذاب والبلاء! وهل يتحسر عليهم أحد إثناء نزول العذاب؟

---

١. أصول الكافي.
٢. الدرر المنثور، ج ٣، ص ١٤٩.

و يقول الله تعالى في «سورة الانعام، الآية ٤٤»:

«فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ.»

إن ابتلاء أصحاب الثروة والمكنة والسلطة بالفسق والفجور وترك التكليف والواجب، هو ابتلاء بالعذاب الحتمي الذي سينزل. إن المهلة الممنوحة تزيد فقط من كم و كيف العذاب المُنزل عليهم.

- إنهم يستهزئون بالناس الذين يدعون إلى الحق و الحقيقة، وكلما وقعوا أكثر في شرك الإستدراج والرفاهية والنعمة، كلما أصبحوا يستهزئون أكثر باهل الحق و الحقيقة، إنهم أناس أصبح الاستهزاء بالحق وأهل الحقيقة امرا عاديا لديهم و يستهزئون بكل حق؛[١]

- كلما انغمسوا أكثر في شرك الإستدراج، كلما استهزاوا أكثر بالاخرين و يذهبون إلى أبعد من ذلك حتى أنهم يستهزئون بالأنبياء ناهيك عن الناس العاديين من المؤمنين؛[٢]

- إن أصحاب الاستدراج لايُصابون بالضلال فقط؛[٣]

- بل أن الإثم والجريمة وتجاوز القوانين الشرعية و العرفية هو أمر عادي بالنسبة لهؤلاء و هم غير متقيدين بالقوانين ويسعون من خلال الإلتفاف على القوانين أو انتهاكها، الوصول إلى المزيد من الرفاهية و الرخاء؛[٤]

لذلك فانهم يمارسون الظلم والطغيان ضد الآخرين من دون أي قيود و ينهبون أموالهم و مصادرهم.

---

١. سورة البقرة (٢)، الآيتان ١٤ و ١٥.
٢. سورة الرعد (١٣)، الآية ٣٢.
٣. سورة مريم (١٩)، الآية ٧٥.
٤. سورة الأنعام، الآيات ١٢٣، ١٢٤؛ سورة الاسراء (١٧)، الآية ١٦.

ونقل عن النبي الاكرم(ص):

«أن الله تعالى أوحى إلى داود ما مضمونه يا داود إخش الله، وإخش ذلک اليوم الذى تنهال فيه رحمتى عليک من كل موقع، لكن لا يجب أن تفعل ما يؤدى إلى انقطاع رحمتى عنک.»

و ربما أن هذه الروايات والآيات تمثل ردا على تساؤلات بعض الأعزة الذين عندما يشاهدون دولة أو جماعة غارقة في الذنب وغارقة في الثروة و المكنة، يتوجهون إلى السماء ويشكون، أو عندما يحصل لهم مكروه أو فشل، يصرخون أنه لماذا حصل لنا هذا المكروه.

وقد تحدثت عن نقاط لطيفة لكنها خفية ومستترة، تنخر ببطء ومن دون ضجيج وكالسوسة بالأسس الأخلاقية للمجتمعات وتدمرها وتجعلها جاهزة للهلاك.

إن الدحرجة والإبعاد عن الذات، هو وجه للإسقاط، لكنه أظرف من الإسقاط. وجه من الإسقاط لا يتسم بالجدل والجلبة، يظهر نفسه بشكل مذهل في المجتمعات الدينية. و في هكذا مجتمعات يتحول الكل إلى مقدمي نصائح للناس من علم أو دون علم من دون أن يطبقوا هذه النصائح على أنفسهم.

ففي عصرنا الحديث، يصبح العارف والعامي، ناصحين ويتحول المطرب والعازف ومقدم الإذاعة والتفزيون والأب والأم والصغير والكبير والكل ناصحين للناس صباحا مساء ويدعونهم إلى الفلاح والنجاة، من دون أن يوجهوا تلك النصائح ولو بنسبة قليلة إلى أنفسهم، أو ان يتصفوا ويتأدبوا بها.

واعتدنا أن نرسل أول جملة جميلة تنطوي على نصيحة إلى أحدنا الآخر على هيئة رسالة نصية. ونقدم النصائح في كل فرصة ومكان ونقدم في كل منبر الجملات الأخلاقية للناس، لكننا وكما يقال عندما نختلي مع أنفسنا نفعل غير ذلك.

و من هنا وبفعل التعامل مع الواعظين الذين لا يطبقون هم وعظهم على أنفسهم و الناصحين الذين لا تؤثر فيهم نصيحتهم، يصاب المرء بنوع من الحصانة أمام النصيحة والناصحين ولا ينفذ فيه كلامهم. وكان هذا قصدي من دحرجة ودفع الكلام نحو الاخرين. و نصبح أشبه بالبطة الجميلة التي إن غطست في أعماق الماء لن تبتل.

وألا تستغربوا من كل هذه الجلبة والضوضاء الصادرة من الناصحين وعدم نفوذ كلامهم في قلوب الآخرين؟! وليست الكلمات والألفاظ هي التي تنفذ إلى القلوب و الأذهان. فالكلمات والألفاظ تشبه الوعاء الذي يسقي صاحبه بما فيه. وكما يقال إن الإناء ينضح بما فيه. فعندما تكون روح الناصح خاوية من حقيقة النصحية والذكر، فانه ينقل أثناء النصح، عتمة باطنه إلى المستمع لا نور النصيحة. وكم عدد الناصحين الذين يقول حافظ الشيرازي ينصبون فخا من النصيحة لكي يصطادوا طيرا ويستيفدوا منه!

إن تكرار وتمرين الخطأ والعصيان، في سير زاحف كالسرطان، يزيل كل قابليات الحياة الطيبة ويمهد لبروز الفظاظة فيّ وفينا.

و يمكن تزيين جدران المدينة بالوف اللوحات الملونة التي تحمل نصائح ودفع الوف الناصحين لتقديم النصح للناس من الصباح إلى المساء، لكن إن توجه الناس إلى الناصح بالقول: إذهب وعالج نفسك أيها الناصح! فان أي نصيحة وموعظة لا تؤثر على متلقي النصيحة والوعظ.

إن عمل الناصح بالنصيحة وجهوزية المرء لتلقي النصيحة يشكلان مبدئين مهمين في عملية التأثير وإلا يجب القول بان: نصيحة العالم أجمع تمر كالريح عبر أذني.

وإن زالت القابلية على الإصغاء فان ضربا من انعدام الأهلية والصلاحية سيحدث إذ يقول سعدي أنها تسبب بفقدان الوعظ والنصيحة لأثرهما. وهو يقول بهذا الشأن: إن الفاقد للصلاحية والأهلية كحبة الجوز التي تتدحرج على القبة.

و طبعا فان علماء التربية وعلم النفس الحديث لا يطيقان هذا الكلام.

وثمة أسباب وعوامل كثيرة تؤدي إلى ظهور عدم الأهلية والصلاحية بين الناس و تنتزع القابلية من الانسان.

وتنقل عن بهلول لطائف وظرائف تستحق الإصغاء. بما في ذلك:

ذات يوم خرج جنيد البغدادي مع أنصاره من بغداد بقصد السفر. وسأل عن بهلول في الطريق، قالوا: أنه رجل مجنون.

قال: أعطوني عنوانه لاتحدث إليه. و وجدوا بهلول في الصحراء. تقدم إليه جنيد و ألقى عليه التحية. فقال بهلول: من أنت؟

قال: الشيخ جنيد البغدادي.

فقال بهلول: أأنت شيخ بغداد الذي يرشد الناس؟

قال: نعم!

فقال بهلول: عندما يغلب عليك الجوع وتريد أن تأكل ماذا تفعل؟

قال الشيخ: بداية أقول بسم الله، ومن ثم آخذ لقمة صغيرة وأضعها في الجانب الأيمن من الفم. وأمضغها جيدا. ولا أنظر إلى لقم الآخرين. ولا أنسى الله أثناء الطعام وأحمد الله واشكره مع كل لقمة وأغسل يدى في بداية الطعام و نهايته.

فاعرض بهلول وقال: أنت كبير القوم ومرشدهم ولا تعرف كيف تأكل الطعام؟ ومن ثم غادر المكان.

فقال أنصار الشيخ: يا شيخ أنه مجنون!

قال: يجب سماع الكلام الصائب والصحيح من المجانين وذهب يتبع بهلول.

فقال بهلول: من أنت؟

قال: جنيد البغدادي الذي لايعرف تناول الطعام.

فسأل: هل تعرف الكلام؟

قال: أقول الكلام بقدر فهم ودرک المتلقی. أدعو الناس إلى الله ورسوله ولا أتحدث بحيث يستاء المستمع. وأتقيد بدقائق العلم الظاهر والباطن.

فقال بهلول: إذهب لانك لاتعرف الكلام أيضا، و انطلق ذاهبا.

وتبعه الشيخ مرة أخرى.

فقال بهلول: من أنت؟

قال: جنيد البغدادي الذي لايعرف الطعام و الكلام.

فقال بهلول: هل تعرف النوم؟

قال الشيخ: عندما أؤدي الصلوات والذكر، أرتدي ثياب النوم وأؤدي ما وصل إلينا من النبي(ص) من اداب النوم.

فقال بهلول: أنت لاتعرف النوم أيضا.

أراد أن يبتعد لكن الشيخ أمسك بثوبه وقال: علمني لوجه الله.

فقال بهلول: إن ما قلته فرعا والأصل فی الطعام هو أن تكون اللقمة حلالا، وإلا فان اللقمة الحرام وباى اداب تتناولها تجعل القلب يَسودّ؛

وأما الكلام فيجب أن يكون لرضا الله، فان كان من أجل طلب الدنيا، فان السكوت خير من الكلام، وأما النوم، فيجب أن يكون القلب خاليا من الحقد والضغينة والحسد أثناء النوم وأن تذكر الحق حتى تنام.[١]

ندنس خبز الناس وطعامهم بالحرام والشبهة ونجعل قلوبهم تَسودّ وتتكدر، ونلقي بظلال الرياء والتظاهر والعبث على المدينة وسكانها وعندها نتلاعب بالألفاظ ونسدي النصح ونأمل أن يؤثر الكلام على القلوب.

١. علي‌أكبر رباني، قصص من بهلول العاقل، ص ٧٩.

إن الصرح المالي والمعيشي لعباد الله في عصرنا مبني على أساس الربا والمال المشكوك فيه. وفي أرجاء المدن والقرى تتبارى البنوك، وتتحدث وسائل الإعلام نهارا جهارا عن البنوك والأرباح والربا وتدعو الناس لاكتناز المال.

و يقول الإمام علي(ع):

«**كثرة المال مفْسدَةٌ للدِّينِ مقْساةٌ للقَلْبِ.**»[١]

و القلب القاسي يفقد كل امكانيات الإصغاء واستجابة الدعاء وجلب رحمة الله وعندها يكون جاهزا للتعاسة والشقاء.

و عن الإمام الصادق(ع):

«**إن الله عزوجلّ لا يستجيب دعاءً بظهر قلبٍ قاس.**»[٢]

و عَنْ رَسُولِ الله(ص) أَنَّهُ قَالَ:

«**يَا عَلِيُّ، أَرْبَعُ خِصَالٍ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، وَ بُعْدُ الْأَمَلِ.**»[٣]

إن قساوة القلب هي بمثابة تصلب القلب وتقسيه وإفراغه من الرحمة و الشفقة و المحبة. و في هذه الحالة يخسر القلب كل مرونته و انعطافه و خشوعه و لايتقبل النصح و الموعظة.

و كأن قفلا ضرب على القلب القاسي لا يمكن لاي مفتاح أن يفتحه.

ففي صدر الإنسان وضع القلب ليتعقل به «**لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**» فكيف أن دبّ المرض في القلوب؟ «**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ.**»[٤]

---

١. مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٩٣.
٢. بحارالأنوار، ج ٩٠، ص ٣٠٥.
٣. من لايحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٠.
٤. سورة البقرة (٢)، الآية ١٠.

و ضربت أقفال على أبواب احساس القلب ولطفه؟ «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»؛[۱]

و تصدأت جميع سطوحه؟! «بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم»؛

و فقد كل حيزه وأدائه الرئيسي؟ «لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا»؛

و أبعد عنه كل الخشوغ والخضوع أمام الله تعالى؟ «أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ»؛[۲]

و أصيب بالخرف والجهالة و الإرتداد؟ «صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ»؛[۳]

و يمارس القلب المريض تكذيب الآيات والأحكام والتجرؤ على انتهاك الحرمات و السخرية والإعراض عن ما حكم الله به، وبذلك يفقد موهبة التنامي و الهداية ويُترك و شأنه لكي يسلك خلال الإبتلاء بالإستدراج مراتب النزول و يُصاب بالشقاء والتعاسة.

وأشرار اليهود الذين وجدوا أنفسهم غرقى في التعاسة وكانوا من خوطبوا ب:

«لَعنَهُمُ اللهُ بِكُفْرهِم فَلايؤمِنون إلاَّ قَليلا.»[۴]

وبدلا من التوبة، عقدوا العزم مثلهم مثل الشيطان على إغواء بنيآدم.[۵]

لقد عاثوا فسادا بقوت الناس وطعامهم وغلبوا الربا والمصرفية على الحياة و العيش و وفروا أرضيات فساد القلب ومن ثم زينوا الحياة الدنيا ليزيلوا من القلوب الشوق واللهفة لتجربة الحياة الأخروية لكي ينشغلوا في تجربة الفساد العام بترك أوامر و نواهي الله ويصابوا كبنياسرائيل بالشقاء الأبدي.

«لُعِنَ الّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيإِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَ عِيسَىابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ.»[۶]

---

۱. سورة محمّد (٤٧)، الآية ٢٤.
۲. صورة الصف (٦١)، الآية ٥.
۳. سورة التوبة (٩)، الآية ١٢٨.
٤. سورة النساء (٤)، الآية ٤٦.
٥. مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَايُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا.
٦. سورة المائدة (٥)، الآية ٧٨.

بحيث أنهم كانوا:

«أَحْرَصَ النّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ مِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ»[١]

ويظن الجميع لاسيما الباحثون والمتتبعون في قضايا الأديان بان موضوع التبشير و الدعوة والعمل لتشجيع الناس على قبول الدين خاص بالمسيحيين والمسلمين من بين الأديان الابراهيمية وأن بني‌اسرائيل ومن خلال حصر شريعة بني‌اسرائيل ببني‌اسرائيل وحدهم، مستثنون من هذه القاعدة، لكن الحقيقة ليست كذلك. ففي جميع القرون الماضية سعى بنواسرائيل لإذابة جميع الشرائع والمذاهب في شريعتهم كما كان نهم خاص لدى أنصار الديانتين المسيحية والاسلامية للإنضمام إلى مجموعة بني‌اسرائيل. وهذه الواقعة تبدي نفسها أفضل مع الوقت خاصة في القرون الحديثة حيث تغلبت الثقافة و الحضارة الغربية على حضارات و ثقافات سائر الأمم.

لقدغلّب بنواسرائيل جوهر وباطن شريعتهم على ظاهر وسيرة وحتى أدب و أدبيات عامة الشعوب و الأمم الاسلامية والمسيحية والبوذية و... وأضفوا عليها صبغتهم.

إن الحديث عن بني‌اسرائيل واليهود، لايعني بالضرورة الحديث عن الشريعة الموسوية وديانة كليم الله موسى(ع) ولايجب الخلط بين هذين الإثنين. لقد كان بنواسرائيل أحرص الناس على الدنيا وأشدهم حقدا على مؤمني الأديان الحقيقية و كان واجبا إحترازهم. إن هذا الإحتراز كان في الحقيقة الإحتراز عن السير في الطريق الذي كان يجعل الانسان معرضا للعنة الله والأنبياء و الأولياء الإلهيين بمن فيهم أنبياء الأديان الابراهيمية، الإحتراز عن الضالين الذين استحقوا بسبب اصرارهم على

١. سورة البقرة (٢)، الآية ٩٦.

الشرك والعناد، لعنة الله و رسول‌الله الأبدية. وقلما نجد في آية من آيات القرآن الكريم كل علامات التأكيد والتأييد معا. اذ يقول سبحانه و تعالى:

«لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لِلّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالّذِينَ أَشْرَكُوا.»[۱]

وعندما وجد اليهود أنفسهم ملعونين و منبوذين، غيروا من جلدهم من أجل نشر الشريعة الشيطانية التي لم تكن سوى الإغواء بين جملة أنصار الديانات والأمم ليكونوا قد انتقموا بذلك من‌الله. إنهم وبدلا من التوبة عقدوا العزم على الإنتقام من‌الله وإفساد الأديان وتفكيك الانسان، كابليس الذي أقسم: «فَبِعِزّتِکَ لأغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ.»[۲]

وبالمناسبة فان شريعة بني‌اسرائيل (لا أنصار النبي موسى كليم‌الله(ع)) كانت سهلة المنال. لم يكن فيها أي تكلف و مشقة. فكان الشيطان من الخارج والنفس الأمارة من الداخل يدعمونها. ومن هنا التحق الناس فوجا فوجا بشريعة بني اسرائيل. وسجدوا على عتبتها وأصبحوا مبشرين لها. وكانت الوجهة النهائية واضحة: جر الناس إلى مدار اللعنة الإلهية ولعنة أولياء الله ليكونوا كابليس وبني اسرائيل ممن خوطبوا ب «كونوا قردة خاسئين....»[۳]

إن اليهود:

۱. غيروا معنى الحياة والهدف من الوجود و دفعوا الناس إلى إعادة النظر في المعنى و الهدف الواردين في الكتب السماوية و تعاليم الوحي الأصيلة؛
۲. زينوا الدنيا للناس ليجعلوها إمامهم و يتخلوا عن الآخرة من أجلها؛
۳. غيروا أسلوب حياة الناس و كيفية عيشهم في الأرض ليمشوا في الأرض بما يتطابق مع سنن بني‌اسرائيل غير الإلهية؛

---

۱. سورة المائدة (٥)، الآية ٨٢.
۲. سورة ص (٣٨)، الآية ٨٢
۳. سورة البقرة (٢)، الآية ٦٥

٤. أفسدوا رغيف الناس ولوثوه بالحرام والشبهة لكي لا يبقى انسان بلا نصيب من الخبز الحرام والربا القادر على إفساد القلب؛
٥. جعلوا الناس ينسون الموت وقدموا صورة مخيفة عن الحياة ما بعد الموت لكي ينفر الجميع منها.

وكان هذا الكلام المشترك للأديان التوحيدية والآيات الوحيانية للقرآن الكريم أن:

«اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ.»[١]

في حين أن هذه الدنيا زينت للكافرين الذين يسخرون من المؤمنين.

«زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ.»[٢]

و التأكيد على:

«وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ.»[٣]

لقد وفر اليهود أدوات ووسائل اللعب واللهو للناس وزينوا الدنيا لجعل الحياة الأخرى والموت في بوتقة النسيان وتجاوز المجاهدة من أجل نيل رضا الله والفلاح الأخروي.

بحيث أن هذا الإنذار الحيوي لميؤثر، اذ قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَاللّهِ حَقٌّ فَلَاتَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَايَغُرَّنَّكُم بِاللّهِ الْغَرُورُ.»[٤]

إن بنيإسرائيل ومن دون الحديث عن تهويد المعتقدات والاداب والأعمال ومن دون تأسيس «كنيس» و «كنيسة» و «مسجد» وايفاد المبشرين والدعاة لدعوة الناس إلى ديانتهم، روجوا لتعاليمهم المحرفة في هيئة ثقافية وحضارية لعموم سكان المعمورة

١. سورة الحديد (٥٧)، الآية ٢٠
٢. سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٢.
٣. سورة العنكبوت (٢٩)، الآية ٦٤.
٤. سورة فاطر (٣٥)، الآية ٥.

بحيث أن مجمل المتدينين وأنصار الملل والنحل غير اليهود، وبينما يظنون أنهم بمنأى عن الفكر والعمل اليهودي يضفون كبني اسرائيل المطرودين و الملعونين في الكتب السماوية، معنى على حياتهم ومماتهم ويمشون في الأرض في إطار أسلوب جديد ويتسابقون في التفاخر والترف وطلب الدنيا، و يأكلون الرغيف الملوث بالربا و يتجاهلون التعاليم الدينية و التربوية للكتب الإلهية و السماوية ويصرون على اللعب واللهو. وأي قوم وشعب تعرفون بقوا بمأمن عن كل هذا؟

وباي أسلوب وسياق يقوم المعمارون والبناءون بتصميم وبناء أماكن سكن الناس؟

واقتصاد وتعاملات أي قوم وشعب بقيت بمأمن عن المصرفية الحديثة و الرأسمالية؟

وأي أسلوب للحياة تزينه للناس وسائل الإعلام صباح مساء؟

وأي أسرة بقيت بمنأى عن المراثون والمسابقة الرهيبة المتمثلة في البذخ و الترف وطلب الدنيا؟

ومن دون أن تسجل في بطاقة هوية أحد من أحاد سكان الأرض، فان عموم خلق الله ينظرون إلى العالم بنظرة يهودية ويعيشون حياة يهودية. وسيجربون بالتالي الموت بطريقة يهودية. وهذا هو إصابة عامة الأمم في آخرالزمان بالظلم و امتلاء الأرض بالجور.

الظلم الشامل الذي يلقي بظلاله على جميع الميادين الثقافية والحضارية للأمم.

وهذا هو اقتضاء الهلاك الذي أتيت على ذكره.

ألم الإفتقاد للمعلم

إعتبرت قبل أعوام من هذا في مقال نشر في إحدى الصحف واسعة الانتشار، العصر الحاضر بانه عصر سوء الفهم.

وفي سوء الفهم، عندما يكون المتحدث غير قادر على تبيان و إفهام قصده بشكل صحيح أو لا توجد لدى المستمع الجهوزية للإصغاء الصحيح والفهم الموضوعي أو عندما لا يملك المتحدث والمستمع لغة موحدة ومشتركة، يحصل سوء الفهم هذا.

إن هاجس سوء الفهم يضطر المتحدث للتوضيح والتفسير المفرط والتكرار وذكر الأمثلة والقياس غير الضروري. وكأنه يبذل قصارى جهده لنقل مجمل كلامه إلى المستمع كما يجب والحؤول دون حصول سوء الفهم.

وقد يقال أن قسما كبيرا من سوء الفهم ينشأ بيننا أثناء الحديث إلى أبناء جلدتنا و وطننا و مدينتنا و حتى أعضاء الأسرة و يؤسس لنقاشات و مخاصمات و مصالحات و حتى نزاعات.

وإن غضضنا الطرف عن المرض الذي يغزو قلوب أصحاب الخصومة، فان غياب التآلف والتناغم والتوافق، يؤدي بدوره إلى سوء الفهم وعدم درك مقاصد الطرف الآخر.

وواضحة طريقة تعاطينا مع المتحاملين والمغرضين، وإلا لما كان الشاعر يقول:

إن حلت الخصومة، رحلت البراعة والمهارة.

فان حلت الخصومة والمرض، تتكدر الحميمية والبراعة وشفافية الروح. إن الخصومة تعرقل الفنان والبارع وتحول دون تبلور وتلألؤ فنه وبراعته.

و يعتبر الشاعر مولوي، الإشتراك في اللغة بمنزلة القربى والنسب وصلة القرابة و الدم و يقول:

إن الأشتراك في اللغة يعني القربى وصلة الدم

والرجل مع غير المحارم كالواقع في الأسر والعذاب

إن الغراب يتأذى ويتألم ويتعذب من العيش مع البلبل والقُمري بنفس ما يتعذب البلبل من جيرته وقرابته من الغراب.

ويتقرب الصبية والفتيان الشبان إلى أحدهم الآخر بحيث أن هذه المصاحبة والعشرة تفوق العشرة مع أولاد عمومتهم وخالاتهم. ورغم أنهم يتحدثون بنفس اللغة (الفارسية) وحتى أنه تربطهم صلة الدم والقرابة النسبية والسببية، لكنهم يشعرون بمزيد من المحرمية والألفة مع رفاقهم وأصدقائهم. ويتضح أن قصد الشاعر من الإشتراك في اللغة، ليس الإشتراك في اللغة اللفظية.

إن اللغة اللفظية المشتركة، لا تكفي لبناء القرابة والآصرة. إن هذه القرابة التي تنطوي في باطنها على المحرمية والأمان والاستقرار، بحاجة إلى لغة ثانية نسميها الإشتراك اللغوي. وفي هكذا حالة، فان شخصين لا تربطهما في الظاهر قرابة نسبية أو سببية، قد يكونان أقرب إلى أحدهما الآخر من حيث الاشتراك اللغوي من غيرهما. وحسب حضرة مولانا:

ربما الهندي يشترك مع الهندي والتركي مع التركي في اللغة

لكن ربما تركيين إثنين يتعاملان معا كالغرباء

وبقدر ما تتحصل الوحدة والمحبة والأمان من التآلف، يتصاعد التباعد و الإنفصال والجفاء و عدم الأمان من عدم المحرمية.

و كأن الألفاظ لدى إثنين من المتآلفين، تحمل معنى ومفهوما مختلفا. إن عتب الآباء والأمهات على عدم امتثال الأبناء لهم والجدال والشجار الدائم بين أعضاء الأسرة الواحدة، هو حصيلة هذا الشعور بالغربة، وإلا فان جميعهم يشتركون في اللفظ والقرابة واتصال الدم، لكنهم يشعرون بداخل البيت الواحد بالغربة والتباعد.

إن ما يقود إلى المحرمية بين اثنين أو حشد غفير من الناس في مكان ما، هو التآلف والإستئناس، لا الإشتراك في اللفظ واللغة، بحيث يقول:

إن لغة المحرمية هي لغة أخرى

لكن الإستئناس والتآلف خير من اللغة المشتركة

إن المصالح المشتركة قد تؤدي أحيانا إلى الإشتراك المؤقت وقصير الأجل في السير والسلوك، لكن الحرب والجدال يستتران تحت رماد المصالح وتندلع نارها في أول فرصة. أريد أن أقول: إن المصالح والمضرات الظاهرة، لاتفضي إلى التآلف و لاتؤشر عليه.

ويبرز في التآلف والتعاضد، تجاوز المصالح الذاتية وتقبل الألم والضرر مكان الرفيق المتآلف وحتى يحلو أمر استقبال الخطر والضرر بدلا من الصديق والرفيق المتآلف.

ويأمل رجال السياسة دوما أن تسهم عبارات مثل المصالح الوطنية والأمن القومي في بناء التآلف والتعاضد بين الجماهير. لذلك يستهلك الإعلام في أرجاء العالم قسما كبيرا من الوقت والرصيد الوطنيين لتكريم وتخليد الرموز الوطنية (العلم

و التراب و...) عسى أن يتشجع الجمهور على المشاركة والمساهمة في حفظ الأمن و إبعاد الأخطار المحتملة.

أريد القول بان الخلافات في فهم القضايا وسوء الفهم الناجم عن الحوارات التي تفضي إلى الجدل (الديالكتيك) تغفل موضوع الإشتراك في العوالم.

الإشتراک فی العوالم

إن الناس الذين يعيشون معا في مدينة واحدة أو في بيت مشترك، يتمتعون بلغة لفظية مشتركة، ويستقطبون المصالح المشتركة و يصدون الأضرار المشتركة، لكنهم لايعيشون بالضرورة في عالم مشترك وموحد.

فالعوالم كثيرة، ومخلوقات الله تعيش في عوالم متفاوتة. العالم الانساني منفصل عن العالم الحيواني. و العوالم تُعزل وتُفصل عن بعضها البعض بواسطة الأسلاك الشائكة غير المرئية و الناس وحتى الإثنيات و كمايقال اليوم خطأ الشعوب.

إن المصدر الخفي لعدم الاشتراك في اللغة والغربة، هو تباعد وتباين العوالم. إن الإستقرار في عالم أو الغربة مع عالم آخر يضفي معنى و مفهوما مختلفا على الألفاظ.

إن الإنسان يعيش في عالم و يسير فيه بقلبه لابجسمه وعقله ويجد في هذا السير و السفر مواطنه. المتآلف والمتعاضد معه و مصاحبه في العالم الذي ينتمي إليه ويسير فيه.

إن رفاقه وأصدقائه الحميميين هم مواطنوه في العالم الذي يسيرون معه فيه.

ولكل عالم لغة تتعدى اللغة اللفظية. بعبارة أخرى، فان كل عالم يعطي صبغته ومفهومه للألفاظ المشتركة ويشتغل كل شخص بترجمة الألفاظ المشتركة واستخراج معنى خاصا من تلك الألفاظ بما يتناسب مع العالم الذي يسير و يسافر فيه.

إن اختلاف وتباين العوالم التي يسير فيها الأناس، هما سبب ابتعادهم عن الإشتراك في اللغة والتآلف والتعاضد.

إن الناس متساوون ومشتركون معا في اللغة طالما ينظرون بعقل مشترك إلى العالم والانسان ويعتبرونه معيارا للنظر والعمل.

إن العقل المشترك هو عقل المعاش، عقل تدبر الأمور الجزئية وعقل السوق الذي يدفع الجميع لجعل اكتساب المزيد من الربح وصد الضرر، أساسا لعملهم و تصرفهم.

إن الاشتراك في العوالم يؤدي إلى نوع من التناغم في السلوك والقول ويسهم في بروز فهم موحد ومشترك للألفاظ والمصطلحات أيضا، وفي المقابل فان تباين وتغير العوالم، يؤدي إلى بروز الغربة والتباعد في فهم الألفاظ.

ما عدا النطق والايماءة والسجل هناك مئات الالوف من الترجمات التي تنبثق من القلب

ومن هذه القناة، ينقل المستمع تلقائيا، الألفاظ إلى جهاز الترجمة بداخله ويدرك ما يحبه أكثر ويحوّل المفاهيم المرجوة والمنشودة في جهاز ترجمته إلى ألفاظ.

وعندما يشعر المتحدث المسكين، بان المستمع لم ينتبه إلى قصده الرئيسي، فانه يسعى لافهامه قصده النهائي عن طريق المزيد من التوضيح والتفسير وتكرار الموضوعات.

و صدر في أوائل الثورة الاسلامية، كتاب تحت عنوان «معاناة أصحاب القلم» وعدد المؤلف فيه المشاكل والمتاعب التي كانت تنزل كالركام على رؤوس الكتاب في عهد الرقابة لوزارة الثقافة بالعصر البهلوي، واورد بيت الشعر المعروف: كل من

يلمس الزهرة، فان الفراشة ستلدغه» في كتاب ارسله للحصول على ترخيص بالصدور إلى ادارة الرقابة. وكان الرقيب الذي درس الكتاب، رفض منحه ترخيصا للصدور وراى أن الشاعر أراد من ذكر هذا البيت القول: يا عمال العالم اتحدوا. وكان الرقيب قد شخص بان هذه الاشعار هي اشعار اشتراكية.

وفي هذا المثال، يطغى تحامل الرقيب الفاقد للفن والبراعة.

إن تقديم تفسيرات مختلفة عن نص ثابت يعود في جانب منه إلى العوالم التي يسير فيها المفسرون.

ويحدث كثيرا أن المتحدث في عصر سوء الفهم، يضطر لإثبات نفسه على الدوام وإسقاط التهم المحتملة عنه. وهل انتبهتم إلى متحدثي ومحاضري وكتّاب عصرنا؟ إنهم يضطرون للجوء إلى مئات الحيل والمكائد وبدليل أو بدون دليل لاقناع مستمعيهم بسلامتهم السياسية أو انتمائهم للتيار السياسي الحاكم لكي لا يتهموا باتخاذ توجهات أو مواقف خاصة لايستسيغها الحكام.

وحسبما يقول أستاذ كريم، الانسان مواطن عالمين. إنه يحمل ترخيص للإقامة في موطنين. إنه كالملائكة أو الحيوانات لا ينتمي إلى عالم واحد. فالحيوان يرابط في عالم الحيوانية وأن وجوده مرتبط بالزمان الفاني الدنيوي، وفي المقابل الملائكة وجودها في الزمان الباقي.

و يقول الشاعر حافظ:

العالم الفاني والباقي فداء الشاهد والساقي

و أرى سلطنة العالم طفيلي العشق

وينزل فيه. والتفريط في السير في العالم المعنوي للملائكة يجعل الانسان يراوح في مكانه في ذلك العالم ويُصاب والانسان وحده يحظى بعالمين، أحدهما العالم

الفاني والآخر العالم الباقي. إن هذه القوة تمنح الانسان مجال السير في هذين العالمين والتشبه بسكانهما. ويتشبه أحيانا بالملائك وأحيانا بالحيوان. ويتوجه الشاعر إلى هذا الانسان ويقول له:

لاتسكن الجسم و لاالروح فذاك أسفل و هذا أعلى

غادر هذين الاثنين لاتكن هنا ولا هناك

إن الإفراط في التقرب إلى عالم الحيوانات، يجعل من الانسان مواطنا لهذا العالم بنوع من الإبتعاد عن الذات؛ بحيث أن الله تعالى يقول بشان بعض الأناس «أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ.»[1]

إن الحيوان يستقر ويتوقف على الدوام ومن دون إذن وارادة في العالم الحيواني وذلك حسبما تمليه عليه الغرائز، مثلما أن الملائكة مستقرة ومتوقفة في عالمها الخاص بها. وأي من هذين الفريقين لاعلم لهما بالعالم الانساني. ويقول سعدي:

الحيوان لا علم له بالعالم الإنساني.

إن العالم الحقيقي للانسان هو بين العالمين الحيواني والملائكي، وان الانسان يتماوج ويتراوح بين هذين العالمين.

إن الزاهد المنعزل عن العالم والمقيم في الرهبانية يفقد انسانيته ويُصاب بالمسخ بقدر ما يُصاب الزاهد المنقطع عن العقبى والمتورط تماما بالزمان الفاني و الحيواني.

والإسلام ينهى عن الزهد عن الدنيا والزهد عن العقبى. والبشر في عصرنا زاهد ذائع الصيت تحول إلى مواطن دائم للعالم الحيواني بعد أن أعرض عن عالم المعنى والزمان الباقي و فقد كل علائم و سمات العالم المعنوي.

---

١. سورة الأعراف (٧)، الآية ١٧٩.

وعندما تتغير نسبة الانسان بمنشأ الوجود، يتغير كل عالم ويتولد انسان جديد وعالم جديد.

إن تركيبة الصفات والأعراض الناجمة عن التقرب إلى سكان كل عالم والتشبه بهم، يخلق من الانسان كائنات مختلفة ويجعل من الصعب تشخيص موقعه بدقة.

و في قضية اصطياد النبي ابراهيم(ع) أربعة طيور والتي و ردت في سورة «البقرة»، فانه اصطاد كما جاء في تفسير عليّبن ابراهيم قمي أربعة طيور هي: الطاووس والديك والحمامة والغراب، وبعد خلط لحوم هذه الطيور وضعها بامر الله على قمة جبل ومن ثم دعاها واحدة واحدة باذن الله لكي تحيا بامر من الله من جديد و تتحول إلى هيئتها السابقة.

وعلى الرغم من أن هذه الواقعة، تطمئن قلب النبي ابراهيم(ع) في إحياء الموتى، لكن الله يبين بان كل طائر يشكل مثالا على الصفات البارزة لسكان العالم الحيواني لكي يُعرف بان كل إنسان يحمل في ذاته ومعه حصة من صفات الطيور. ففي الشهوة و الرغبة الجنسية يكون كالديك وفي الأكل والنهم كالدجاج وفي طلب الجاه و المقام كالطاووس و في طلب العمر الطويل والأبدي كالغراب، كما أنه يحمل حصة من العالم المعنوي للملائكة. فالانسان مكلف بعبور المراتب والبحث عن موطنه و عالمه الرئيسي أي عالم الانسانية.

لِمَ لانعود إلى عالمنا الرئيسي أين القلب من مشاهدة العالم الترابي؟

فالانسان يجد بما يتناسب مع كل من الأسماء والصفات الكمالية، عالما يسير فيه و الأمر كذلك بالنسبة للأمم والشعوب.

إن هذا التناسب في الصفات، يصنع من البشر، مظهرا لكل من هذه الصفات. و لذلك نرى ظهور وبروز صفات مختلفة لا تعد ولاتحصى في البشر الذين يختارون

موطنا لهم بقدر الإنتماء والتعلق والعهد الذي قطعوه على أنفسهم وينتمون إليه. ولذلك قلت بان كل متآلف ومتشارك في القلب يجد أحده الاخر. ان المتآلف والمتشارك في القب هو مواطنه في العالم الذي صنعه وتوطن فيه.

إن الانتساب إلى العالم الانساني الأصيل يقرب الانسان من مقام انسانية الانسان، لكن التورط بالعالم الحيواني يبعد الانسان عن ذلك المقام الأصيل ويقربه إلى الحيوانية والضياع والتيه. إن التآلف والتعاضد هما لغة العالم المشترك. لذلك قيل أن لغة التآلف هي عالم آخر. وحصيلة هذا التباعد والغربة بين أبناء البشرية، هي سوء الفهم واعوجاج الفهم.

أنا بشر مثلكم

وعندما قال القرآن الكريم عن النبي الأكرم(ص):

«قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ.»[١]

ظن الخلائق أن النبي الأكرم وخاتم الأنبياء(ص) هو واحد مثلهم. وفي ضوء سوء الفهم هذا افترض هؤلاء أنهم متساوون مع النبي في مجمل الصفات والمقام والكمالات، ماعدا أن النبي(ص) يوحى إليه لكن لا يوحى إلى خلق الله. وظنوا أن الذي ذهب في السير الجسمي والمعنوي إلى المعراج ووصل في سلوك الكمالات إلى سدرة المنتهى وشجرة طوبى ومقام قاب قوسين أو أدنى، هو ذلك العربي الساكن والمقيم في عالم الحيوانية، في حين أن حضرة جبرئيل قال في تلك اللحظة متوجها إلى النبي: «تقدم يا رسول الله ليس لى أن أجوز هذا المكان ولو دنوت أنملة لاحترقت.»

١. سورة الكهف (١٨)، الآية ١١٠.

إن النبي الأكرم(ص) و منذ الولادة و حتى آخر يوم من الحياة لم يكن للحظة للسكنى في عالم الحيوانية البحتة ناهيك عن وقت الرسالة والنبوة.

ولدى أولي الألباب، فان أي لفظ يفيد معنى وأي إسم يذكرنا بمسمى خاص. ولدى الإنسان الذي يعيش في تشتت وتبعثر الخاطر و الإضطراب في النفس و القلب، فان الألفاظ والأسماء تبدو منقطعة ومنعزلة عن المعاني ومنتزعة عن المسمى والحقائق.

و عندما يتهدم بيت روح الانسان ويبتعد الانسان عن وطنه الرئيسي والأصيل، فان مجمل الألفاظ والكلمات التي تشكل لغته اللفظية، تتصدع و تضطرب. إن الأصحاب الإصليين للغة وحماة اللغة هم الشعراء الحقيقيين الذين ترصد و تشهد عيون أنفسهم عالم الروح و ينظرون إلى العالم والانسان من على مرتفع معزول عن العوالم الدنيا.

وعندما نصغي إلى هذه العبارة المعمقة و الرفيعة لنبي الرحمة(ص) اذ قال:

«إنّما بُعثت مُعلّما.»[1]

فان سوء الفهم هذا يتكرر.

ولا شك أن الإنبعاث في هذه العبارة لايعود إلى الانسان بل إلى الله تعالى.

إن الإنطباعات المتحصلة من السير في العوالم والايديولوجيات والمذاهب تخرج كل شئ من مكانه. وتفرض الايديولوجيات معانيها الخاصة على الألفاظ والأسماء و تؤدي إلى حدوث سوء الفهم.

و في الزمن الذي يعتبر كل من أمسك بالطباشير ويكتب فيه على السبورة انه يشغل مقام المعلم ويصبح رديفا للأنبياء الإلهيين، فان كل من يكتب الكلام المنظوم و القوافي يحسب أنه أصبح شاعرا وخطيبا مفوها.

---

۱. مستدرك الوسائل، ج ۲، ص ۲۸۲.

إن هذا السير الزاحف، يعمل كالسيل الجارف فيدمر بيوت صورة اللغة وحقيقة اللغة ويتسبب باضطراب مروع.

وفي عصر انفصال الارض وسكان الارض عن الانبياء الالهيين وانغلاق أبواب السماء فان المعلمين الحقيقيين، يصبحون هداة عباد الله نحو المنبع الآمن وميدان الفلاح، والا فان اضطراب الاحوال، يجعل مجمل الخلائق مبعثرة في سهل بلاء الارض لتكون فريسة للذئاب المفترسة.

إن الجراح التي يصاب بها جسم الحياة المادية والثقافية والمعنوية للناس، هي حصيلة داء الإفتقاد للمعلم. وهو ما جعل التعاسة والشقاء من نصيب الناس.

أريد القول أن سوء فهما كبيرا أدى إلى أن نغفل مقام وعمل المعلمين وبسبب الابتلاء بنوع من الظاهر، أن نُجلس مجمل القادمين إلى تدريس وبحث العلوم التحصيلية في منصب وكرسي المعلم. وفي ضوء الغفلة عن نتائج وتداعيات هذا الصنف من العلوم، يفقد أبناء البشرية راحة النفس في تزاحم هذه العلوم و الاضطراب الناجم عن انفجار المعلومات ويسيرون بالتالي باتجاه مقصد مجهول وينفقون مجمل ما يملكون من أجل الزمان الفاني والعيش في عالم الحيوانية والانشغال بالدنيا. بعبارة أخرى، كل هذا يجعل نوعا من الابتلاء بالإعراض عن الوطن من نصيب الانسان. نوع من المسخ والإنزلاق عن الوجهة الحقيقية للانسان.

وفي عصرنا، يدعو كل شئ وكل شخص، بما في ذلك العلم التحصيلي الحديث، الانسان إلى الزهد عن العقبى وفي المقابل، فان الزاهد المنزوي عن الدنيا، يدعو هؤلاء التائهين إلى الزهد عن الدنيا.

إن المسار المتسارع للمدنية والإنشغال البحت بالحضارة والتوطن في الأرض والعالم المبعثر والمتعدد، هو النتيجة الحتمية للإبتعاد عن المعلمين الحقيقيين أو فقدانهم.

وأليست الحداثة والتنمية، أصبحت الجنة الأرضية المفترضة التي ينطلق جملة الخلائق من سكان غرب العالم ومشرقه، نحوها؟

إن التوجه العام للجمهور المتأثر بداء الإفتقاد للمعلم، ناتج عن الخلق المُعرض عن العالم الروحاني والحقيقية السماوية للأنبياء الإلهيين والمعلمين الحقيقيين. ومن هذا المنطلق، اتسمت الدنيا والتمتع التام بالعالم الملكي والحيواني، بالأصالة التامة.

ولاشك أن المشتغلين في مهنة المعلم في المدارس الحديثة، هم كثر، لكن أليس حصيلة التوجه والعمل العام للمدارس إلا في حالات فردية وجزئية، هو الإعراض عن العالم الحقيقي للمعلمين السماويين؟

وفي المذهب الفردي و العصر العاري عن الرحمانية والروحانية، فان كل انسان هو نبي و معلم يضفي معنى خاصا على مجمل الوجود و المأوى و المقصد و الوجهة النهائية. و من هنا قلت، أن الامر قد اختلط على الجميع و أن كل شخص يعتبر نفسه نبيا ومعلما ملما بجميع أسرار الكون ورموزه.

والمعلم في الديوان والدفتر الوحياني، هو ذلك النبي المطلع والمستظهر بالالهام الرباني. والشاعر الذي بقي في خلوة الانس ناظرا للعالم الشاعري منزها من ظلمات العالم الحيواني وواقف على جملة العوالم، ينبه ويذكر الانسان في مقام المُذكرّ لكي يتحرر الناس بمدده من قيد المهانة والمسكنة وينحنوا إجلالا واكراما أمام عتبة عالم الانسانية.

إن سوء فهما كبيرا أدى إلى أن يعتبر الدارسون ومدرسو العلم الحصولي أنفسهم رديفا للانبياء، مثلما أن قائلي الكلام المنظوم وصانعي القوافي، يعتبرون أنفسهم شعراء.

إن مقام المعلم يحظى بمنزلة الأنبياء بقدر ما يحظى به الشاعر. وفي الحقيقة ان الشعراء معلمون والمعلمون شعراء.

و بحثا عن مقام واعتبار الشعراء، نصل إلى دفتر ومثنوي حكيم نظام كنجوي الذي قال في رثاء هذا المقام:

إن صناع القوافي الذين يصنعون الكلام

يصوغون كنوز العالمين بالكلام

إن أصحاب الكلام والمتكلمين هم عندليب العرش

و بماذا يشبهون الآخرين

صناعة الكلام هي ستارة الأسرار

ظل من ظلال النبوة

لقد التأم صف الكبرياء

لذلك جاء الشعراء لدى الأنبياء

إن هذين الاثنين هما محرم صديق واحد

إنهما كاللب والبقية كالقشور

وأي رطب في هذه المائدة

فليس ذلك كلاما فحسب بل هو جزء من الروح

إن نبع الحكمة هو منبع الكلام

...

ينطق بالشعر باسم الأمير

أي أن الشعراء هم أمراء الكلام

إن قوام ودوام الانسان هو في الحقيقة رهن بقوام ودوام أساسه النظري والفكري والعقائدي. الانطباعات الحقيقية حول العالم والانسان هي التي تضفي معنى عليه وكينونته في الأرض ومقامه مقارنة بسائر الكائنات. أي ما يميزه عن سائر المخلوقات.

لقد أدرك الانسان هذا المعنى بروحه السامية والعلوية ويتعقل فيه بالقوة العاقلة ويبدي وجها من مجمل انطباعاته في جهاد مقدس من العالم السفلي والعالم المادي.

وبما أن روحه متعلقة بذلك العالم السامي، فان أنوار ذلك العالم تنزل على ساحة روحه كالحمائم وتصقلها وتصفيها. إن المؤانسة والمجالسة مع هذا العالم هما روح و نور يدفع طير روح الانسان لينشد:

لقد كنت مَلَكا وكان مكاني الفردوس الأعلى

لكن آدم جاء بي في هذه الدنيا الفانية

إن ذكريات الإقامة في ذلك العالم والإستئناس به يجعل من ذلك الانسان فانا بارعا يطلق حمامة الذوق في سماء الجمال والكمال المعنوي بحثا عن ذلك العالم.

إن الشعراء المعلمين هم رجال أتيح لهم مجال الطيران نحو قمة عالم المعنى وهم همزة وصل واتصال الانسان بذلك العالم ويتذكرون ذلك العالم و يذكّرون الخلق به لكي لا يقطعوا في عصر الغفلة جميع همزات الوصل ويبادوا في برهوت الأرض.

إن الإستحالة في العالم الحيواني والأسر في الزمان الفاني، هما عين الغربة و الإنفصام و الإندثار. ومن هذا المنطلق يصف حكيم كنجة، الشعراء بانهم عندليب العرش بحيث لا يملك أحد في المقام والموقع أن يقارن نفسه بهم. إن محرم حضرة الصديق والرفيق الأعلى استقروا في صف عالم الكبرياء بعد الأنبياء في مقام و موقع.

إن ينابيع الحكمة تجري على اثرالإستلهامات الربانية، كالأنبياء، من قلبهم المستنير على لسان الشعراء وأشعارهم لكي يتكئ الانسان في مقام الإمارة والسيادة على سائر الكائنات والمخلوقات، على كرسي الخلافة ويحول دون انهيار صرح العبودية والمعرفة الرفيع في قلب الانسان.

صناعة الكلام هي ستارة الأسرار ظل من ظلال النبوة

إن كلام الشعراء هو ظل من ظلال النبي الذي يميط اللثام والستار عن الأسرار الخفية لكي تستنير روح الانسان وتتحرر من الظلمات والتكدر.

إن الظل، يتناسب و يتماشى مع صاحبه. فظل الانسان يأخذ صورة الانسان وظل الحيوان يأخذ صورة الحيوان. إن الظل لاينفك وينفصل عن ذي الظل بل يلتصق به على الدوام و يتصل به بالكامل.

إن كلام الشعراء هو ظل الكلام الوحياني للانبياء الإلهيين. لذلك فانه حقيقة خالدة تكتنفها الأسرار و ملتصقة بروح الانسان. إن الروح الخالية من الشوائب، شاهد صادق على الكلام الشاعري و السماوي.

وكيف يمكن الإتكاء على مسند الشعراء المعلمين والمعلمين الشعراء وتحرير جوهر روح الانسان من إبليس اللعين من خلال تركيب الألفاظ والقوافي ومن دون ذكر و فكر ومن دون عبور ساحات العالم الحيواني والشهواني الدنيئة ومن دون تطهير صفحة الروح من الصدأ؟

إن المدعي هو قاطع طريق يأخذ بالانسان إلى مكمن إبليس لكي يتم نهب ما يملكه مسافر جادة الصداقة والمحرمية هذا بغتة. لكن ديدن الشعراء والذاكرين و المتذكرين أن يصل الآدمي في تجربة المحبة و الصداقة إلى الملاذ و الوطن المألوف للأنبياء ويتحرر من جملة الغموم والهموم.

إن الشاعر هو المرافق والمحرم لحضرة الصديق، وهو أول وآخر، لكن المتشبه بالشاعر هو رفيق الشيطان ومحرمه في نهب جوهر روح الانسان. لذلك فهو من أتباع الضالين. وفي وقت انسداد السماء وغيبة الانبياء، الشعراء هم معلمون لكي يصل الانسان إلى الوطن المألوف.

إن من يمسك بيد إبليس بدلا من يد روح القدس اللطيفة، يجعل من جملة الأغراض ما يحجب النور والضياء والمعرفة الروحانية والرحمانية. وربما لهذا السبب قال الشاعر:

ما أن حل الغرض، احتجب الفن

إن مجمل النتاجات الظريفة والكلام الظريف لأشباه الشعراء وأشباه الفنانين هو حصيلة الإستلهامات غير الرحمانية والتفاسير القائمة على محورية الذات، تفعل فعلتها كالمسكر والمخدر، لتزيل الستار عن النفس الأمارة الشيطانية الباغية وتحول دون التجارب الروحانية والمعنوية.

إن الشاعر هو ظل النبي(ص) وأن التعليم هو كالشاعرية، شعبة من النبوة.

لذلك فان من متطلبات الشعر والتعليم هو أن يصبح المرء مخاطبا من الروح القدس وصاحب الإلهامات الربانية، واماطة الستار عن سراي القلب ليسطع عليه نور الحق وتتجلى الحقيقة.

وفيما عدا ذلك، فان جملة من يلصقون تهمة الشاعرية بانفسهم، هم مصداق الآية المباركة «وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ»[1]؛ بحيث قال:

«لإن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً.»

وثمة عبارتان بهيجتان منسوبتان للنبي الأكرم(ص) حول الشعراء ومنزلتهم.

«الشعراء أمراء الكلام»؛

أو:

«للهِ كنوزٌ تحتَ العرش مفاتيحُها ألسنةُ الشّعراء.»

---

١. سورة الشعراء (٢٦)، الآية ٢٢٤.

ويقول الشاعر خاقاني شرواني:

لدي الإمارة واللسان، مفتاح كنز العرش

وإن هذين هما دليل من حديث المصطفى

أنا قرين الكنز وهؤلاء يغربلون الهواء

أنا مصباح العقل وهؤلاء يتبعون الأهواء النفسية

إنه يعتبر صناع القوافي المدعين بمغربلي الهواء ومتبعي الأهواء النفسية ممن يفتقدون للعقل ومصباح الحكمة والتعقل وأن حصيلة كلامهم هو الأهواء والنزوات العابرة المضللة ليس إلا.

وقد سلط الشاعر حكيم نظامي الضوء على كلام النبي الأكرم(ص) هذا ويقول:

ثمة مفتاح خاص للكنز على اليمين

وثمة مكشاف للصدق تحت لسان المرء[1]

ويرى نظامي أن سلوك الشريعة وتجربة كمال اتباع الشريعة مقدمة وسلم للوصول إلى كمال الحكمة ويقول:

طالما لم يعرفك الشرع

إحذر لكي لا تترشح للشعر

إن شعرك من الشرع يصل إلى حيث

أن ظلا من ظهرك يصل إلى الجوزاء[2]

وقد بيّن إقبال لاهوري الكلام الأخير في هذا البيت وقال:

إن كان مقصود الشعر هو الانسانية

فان الشاعر سيكون وارثا للنبي

---

١. مخزن الأسرار، صص ٤٠ ـ ٤٣.
٢. المصدر السابق.

وعندما يحدث إنسداد أبواب السماء وانقطاع إنزال الكتب وإرسال الأنبياء ويستسلم الأوصياء والأولياء العظام للقدر ولا يتاح لهم مجال ممارسة الولاية، فان المعلمين والمفسرين والمبشرين يصبحون أصحاب جملة الانطباعات التي تنظم الأسس النظرية للحياة المادية والثقافية للمجتمعات الانسانية. وقبل أن تصاب الأمم وثقافاتها وحضاراتها بالتآكل والهشاشة في الشكل الحضاري والمادي، تصبح في مراتب أعمق جاهزة للإنهيار في الساحات الثقافية والأهم في الساحات العقائدية والنظرية.

إن تفسخ أواصر الحضارة والثقافة والفكر (النظام النظري والعقائدي) والغفلة عن الأسس النظرية التي تقوّم مجمل العلاقات الثقافية والحضارية تجعل الأمم مستعدة للتفتت من الداخل. إن الإنتقائية والإمتزاج والإختلاط الثقافي والنظري في غيبة وغفلة المعلمين، يزعزع الأركان والأسس ويجردها من جوهرها الأصلي لدرجة أنه لا يبقى شئ من العناصر العقائدية الرئيسية والثقافية سوى ظاهر وألفاظ وأسماء بلا مسمى.

إن المعلمين الرئيسيين والحقيقيين الذين أمنوا ضربة الزمان والمسكنة و المتحررين من صور التاريخ المهترئة، يقودون التوجهات النظرية و الثقافية لقافلة الأمة التي ينتمون إليها و يتماشون معها.

إن من يتورط ويبتلى وينشغل بالصور المادية والحضارية البحتة، لن يكون بمنأى عن قيود هذه الساحة ومتحررا من الزمان الكمي و الفاني الخطي لهذا العالم، لذلك لايمكن أن يشغل مقام معلم و مرشد و موجه قومه.

وفي المقابل، فان من ينشغل بالموضوعات النظرية البحتة وينقطع عن الظروف التاريخية ويغفل العهد السابق واللاحق ويتجاهل مظاهر الأسماء والصفات الإلهية في الدورات المختلفة التي يجب أن تسلكها البشرية، و يغفل ضرورة إصلاح العلاقات الثقافية

والحضارية لعباد الله نسبة إلى المبادئ النظرية المستساغة و المقبولة من المستندات الدينية والعقلانية، لايمكن له أيضا أن يشغل مقام معلم و مردش و موجه قومه.

إن من لايعرف المنعطفات التاريخية المهمة ولايتفكر في سبل الخروج من الإنفعال والأزمات والمآزق الكبيرة التي تعترض الحياة الثقافية و الحضارية، لا يرتدي لباس المعلم، حتى وإن أمضى جل عمره مع الطباشير و السبورة و القلم.

إن من لا يسأل عن عهد الإنسان والعهد الجماعي للأمم ومظاهر إنعقاد هذا العهد والتبعات الثقافية والحضارية والمعاهدات الرحمانية أو الشيطانية، هو أغفل من أن يظهر في زي المعلم.

إن من لا يسأل عن المنطلق والوجهة النهائية لرحلة الانسان ومعنى الحياة و الصيرورة في ميدان التاريخ والتعاريف التي تقدمها الثقافات والحضارات عن المعنى المزور للحياة والوجود، ليس بمعلم.

إن السؤال والتساؤل هما شأن الانسان والتساؤل بتفكر وتأمل خاص بالمعلمين في وقت مواجهة مكانة ومنزلة الأمم في الظروف التاريخية المختلفة.

إن من يتطرق إلى تبيان الصور التاريخية المهترئة وما يجب وما لا يجب من دون التناسب مع الحقائق الأصيلة والموقع التاريخي للجمهور من دون أي تأمل وتمعن ومنفصلا عن الظروف التي يسير فيها الانسان، وبعيدا عن السير والسفر الجماعي للناس و بما يتطابق مع العهود السابقة، فهو معلم سيئ للغاية.

إن المعلم هو حاضر وناظر ومتيقظ ومُدرك للمعاناة ومجاهد ومتحرر من هواجسه وشاهد على الحقائق المندرجة في الكون والمتناسبة مع الحقيقة الأصيلة و الشفافة و مترصد و حارس لركب الانسانية في تجاوز المنعطفات و ذاكر و متذكر للهفوات و

سوء الفهم و متصل و مرتبط بالعالم الحقيقي الانساني ومستلهم من الإلهامات الروحانية والربانية الأصيلة ومأذون له التصرف و التدخل في الشؤون الجزئية و الكلية للجماهير الذين يعيشون معه تحت القبة الزرقاء.

إن هؤلاء ينقذون الانسان من الإضطراب والإضطرار، وهم كهف آمن أمام حملات جنود الشيطان. إنهم يجيبون على السؤالات الكلية للانسان ويوجهون إصبع السبابة نحو العالم الباقي والمظهر التام والتمام لذلك العالم. إن هؤلاء هم المنتظرون المجاهدون الذين يهيئون البشرية للتعاهد والتحالف مع بقية الله وجهوزيتها لاستقبال رسول الإيمان والفلاح.

وفي ضوء كل هذا، كيف يمكن تسمية مزيني الصورة ومزخرفي العالم الفاني الحيواني والشهواني، بالشعراء والمعلمين؟

و كيف يمكن إعتبار صانعي القوافي المصابين بالحوادث والهواجس، بانهم شعراء؟

و كيف يمكن إعتبار من يدعو الناس في زحمة العالم التكنيكي والميكانيكي إلى الإغتراب عن الذات والإستحالة التامة في الحضارة التكنيكية ولا يرسم في ذهنه سوى صورة غامضة عن السير والسفر المظفر في العالم التكنيكي وتنمية العالم المادي و يعتبر مجمل الدين والقناعات الإيمانية زخرفا وزينة للحضارة المادية والشيطانية النابعة من الإلهامات الشيطانية، معلما أو إعتبار كلامه شبه الشاعري بالمؤازر للانسان المضطر؟

إن ألم ومعاناة الانسان هو ألم الإفتقاد للمعلم. ألم غفلة وغيبة الشعراء في عصر ونسل كان في سالف الزمان ذاكرا ومتذكرا بالعالم الحقيقي والشاعري لأهل الولاية و أصبح الآن ليس كذلك.

إن المدينة بلا معلم، تسير في سهل مرتبك، ويجب نصرخ في عصر الإفتقاد للمعلم قائلين:

أين أنت أيها الغزال البري

لدي معرفة كثيرة بك

إثنان ذاهبان بمفردهما وتائهان وبلا صاحب

وثمة فخان، واحد من الأمام والآخر من الخلف

تعال لنتعرف على أحدنا الآخر

ولنبحث عن مرادنا إن استطعنا

ونشهد أن هذا السهل المرتبك

لِمَ لا يحظى أحيانا بالأمان والبهجة

لكنه سيصير الشئ الذي تقولون فيه أيها الأحبة

إن رفيق الغرباء هو صديق الغرباء

إلا إذا جاء خضر المبارك

وأن يحصل شئ بيمن همته...

إن الجمهور الفاقد للمعلم والشاعر، يسير في إبتذال وإسفاف نحو الإنحطاط، ويبتعد عن الأنوار الروحانية بنفس متكدرة وتجربة مظلمة ويخسر كل الفلاح والنجاة. ويعتبر المخدر والمسكر وسيلة للإستقرار ويصبح جاذبا للإلهامات الابليسية ومحطا لجنود الشيطان، وبما أن القافلة قد تفككت وتفتتت، يصبح فريسة لقطاع الطرق. والسلام.

عاقبة الفعل الرديء، رديئة

كنت أقرأ يوما مذكرة كتبها مدير عام مُستقيل. وقد كتب عن عشرة أخطاء مهمة اقترفها عندما كان مديرا لشركة منتجة للبرمجيات، وتحدث في أحد افتراضاته عن وضعه ثقته في الأشخاص وموظفيه باعتبار ذلك كان أحد الأخطاء التي يجب الإتعاظ بها إبان توليه إدارة الشركة. وكان الأمر لافتا بالنسبة لي. فكنت أنا طوال فترة إدارتي أحسب الثقة بانها افتراض مسبق. وكنت أفسح المجال للتجربة ومازلت إلى الآن، وحتى كنت أضع ثقتي في موظفيي حديثي العهد. وكنت أقول لهم إني أبدأ من المائة لا الصفر، لكن إن شاهدت أثناء العمل، غلطة أو خيانة ساعود على الفور إلى المربع الأول ونقطة البداية. وحينها يتعين عليك بسبب نقضك العهد، أن تنطلق من البداية وترتقي السلم. ومع ذلك وعلى الرغم من أني أعتمد التعاليم الدينية في التعامل مع المتآمرين والمتواطئين، فاني اعتبر الثقة افتراضا مسبقا واتصرف وفقا لها، ولدي تجربة مريرة جدا من الغدر والختر، وكل هذا طبعا يعود إلينا نحن الناس الذين ابتعدوا عن أدب الدين. ويعتبرون الخيانة والغلطة طريقا مختصرة، أو كما يقول العوام، يريدون الإفادة من التمرة ونواتها في آن، ولا يدرون أن الخسارة الرئيسية لهذا التصرف والسلوك، سترتد عليهم.

وأعرف صاحب دكان من أهل المعرفة في سوق من أسواق «كربلاء المقدسة»، أزوره دوما أثناء رحلاتي لزيارة هذه المدينة المقدسة، وأشتري منه تربة السجود ومسابح كهدية أقدمها للأصدقاء. وشهدت مرارا أنه عندما يستلم النقود من المشترين لقاء بيعهم بضاعة ما، فانه يضع النقود في صندوقه من دون أن يعدها، وإن طلب منه مشتر ما أن يعدها ليتأكد من أن المبلغ صحيح، يقول له: لا بأس! ستعطيني حقي، إن هنا، وإلا هناك!. وكان يقصد بذلك: إن لم تعطني حقي في هذه الدنيا، فستكون مضطرا لاعطائه إياي في الأخرة.

والمؤسف أن البقاء على صراط الإنصاف والعدل والسير على الطريق المستقيم و الصدق، تضاءل وتراجع لدى الناس، ويتضاءل ويتراجع يوما بعد يوم، وإن زراعة مئات الكاميرات على أبواب وجدران الورشات والمحال التجارية والشوارع و الأزقة، أصبح غير ذي جدوى. وكما يقول الشاعر:

وكأنهم لايؤمنون ولايصدقون بيوم الحساب و الكتاب

بحيث أنهم يمارسون كل هذا المكر والخداع في عمل الحكم

ونذكر القدماء خيرا عندما كانوا يقولون ويؤمنون بان «العمل والسلوك الردئ عاقبتهما رديئة.» لقد كانوا يزخرون في أمثالهم بكنز ثمين من التقاليد الثابتة والسنن الإلهية التي لا تبديل لها، القواعد التي هي خارج ظرف الزمان والمكان والتي كانت سارية في كل العصور والقرون وبين جميع الأمم والشعوب وكان يمكن تجربتها. وحسب هذه السعة الكبيرة، فان السنن والتقاليد ماتزال جارية اليوم فينا وتظهر نفسها، حتى وإن كنا لا نؤمن بها. حتى وإن لا نتحدث عنها أو أن نضع مجمل الأمثال والحكايات في بوتقة النسيان.

إعمل أنت معروفا وارمه في (نهر) دجلة. إن التقاليد تتصرف من دون أن نتدخل، فالمعروف يورث معروفا والسوء يورث سوءا. مثلما أن القمح يثمر قمحا والشعير شعيرا. حتى وإن صرخ كل خلق الله، ويحتجون أو أن ينقشون القمح ويظهرونه على هيئة شعير، فالأمر لا يفرق. لأن الإناء ينضح بما فيه. والملفت هنا بان الخائن والصادق، يعترفان في خلوتهما بهذه القاعدة. الفرز الذي يصدق وينطبق على ذلك.

إن هذا النهم والشره والشمولية وما شابهها، استولت على روحنا، وتمنعنا من الخضوع والإمتثال للأحكام الثابتة والحقيقية في نفس الوقت.

إن جميع الحيوانات والنباتات والجمادات، ورضوخا لهذه القواعد، تتحرك تحت نظام خاص نحو الوجهة المحددة، إلا إذا أراد مخير معتد، العبث بهذه التركيبة و الإستيلاء على شئ يفوق حصته. ومن هنا تنعقد نطفة الأزمة. الواقعة الفظيعة على الصعيد العالمي التي تمر بها البشرية. إن اضطراب وارتباك الميادين المختلفة للحياة الملكية والملكوتية، جعلت الانسان يواجه أزمات، بحيث لايمكن تصور أن يحصل تحسن في أي من ساحات وأوجه الحياة الانسانية. إن هذه الكرة الثلجية المرعبة والمدمرة، ناتجة عن تهزهز بسيط لحجارة على حجارة وتساقط بعض الثلج على بعضه الآخر. من تلك التجربة البسيطة التي مررنا عليها مرور الكرام و الإيمان بالمثل البسيط لآبائنا وأجدادنا من أن:

عاقبة الفعل الردئ، رديئة.

وعندما ننظر إلى الوراء، نعتبر الخسائر الكبرى بانها حصيلة إنعدام الإيمان بهذا الموضوع. وعلى الرغم من تصور العوام والعموم، فان الخسائر لا تظهر من جراء البوح عن سوء السلوك والتصرف والمكر والخديعة، فمنذ اللحظة الأولى لدخول

هذه الروحية في العلاقات والمناسبات وبالتالي تعامل الناس، تظهر نتائجها السيئة وتدمر وتنسف روح تعاملات الجماهير. إن النيات هي التي تقرر مصير الأعمال. لقد حدث بيننا سوء فهم كبير. إننا نظن بفعل التعليمات الناقصة بان مجمل الأوامر والنواهي الصادرة عن حضرة الحق وأعاظم الدين، تنظم حضور الإنسان في ساحة القيامة وتجربة الجنة والنار. وإن ظن بان كل هذا يكفل الدخول إلى الجنة أو يتسبب بالإبتلاء بنار غضب الله في الجحيم، فاننا فهمنا الأمر بشكل منقوص.

إن الجنة والنار، لا ينتظراننا. إننا نصنع الجنة والنار الآن، وبعبارة أخرى اننا نعيش الان في الجنة أو النار. إن حجاب هذا العالم وستارية الله تحولان دون تجربة حرقة النار وصفاء جنة الخلد بصورة ملموسة في هذا العالم. إن الأوامر والنواهي التي تذكر بحتمية وسريان عواقب الأعمال في الدنيا، حاضرة في كل لحظة وزمان. إن اتساع نطاق أثر الأعمال والنيات، يعرفها الله وحده. وقرأت في موضع ما، بان تحريك فراشة لجناحيها في موقع من هذا العالم، قد يؤدي إلى اندلاع تسونامي رهيب في ذلك الجانب من المحيطات وذلك في ظل السير الإكمالي والتدريجي وبسبب تسلسل تأثير الأعمال والأقوال على أحدهما الآخر. إن الأعمال والأقوال لا تؤثر بصورة محدودة وفي النقطة. كمثل السهم الذي ينطلق من ابهام وقوس الرامي، فعندما ينطلق، فان مدى ونسبة عمله وأثره، لن يكونا بيد الرامي. مثل لعبة الدومينو، فكل حجر يلقي حجر آخر ويتسبب بسلسلة من الأحداث والإنهيارات.

إن الدومينو الكبرى لحياتنا الفردية والجماعية، تتشكل مع سقوط أول حجر. إن الله يعلم إلى أين تمضي. وهذا ناجم عن فهمنا ودركنا الضعيفين أن نعتبر سقوط كل

حجر، بمنأى عن أثره على سائر الأحجار. فكل عمل وكل قول، حجر، في سلسلة كبيرة من الدومينو الكبرى التي تتخطى كل الحدود.

إننا نسافر في عوامل متداخلة، وتتسلسل هذه العوامل وتحضر بداخلنا أيضا. وتسلك أحجار الدومينو المتتالية لحياتنا وحياة الآخرين، طريقا طويلا عبر جملة عوامل.

إن زورق جسمنا،، قادر على أن يوصلنا إلى السهل الوسيع والنائي للحياة والحضور في عالم البرزخ، بعد أن يمر بنا عبر بحيرة حياة هذا العالم. وجواد أصيل قادر أن يعبر بنا من هذا العالم أيضا ويوصلنا إلى محيط القيامة الشاسع والخالد.

إن سلسلة دومينو الأعمال والأقوال تمر عبر هذه العوالم الثلاثة كظل وفي الظل. يجب أن تعبر وتمر وألا تبقى في العالم المادي. وتسير وتسافر في كل العوامل. أريد في الحقيقة أن أقول بان أي عمل له أثر وحضور في ثلاثة ميادين هي: الدنيا والبرزخ والقيامة. وتجد في كل مرتبة وحركة، ميدانا أوسع تاثيرا. مثل النشابة التي تنطلق من قوسها. إن أكثر نتائجه شمولية يمكن حسابها في نهاية المطاف ومع سقوط آخر حجر. وحصيلة كل التقلبات والصعود والنزول هي حصيلتنا ونتاجنا النهائي المنشود.

إن الجنة أو الجحيم اللذين وفرناهما، ومررناهما من كل مرحلة، يتجسدان ويتجليان بشكل سافر وواضح في نهاية كل مسار. ونلاحظ في الحقيقة ظهور وتجلي كل هذا في هيئة الجنة والنار والطوبى والسموم و.... وقضيتنا لها وجه آخر أخشى تبيانه وقوله، لان هذا التبيان والإقرار، سيصعب عليّ أمري. ووجهها الآخر هو أن دومينو أعمالنا وأقوالنا لم توضع في خط مستقيم. والأحجار لم تستقر واحدة بعد واحدة. وليس هناك رديف واحد من الأحجار المرصوفة، بل أن الأحجار رصفت في جميع الجهات، في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

بعبارة أخرى، فان الأعمال والأقوال تشكل دائرة كبيرة من التأثيرات في طول وعرض علاقاتنا وتعاملاتنا. شيء يشبه هذا الشكل:

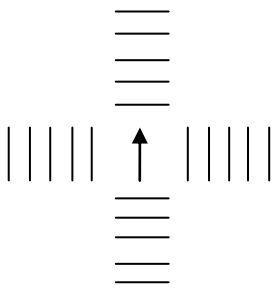

إننا نقف في مركز ووسط هذا الميدان. إننا نقوم بحركة واحدة فحسب. ونلقي حجرا واحدا على الأرض فقط ونرمي نشابة واحدة فقط، لكن هذا الواحد، يلقى أحجارا على أرض مباشرة وفي الإتجاهات المختلفة. وكل حجر يجرب سيره وسفره. وهذا هو التسونامي المتأتي من تحريك الفراشة لجناحيها والذي يظهر نفسه في الجانب الآخر من المحيط. وربما أصبح الكلام صعبا إلى حد ما.

إننا نتصرف وفق ما يحدث أثناء التعامل مع أنفسنا وكل ما يحصل في حوالينا (بمنأى عن الآخرين)، ونرمي بحجر على الأرض، بينما نقيم تواصلا مع الجماهير. ونغتصب مالا جورا وجفاء ونبتلعه. وهذا العمل يؤدي إلى حدوث سلسلة من الأحجار والتأثيرات بشأننا وبمنأى عن الآخرين وتمر من جميع الصور والساحات وتتسبب في الوقت ذاته بموجة في حوالينا، وتسطع نورا وتستحدث محصلة تؤثر إما ايجابا أو سلبا على من هم في أطرافنا. إننا نؤدي في الحقيقة إلى ارتباك تعادل أحجار الآخرين وتساقطها، التساقط الذي لايتوقف.

إن جميع مكونات وأجزاء الكون مرتبطة ببعضها البعض. إن مجمل الكون له روح. ويتأثر ويؤثر. وكل حيوان وكل نبات يحمل ويحوي نصيبا من الشعور والوعي والدرك. وألم نقرأ:

«يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ.»[1]

وقام عالم ياباني باختبار مذهل. فقد درس أثر ومفعول الأصوات والكلام الحسن والمذموم على جزئيات الماء. وانتج فيلما من أثر الموسيقى التقليدية والكلاسيكية و أثر الكلام المفعم بالود والملئ بالبغضاء وأثر الأدعية والأذكار و.... وأثبت إن الماء يمتلك تلك الدرجة من الذكاء بحيث أنه يتأثر بكل لفظة وصوت ونغمة معنوية وروحانية أو مفسدة وسخيفة ويبدي ردة فعل تتناسب مع تلك الأصوات. ولدينا رواية طويلة عن الإمام الحسين(ع) تبين تسبيح الطيور والحيوانات في أصواتها والتي هي غير قابلة للفهم بالنسبة لنا. فمثلا قال عليه السلام:

إن الباشق يقول من خلال صوته: آمنت بالله و اليوم الآخر،

و البلبل يقول من خلال صوته: لاإله إلاالله حقا حقا،

و الحجل يقول من خلال صوته: قرب الحق قرب و... الامام على(ع).

ويقول عليه السلام في الختام:

إنالله لم‌يخلق شيئا، إلا أن يسبح له و يحمده.[2]

وأكتفي بهذا القدر من التوضيح الإضافي، أردت القول أن نطاق الأفعال و الأقوال لها أثرها ومفعولها حتى بقدر وحجم كلام ودي وحُبيّ وتحية بجانب إناء ماء، مثل ذلك الدومينو. إن الماء والبحر والغابة والطير و... تتأثر بصمت و بمعزل

---

۱. سورة الجمعة (٦٢)، الآية ١.
۲. بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٧، باب ١، ح ٨.

عن دركنا، بشكل جميل أو قبيح باقوالنا وأفعالنا وتؤثر بتلك النسبة والقدر على الفضاء والبيئة المحيطة بها. نرى أن الحدث يتمثل في مجرد رمية سهم أو إظهار فعل ما، لكن هذا لا يبقى محدودا في ذاته وباطنه.

وعندما تتأثر الأشياء والمواد بما فيها الماء، إلى هذه الدرجة، فهل أن الناس الذين يتعاملون معنا من الصباح إلى المساء، سيبقون بلا أثر ونصيب من أفعالنا وأقوالنا أكان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة؟ وأي كائن يتمتع بالموهبة؟ إناء ماء أو إنسان يحمل بداخلة روحا لطيفة وعقلا ظريفا؟ وأكان بشكل مباشر أو غير مباشر فان الناس الذين هم في حوالينا أكنا نعرفهم أو نجهلهم، يتأثرون في العلن والخفاء بما نفعله وبما نقوله.

ومن هذا المنطلق قلت بحذر، بان كل واحد منا هو كحجر وعامل وعتلة في ميدان كبير تحيطه مجرات ومنظومات من الأحجار، وكل سلسلة من الأحجار، تصل في إطار تأثرها وتأثيرها على بحر العالم وسهل عالم البرزخ إلى محيط القيامة.

وهناك، يتم جمع المحصلة النهائية لكل قول وفعل، وتوضع أمامنا. وهذه النتيجة النهائية هي التي تجعلنا نكون في صف السعداء أو الأشقياء.

شئنا أم أبينا، فان العالم بجميع مكوناته وأجزائه، متواصل ومترابط مع بعضه البعض وقد خلق طبعا بحكمة وحصافة.

إن سير وسفر أي كائن، لا يتم بمنأى ومعزل عن المجرة الهائلة للكون والوجود. وإن كان الأمر كذلك، لكان الزحام والتزاحم قد بعثرا مجمل مكونات الكون.

شئنا أم أبينا، فان مجمل مكونات الكون، قد اجتمعت ضمن مجموعة من القوانين والسنن الثابتة. وهذه السنن والقوانين والأسس هي التي تضفي معنى على كل شئ.

إننا نتعرف على الكون، في الحقيقة عن طريق هذه القواعد، وننجح من خلال كشف وتحديد هذه القواعد، ونستفيد منها لنستولي على العالم المادي.

إن السنن والقواعد، وردت في البيان الحصيف للكتب السماوية وعلى لسان الأولياء الإلهيين، ومن خلال درك رجال الحكمة الذين بينوا كل ذلك في سياق الأمثال والحكم.

عاقبة الفعل الردئ، رديئة،

إفعل الخير أنت وارمه في نهر دجلة...

وكل هذا، عائد إلى ما نفعله. وما لا نفعله، حسابه شئ آخر. إن ما يحدد حسابنا مع العالم والانسان، لا يختزل في عدم الفعل فقط. فالأفعال، لها مكانتها الخاصة بها. إن ما يجب فعله، والدور الذي كان يجب أن نضطلع به والخطوة التي كان يجب أن نرفعها، لكن لم نفعله ولم نضطلع به ولم نرفعها تحت أي حجة وذريعة كانت.

فان شهدتم من بعيد سقوط طفل برئ في بئر سحيقة، أنظروا في تلك اللحظة شخص يمر من المكان وهو غير مكترث بما حدث وكان باستطاعته منع سقوط الطفل وبالتالي إنقاذه، فما الحكم الذي تصدرونه بحق ذلك الشخص المارّ؟ لكنتم توبخونه وتلومونه على أقل تقدير. بل إن كان قد حال دون سقوط الطفل، لكنتم تمتدحونه و تكرمونه.

إن السقوط الجماعي لقوم في مستنقع البلاء والإبتلاء، يحمل مسببي السقوط المسؤولية بنفس قدر الأشخاص الذين كان بوسعهم الحيلولة دون حدوث هذا السقوط. إن نتيجة فعل كل واحد، يؤثر على أحد طرفي سقوط القوم أو انقاذهم.

إن شقاء المجتمعات وتعاستها، ليست حصيلة الفاسدين والمفسدين فحسب بل أن جميع الذين يفتقدون إلى الفعل، يرثون نصيبا من ذلك. إن غياب الفعل، هو فعل بحد

ذاته. إن من لا يحول دون سقوط طفل في البئر، هو عامل يصبح شريكا في النهاية. وهذه الواقعة تفسر قول «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.»[١]

إن هذه المساحة تغطي إزالة شوكة من على طريق الناس وصولا إلى أقاصي آفاق الرؤية ودائرة الفعل والوعي والمسؤولية.

إن الوجود والوعي والمقدرة تحدد مساحة الفعل أو عدمه. وكذلك الحضور في ميدان واقعة ما، والإطلاع على واقعة ما وبالتالي مدى الإذن والقدرة على الفعل أو الردع.

ولم يرد في أي موقع ذكر أن الانسان مسؤول عن الفعل أو عدمه لقاء الأجر الذي يتقاضاه.

ولم يرد في أي موقع ذكر أن المشاركة في الفائدة والربح، تشكل معيارا للفعل أو الردع. إن من هو حاضر وناظر يعرف و يرى وإن من يستطيع فهو مسؤول. وكل هذا يحمل الانسان تعهدا والتزاما، إن الناظر عديم الفعل، غير مستساغ بنفس قدر العالم عديم العمل والفعل. إن العالم عديم الفعل والعمل، يبدو شنيعا بنفس قدر المستطيع وصاحب القوة الخامد وغير المكترث.

فعندما تنهار الأحجار لأي سبب أو مسوغ كان، تمضي الدومينو الفردية و الجماعية إلى الأمام و تجتاز جميع الساحات حتى القيامة الكبرى. والسلام عليكم.

---

١. بحارالأنوار، ج ٧٢، ص ٣٨.

فى عصر وصاية التقنية

طالما كان المستودع الصغير يستوعب ذلك الكم الذي كنا نملكه من البضائع التي أنتجناها، فان إدارة المستودع كانت بعهدتنا، لكن عندما ازداد عدد البضائع وتنوعت، لم يبق أمامنا خيار سوى إيجاد مستودع أكبر. ومذاك كانت إدارة المستودع مسالة تثقل كاهلنا، ومن أجل التخلص من هذا العبء إضطررنا لتوظيف أمين مستودع. ومرت فترة على هذه الحال، وانتبهنا بغتة بان الأمور قد خرجت عن سيطرة أمين المستودع ولحقت خسائر فادحة بنا. ولم يبق سبيل لنا سوى اعتماد الأساليب الحديثة في إدارة المستودعات وتوظيف أمين مستودع متخصص في عمله وملم بالأنظمة الآلية الحديثة. ونشرنا في إحدى الصحف إعلان توظيف، وفي أول يوم لنشر الاعلان، و في الساعات الاولى منه أبدى عدد كبير من الناس جهوزيتهم لتولي إدارة المستودع. وكان الإلمام بالأنظمة الحديثة لإدارة المستودعات أحد شروطنا للتوظيف. وهذا ما أدى إلى إنسحاب عدد كبير من المتقدمين لهذه الوظيفة.

وعندما كان المتقدمون للوظيفة يواجهون بهذا السؤال من أنه إن كانت لديهم خبرة بالأنظمة الآلية وبرمجيات إدارة المستودعات، كانوا يردون على الفور: **أولادنا في المنزل يعرفون ذلك، نتعلم منهم**. كانوا يعقدون الأمل على شبانهم،

وكنت أعرف المسافة التي تفصل الرجل الكهل الذي غزا الشيب شعره وعاش ببسم الله الكتاب، عن الأنظمة الكومبيوترية الحديثة والإلمام بادارة المستودعات الجديدة و برمجياتها الإحترافية!

والأنظمة الآلية لا تفهم لغة الانسان، وإن لم تتحدث إليها بلغتها، لن ترد عليك. و بلغ الأمر حدا أنه عندما نتحدث وندردش معا، نستخدم من دون إرادة وعلم لغة الرياضيات المستخدمة في المكائن الحديثة والألفاظ والمصطلحات الخاصة بها. و يبدو أن شبها كبيرا حدث بيننا و بين الماكنة. إننا نشبه الروبوطات الفاقدة للروح أكثر من الإنسان صاحب العقل والذهن والإحساس.

شئ يشبه شخوص رواية «العالم الجميل الجديد» ل ألدوس هايكسلي البريطاني. إن الأناس الذين ينتجون عن طريق خط انتاج المصانع، يعيشون بصورة آلية و تكنيكية وينظرون إلى العالم والانسان من منظار الماكنة. ويتحدثون معا بلغة و مصطلحات الماكنة والآليات، ويفقدون مجمل العواطف والإحساسات والمشاعر و الذوق الشاعري والميول الفطرية ويتحولون إلى روبوطات متنقلة.

و في المدينة التي يرسمها الدوس هايكسلي، يتم تسليم جميع الناس في نهاية عمرهم إلى المصانع لإعادة تدوير الفسفور والكالسيوم والصوديوم وسائر الأملاح الموجودة في جسدهم وألا يتم ترك شئ منهم.

و قبل أربعين أو خمسين عاما، كان من الصعب قبول هذا الكلام وكان يشبه الأسطورة والقصة الخيالية أكثر منه للعالم الحقيقي، لكن إن نظرت اليوم من منظار القروي الساذج الذي تطأ قدماه المدينة للمرة الأولى، ترى أن عدة ملايين من الروبوطات تسير بين السيارات والمكائن. وكلهم في خدمة الماكنة لان أن تكون

الماكنة في خدمتهم. إن هذه المكائن هي التي تمسك بتلابيب الانسان وتجعله يكون في خدمتها.

إن المكائن هي التي دفعت الانسان للتخلي عن لغته وأدبياته والتحدث بلغة الماكنة ولغة الأعداد والأرقام ولغة الصفر والواحد. إن هذه اللغة هي لغة جميع الأدوات والوسائل التي يستخدمها الانسان في الظاهر.

وهذه المكائن هي التي فرضت على الانسان أدبها ونمط عيشها وكيفية تمضية الليل والنهار. إن تناقل أي عدد وأي زر والخطأ في استخدام أي أداة يعطل الماكنة بل يعطل الانسان في واقع الأمر. إن وجود الانسان هو رهن بوجود الماكنة. فإن حذفتم الماكنة فكل شئ سيحذف. وإن حذفتم التلفزيون نرى أن لا أحد لديه ما يقولوه وإن حذفتم الكومبيور عندها....

إن الماكنة علّمت الانسان كيف ينظر إلى الحياة. نظرة أداة وتقنية خاصة تضفي على كل مخلوق وكائن، منزلة شئ ومنزل ماكنة وأداة استهلاك وتحدد تاريخ الإستهلاك من أجل استهلاكها.

ولم يكن يبدو أن قصة انسان العصر الحديث، ستكون هكذا. فكان الكل يظن أن الماكنة ستكون في خدمة الانسان الذي سيحافظ على هويته ومنزلته الانسانية، لكن وفي طرفة عين ظهرت المسالة بشكل آخر.

لقد كان سكان الشرق، أكثر الناس انسانية. لا أريد أن أسئ الأدب. بل أقصد أن سكان الشرق كانوا الأقرب إلى النشأة الفطرية والشأن الانساني والتوجهات السماوية، لكن لم يمض وقت حتى وصل السيل إلى الشرق.

بداية وخلال سلسلة عمليات متعاقبة وطويلة، تم اجتياح الجغرافيا الترابية للشرق. فجاءت الماكنة العسكرية للمستعمرين لتمهد الطريق حتى يقرب الرجال

المهندمين والأنيقين من الساحة السياسية لجعل الأنظمة السياسية الخاصة تحكم في ظل البنادق مقدرات ومقدورات سكان الشرق. إن هؤلاء أملوا أدبهم وأدبياتهم بالقوة على الجماهير وعندما كانوا يهمون بمغادرة المنطقة مجبرين، أتوا بحكام وسلاطين مكانهم لكي يمسكوا بالنيابة عنهم، بدفة سفينة الشعوب والأمم ويقودونها نحو منشأ ومنبت المستعمرين.

ومن ثم وصل الدور إلى تغيير النسيج الثقافي.

وهذا التغيير والتبديل في العلاقات الثقافية لسكان الشرق، بدأ بالإستهزاء والسخرية الثقافية في ظل حضور رجال العسكر والسياسة، لكن توسع النشاطات الثقافية وزيادة تبادل الزيارات، أزال كل فرصة لبقاء النظم الثقافية غير الغربية، إلى أن انصهر مجمل الثقافات والحضارات المناطقية والوطنية والدينية والمحلية في الثقافة الغربية.

إن التوحد الثقافي اجتاح الجغرافيا الثقافية للشعوب أقوى بمائة مرة من الماكنة العسكرية وأوامر رجال السياسة، فصار الكل مثل أحدهم الاخر. ونظمت عقارب ساعة الشعوب والأمم وفقا لافق الغرب. وأزيلت الحدود الجغرافية، وتضاءلت تبعا لذلك الحدود الجغرافية الترابية بحيث أن طفلا صغيرا كان قادرا على تغييرها، لقد كان هؤلاء استولوا على قلوب وأرواح الجماهير.

لقد اعتلى الأجانب عن طريق جادة الثقافة غير المرئية، عرش مملكة جسم وروح الناس. وألقوا بحبالهم على رقاب الناس وانتزعوا منهم كل صلاحياتهم.

إن الإستيلاء على روح الجماهير، حطم مقاومتهم ومعنوياتهم. وأصبح الجميع يشبهون أحدهم الاخر وأصبح الكل يشبه الغربيين. كانوا قد انبهروا بالغرب الذي كان قد أذاب الكل فيه. ولم يكن واضحا من هو شرقي ومن هو غربي. كان خُلق الجميع قد

تغير وأصبح غربيا بامتياز. وتحول الغرب إلى منشأ ومنبت للجميع وأتسم العالم فجأة بطابع غربي في جميع سلوكياته الثقافية والحضارية. ومن هنا كان جميع المنبهرين بالغرب ينظرون بهذا المنظار إلى العالم والانسان ويطالبون بالذي يدعو إليه الغرب.

إن التوحد الثقافي والعولمة الثقافية، شكلا أكبر واقعة تحدث منذ بداية الخلقة وحتى القرنين التاسع عشر والعشرين رغم تجارب ألوف الحروب و التبادلات والهجمات والحشود العسكرية التي قام بها الامبراطوريون والملوك.

ولم يكن بمقدور أي امبراطور وفاتح إيجاد ثورة ثقافية وتوحيد الراي العام بعد فتح بوابات وقلاع الأمم والإستيلاء على الأرض.

وعندما كان القرن العشرين على مشارف الإنتهاء كان الجميع في الشرق و الغرب قد سلموا بان العالم أصبح يشبه قرية يأكل جميع سكانها مثل أحدهم الاخر و يعيشون مثل أحدهم الاخر ويموتون مثل أحدهم الاخر.

ولميكن من اللازم أن يتولى شخص أو مؤسسة اعتماد تنظيم خاص لتحقيق هذ المهمة، أي التوحيد الثقافي وعولمة الثقافة، لان الذات العدوانية للثقافة الغربية و منبتها النفساني والدنيوي البحت، كان يحمل في طياته هذا الشئ ليتجاوز كل الحدود و يفرض نفسه على الاخرين. كفيروس الطاعون الذي يصيب كل من يمر عليه و يلاقيه بالطاعون. وكان يشبه كرة الثلج التي تتدحرج وكلما تتقدم إلى الامام تكبر و تكبر و تجرف معها كل شئ.

إن أحد أسباب غلبة الغرب وثقافته وحضارته على جسم وروح سائر الشعوب والأمم يعود إلى «حصان طروادة» قلعة مملكة وجود الناس. وكان الغرب يدعو روح الجماهير للتماشي معه. وكان تناغم سحري خاص سائدا بين الغرب في جميع

ميادينه الثقافية والحضارية ونفسه الأمارة. وكانت هذه القوة الإختراقية تفتح أبواب القلاع أمام الجيش الافرنجي الجرار ليفعل ما يشاء. وكانت إشارة من الغرب لتدفع الجماهير إلى الحركة والتصرف.

وكل ما كان يشتهيه الإنسان، كان يجده في الغرب وكلما كان يوعز الغرب إليه كانت النفس الجشعة تطلبه. وكان هذان الإثنان يكملان أحدهما الاخر، إلى أن أجتيح الشرق وانهارت الجدران وحل العُري محل الستر والتحجب. وأصبح الشرقي منبهر بالغرب والغرب مسلط ومسيطر على جميع مقدرات الحياة الثقافية والحضارية للانسان الشرقي.

لقد رضخ الشرق والانسان الشرقي لوصاية الغرب تماما وانخرط في رعيته بينما كان الغرب يوسع من نطاق وصايته في المجالات الثقافية والحضارية وجميع المناسبات والعلاقات.

وكنت ذكرت في مقال آخر بان حكاية الغرب والانسان الغربي هي حكاية «فاوست» بطل مسرحية غوتة الألماني الشهيرة، وهو الذي عرض روحه على الشيطان لقاء الحصول على السلطة وأسباب المتعة النفسانية وأخذ عهد الشيطان و ولايته على عاتقه.

وأفضت التبعية التامة لسكان الشرق في العلاقات المادية و الثقافية خلال الأعوام المائتين الأخيرة إلى قبول وصاية وقوامة الغرب والإنخراط في جموع رعاياه ورقيقه، حتى وإن أنكر ذلك في الظاهر. إن درك هذا الأمر يبدو صعبا، لكن انسان اليوم رضخ لوصاية التكنيك والتكنولوجيا وجعلها تحل محل ولاية ووصاية أي وليّ و وصيّ آخر.

إن ما يهيمن اليوم على جملة مقدورات ومقدرات الناس ويحدد توجهاتهم و ميولهم في جميع المجالات و يملي عليهم كيفية حياتهم وعيشهم في الأرض، هو التكنيك والتكنولوجيا أكثر منه من إله السماء ورأي الأنبياء الإلهيين. وهذا يعني غلبة الأدب والأدبيات الغربية على مجمل العلاقات الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية و الثقافية لسكان الشرق الكبير، وأن من يُخلي في الإنسحاب التدريجي، الساحة للغرب والثقافة والحضارة الغربية والأدب والأدبيات الغربية، هو الثقافة و الحضارة الشرقية.

ولهذا السبب قلت أن التوحد الثقافي وعولمة الثقافة يشكلان أكبر واقعة لم يشهدها التاريخ وسكان الكرة الأرضية إلى ما قبل القرنين التاسع عشر والعشرين.

إن التوحد الثقافي وعولمة الثقافة لم يحدثا عن طريق القوة القاهرة. إن الذات النافذة والمستكبرة لهذا الميدان الثقافي ليست بحاجة إلى أي قوة قاهرة لتتغلب على أنفس الناس، بحيث أن روح الانسان التي تفتقد إلى الدرع المحافظ تستقبل السهام التي يطلقها الشيطان. وهذا هو حصان طروادة المجهز والمعد الذي يفتح أبواب القلب والروح لجنود العدو في غياب وغفلة الحراس والحماة.

ويمكن القول بتجرؤ أن أرفع وأكمل صورة لاتباع الأمم للولاية العامة طوال التاريخ تجلت في العصر الغربي الحديث وبالتالي لدى انسان العصر الحديث. الإستسلام المطلق والحوار أمام التكنيك والحداثة. وهذا الأمر لم يحدث لاي من الأنبياء والأولياء السابقين.

إن الحديث عن التكنيك والتكنولوجيا يجعل الماكنة والصناعة يتبادران إلى الذهن على الفور. إن الماكنة والصناعة هما أوضح أشكال الحداثة التي أصبحت عامة وشاملة. إن مقدمة ظهور التكنولوجيا في مجال الصناعة والماكنة، تتمثل في تحول الانسان إلى كائن تكنيكي.

وبداية أصبحت نظرة الانسان إلى العالم، تكنيكية وتحولت رزمة العالم المادي ونتاج الانسان إلى تكنولوجيا ومنتج صناعي.

و بداية كانت نظرة الانسان إلى العالم والخليقة، تتسم بالكم واقتصرت رؤيته على المذهب التجريبي، وبعدها غير الانسان من جلده ليستولي ويملك على نطاق واسع.

وبداية تقبل الانسان في ميدان الفكر والثقافة، التكنيك والفكر التكنولوجي، ومن ثم صب جل اهتمامه على إستخدام التكنيك من أجل الهيمنة والتمتع الذي لا حد له بالسلطة والثروة واللذة.

وإن أتيت على ذكر قبول وصاية التكنيك في التاريخ المعاصر الآيل إلى الزوال، فاني كنت أقصد التذكير بهذه النقطة.

إن الوصاية وقبول الوصاية يحدثان بداية في نفس الانسان ومن ثم تتدخل الأعضاء والجوارح لتعرض التعهد والوصاية المرضوخ لها. إن هذه الواقعة تحدث من دون علم ودراية، أي أن انسانا يضع ذاته من دون ملاحظة وحساب تحت عمل وتصرف من رضخ لوصايته. ولا مجال هنا للنفاق.

إن قلب الانسان هو مكان العهد وقبول الوصاية، والرضوخ لعهد صاحب الوصاية في الظاهر والباطن، أكان ذلك فرديا أو جماعيا.

وهل يمكن للحركة الجماعية والعامة للخلق، بصلاحية تامة ورغبة واختيار تامين وبجهد والتسابق نحو مركز وقطب والتقيد بعهد ذلك المركز والقطب أن يكون شيئا سوى ظهور وانعكاس الوصاية والتعهد الذي رضخ له؟

إسمحوا لي أن أقول:

إن العولمة تعنى أنها تحتضن بداخلها كل هذه النزعة والميل نحو العالم الدنيا وترك عالم المعنى.

إن التوحد الثقافي وعولمة الثقافة ما هو إلا إخراج عموم الخلق والأمم من دائرة التعهدات والوصايات السابقة وإدخالهم في «وصاية جديدة.» وكأن سكان الشرق والغرب اتفقوا جملة وتفصيلا على وصاية الغرب أي وصاية التكنيك والتكنولوجيا.

وفي أعقاب الرضوخ لوصاية التكنيك والحداثة وقبول شريعتها وأدبها وسيرتها وسنتها المعلنة، فان مجمل ولاية وأخلاق وأدب وشريعة عموم الملل والنحل تصبح في ذيل وصاية عصر الحداثة وتقع في ظلها، بحيث أن شؤون سائر الوصايات، لن يكون لها إسهام أساسي في الحياة الفردية والجماعية لأمم الغرب والشرق.

أنظروا إلى تأدب الناس وحياتهم وأدبياتهم الجارية في أقوالهم وأفعالهم. فاي منشأ ومبنى أصدر حكمه بشأن الوجود والوجهة وطريق الوصول إليها ودعا إلى التقيد المطلق والسافر بقوانينها؟

وأي أطر وقوانين موضوعة لشريعة ما يطابق الناس أنفسهم وينظمون علاقاتهم معها؟

وألـيس أن جملـة الخلائـق يبـذلون جـل جهـدهم للتعـرف علـى لغـة التكنيـك والتكنولوجيا؟ إن معرفة لغة وأدبيات الماكنة والتكنولوجيا يوفر إمكانية الإشتراك في اللغة مع الماكنة. إنها تفرض لغتها وأدبياتها وأدبها على الناس لا الناس عليها.

وكان يُظن في وقت من الأوقات، أن الانسان قد سخر الماكنة لنفسه ويمتطيها، لكنه ما أن فتح عينيه حتى وجد أن الماكنة قد سيطرت عليه. إن المركب هو الذي وضع لجامه في عنق الانسان ودجنه. وأصبح الجميع في خدمة التكنيك والماكنة. إن الانسان هو الذي يبذل قصارى جهده ويعتمد جل مواهبه الخفية والجلية لديمومة حياة وسيادة الماكنة والتكنولوجيا. وواضح من هو التابع ومن هو المتبوع؟

وهذا التوحد له خصائصه، بما فيها:

- **إن عباد التكنولوجيا المصابون بطاعون العولمة، يفسرون حتى المفاهيم الدينية والوحيانية بالعقل الغربي والأدب الآلي. فالكل يبحثون عن العولمة، ويطلبون ويتبعون ثقافة العولمة. وتربي المدارس، الشبان للإصابة بطاعون العولمة.**
- **الكل يبحث عن العالم ويبحث عن السلطة.**
- **إن عولمة الاقتصاد وعولمة الفن والموسيقى والأدب، تعني الإستغراق في ثقافة العالم الغربي وخلع ثوب المعنى والمعنوية والدين من الجسد و الروح.**
- **ولايبقى في عصر عولمة التكنيك و التكنولوجيا والحداثة، مجال لاي محبة و ولاية.**
- **ويتم في عصر عولمة الثقافة، إعطاء تفسير حداثي ودنيوي وعلماني عن كل شئ وكل انسان.**
- **إن ذلك الرأي والكلام يكون مقبولا لدى رعايا هذا العالم الحديث، أن يكرم قانون هذه الديار ويراعي حقوق مواطنيه. وهذا يعني أن انسان العصر الجديد أصيب بالحداثة في الميادين الفكرية والثقافة والحضارية. وهو الذي يقدم تفسيرا حديثا وتكنيكيا عن العالم ويبني صرح الحداثة على أنقاض الثقافة والحضارة التقليدية ويصبح في أجواء العولمة، تماما في خدمة الحداثة والتكنولوجيا لكي لا تتصدع جدران هذا التاريخ الخالي من المحبة والولاية.**
- **إن جل رعايا هذه الوصاية، يسعون تماما لحماية وحراسة قلاع وصروح هذه المدينة الحديثة. ويزخرفونها ويبذلون كل غال ونفيس على طريق حماية حريم صورة وسيرة هذه المدينة حتى ما تبقى من الصورة التاريخية للعهد الماضي الذي ينطوي على أثر من الولاية السماوية.**

إن الصور المادية والحضارية لاي عصر، تميط اللثام عن حقيقة العهد والعصر الذي قبلته الجماهير ورضخت لأوامره.

إن الصور الخارجية للحياة، شأنها شأن ثمرة الشجرة، هي أبناء العهد والميثاق والتعلق القلبي للناس.

ورغم أن شعوبا غير غربية وحتى مفكرين من الغرب، مارسوا نقد أوجه من الغرب وثقافته وحضارته واحتجوا على أوجه من هذا الغول وشددوا على أفضلية وتفوق العالم المعنوي والفطرة القدسية للعالم والانسان، لكنهم عجزوا عن تقديم منظومة قادرة على طرح السؤال والنقد واختراق ساحاته المختلفة.

إن اعتماد هذا البحث والتذكير بشأن غلبة وصاية الثقافة والحضارة الغربية الفاقدة للمحبة واللطف، وخنوع الجماهير أمام الحداثة، يوفر فرصة ليقف المسلمون وشيعة آل محمّد(ص) على النسبة القائمة بين الولاية والساحة الثقافية والحضارية الخاصة، عسى أن يتحرروا من قيد الإنتقائية والنفاق ويصلوا إلى ضرورة التساؤل عن طبيعة الثقافة والحضارة الحديثة.

العلمانية قربة إلى‌الله

قبل سنين فى تلك الأيام التى كنت شابا قد أبهرت مظاهر الدول الغربية عيون الجميع بشدة و بعض المتدينين بعد أن شاهدوا مظاهر الحضارة الغربية كمنافس شاب يخدع الجميع الذى بدأ بطرد منافسه الشرقي عن الساحة ومن خلال إنجازاته العلمية والتقنيه أخرج الدين عن حياة المؤمنين وأصاب جميع الشباب بفسقه و فجوره، شمر هؤلاء المتدينون عن سواعدهم بخوف وهلع وقلب محروق مملوء بالآلام والأحزان على أمل أن يتمكنوا من صون شباب المسلمين وأن يصالحوهم مع الدين وبذلوا كل ما في وسعهم لكي يقدموا تفسيراً جديداً وعصرياً للدين والقرآن.

كما كانت هناك جماعة من خريجي الجامعات الغربية معجبون ومغرمون بالعلوم الغربية الجديدة دخلوا فى مجال تفسير آيات القرآن والتعاليم الدينية بالاتكال على مبادىء هذه العلوم.

وعلى هذا الأساس فُتح بابٌ جديدٌ فى تفسير الدين والأحكام الدينية و الذي اشتهر فيما بعد باسم «التفسير العلمي للقرآن.»

هؤلاء المفسرون للعصر الحديث كانوا يأملون من خلال تبنيهم هذا الأسلوب للتفسير أن لايزيدوا من رغبة الشباب إلى الدين وأن لايمنحوهم الحصانة أمام عاصفة التبعات

السيئة لنشر الثقافة الغربية فحسب بل أن يكونوا ذات تأثير في أن يسترعوا انتباه ويلفتوا أنظار الغربيين إلى الإسلام والقرآن.

اختصت هاتان المجموعتان قسماً هاماً من اهتمامهم لإثبات أحقية القرآن والإسلام للمخاطبين بناءً على المبادىء الجديدة للعلم وبذلا قسما آخر من اهتمامهم لتحديث مصادر الدين العريقة منذ ألف ونيف من السنين وإثبات إعجاز الآيات القرآنية.

المفسرون الجدد قاموا بتأصيل إنجازات العلم الجديد واعتبروا قواعده ونتائجه فصل الخطاب وتحدثوا عن قوة الجاذبية الأرضية وأسرار خلقة الإنسان وحركة الشمس والنجوم وترتيب فصول السنة وآثار الوضوء والصلاة والصيام على خلايا الجلد والقلب والمعدة وذكروا في هذا السياق الدلائل والشواهد العلمية الحديثة وتتبعوا آثار جميعها بين آيات القرآن وأشاروا إليها لكي يقدموا القرآن باعتباره أثراً متقدماً في العلم الحديث.

اجتازت هذه التفاسير الجديدة في بعض الأحيان النظريات ودخلت عالم الفيزياء ودخل هؤلاء المفسرون ساحة الأحكام الدينية وكانوا يتحدثون عن حكمة الأحكام الشرعية التي وضعها الله والشارع المقدس ومن خلال ذكر شواهد علمية للآثار السلبية للخمر والموسيقى ولحم الخنزيز و كانوا يظنون أنهم قد كشفوا الستار عن أسرار تحريم شرب الخمر والغناء من قبل الشرع المبين.

في الحقيقة عدد من المتتبعين للعلوم القرآنية كانوا يرون أنفسهم مدافعين عن الدين أمام هجوم الماديين وكانوا يعتبرون الدفاع العلمي عن القرآن والأحكام الإسلامية حائلاً أمام هذا الهجوم والبعض الآخر كان يسعى أن يقدم الإسلام باعتباره ديناً عصرياً وأن يسدل الستار على الشعور بالانفعال وعقدة الحقارة والرجعية الموهومة لدى المؤمنين أمام المثقفين.

تفسير «جواهر القرآن» للطنطاوى كان أحد هذه الآثار التفسيرية الذي تم نشره عام ١٣٨٥ه.ق. إضافة إلى هذا فإن تقارب مصر الجغرافي مع الدول الأوروبية ومجي ء وذهاب مسلمي مصر المثقفين إلى أوروبا لكسب العلوم والفنون الغربية كان له دورمؤثر فى ريادة المثقفين فى هذا البلد فى تقديمهم تفاسير علمية للقرآن والدين.

الباحثون والمفسرون فى سائر الدول الإسلامية أيضا حاولوا من خلال استخدام النصوص العلمية تطبيق آيات القرآن مع العلوم التجريبية وكل منهم قدم أثرا مستقلا.

و فى الهند أحمد خان الهندى عام ١٨١٧ م و سيد اميرعلي عام ١٢٦٥ ه. ق وفي باكستان أبوالعلاء مودودي وأخيرا فى ايران المرحوم مهندس مهدي بازركان ويدالله نيازمند شيرازي والدكتور سيد رضا باک نجاد جرّبوا أنفسهم فى هذا المجال وقدموا آثارا.

إنّ ظهور المذاهب الإلحادية وضد الدين كالماركسية كان له دور مؤثر فى نمو ونضج هذا التيار التفسيري في عالمنا الإسلامى. إنّ هذه المذاهب من خلال إستغلال ضعف الأسس الدينية لدى المسيحيين قامت بمساس الأسس النظرية الدينية والنظرة الدينية.

هذه المذاهب المادية كانت تصف الدين بأنّه أفيون الشعوب.

ونشر الدكتور موريس بوكاي الفرنسي أيضا كتابا بهذا الموضوع والفحوى بإسم «التورات و الإنجيل و القرآن و العلم.»

بعض آثار المرحوم المهندس مهدى بازركان مثل » المطهرات فى الإسلام» و كتاب «إعجاز القرآن فى مجال العلوم الحديثة» للمؤلف يدالله نيازمند شيرازي اللذان تم طبعهما خلال عامي ١٣٢٢ و١٣٢٧ هـ. ش و الأثر الشهير «الجامعة الأولى وآخر نبي» للمرحوم الدكتور سيد رضا باک نجاد وأخيراً بعض مقاطع

تفسير المرحوم محمود طالقاني كانت من ضمن هذه الآثار التي قدمت تفسيراً علمياً لآيات القرآن والأحكام الإسلامي.

فى هذا السياق يمكننا أن نشير إلى السيد هبة الدين الشهرستاني فى العراق. إنه ألف كتابي «بصائر جغرافية» و«الإسلام والهيئة» وأيضا يمكننا أن نشير فى هذا المجال إلى رشيد رشدي بغدادي.

المفسرون العلميون كما يزعمون كانوا يأملون أن يثبتوا لمخاطبيهم أحقية القرآن و صحة نصوصه من خلال تطبيق آيات القرآن مع العلوم التجريبية الحديثة.

دون شک إن إشارات القرآن إلى الظواهر الفلكية كالنجوم والسماوات وحركة الأفلاک ودعوة القرآن إلى السير فى الآيات والآفاق كانت مؤثرة فى تحريض وتشجيع هؤلاء المفسرين لتطبيق آيات القرآن مع العلوم التجريبية «البوزيتيويسم».[۱]

في الحقيقة وفقا لقانون لم يكتب فإن المفسرين ينظرون إلى ساحة آيات الوحي الواسعة و التي لانهاية لها من وراء نظارة العلوم التجريبية الحديثة و كانوا يستحصلون الحصص و يجعلونها جميعا أساساً و مبدأ للحصول على المعرفة و الإعلان عن الحكم الغائي حول آيات القرآن والأحكام الإسلامية.

إن المثقفين فى المجتمعات الإسلاميه بعد أن شاهدوا التطورالمادي فى حياة سكان أوروبا وحضارتهم و رأوا أنفسهم على مفترق طريقين طريق يؤدي إلى العالم الغربي الحديث وطريق يؤدي إلى السنن التقليدية الرائجة لدى المجتمعات الشرقية ارتموا في أحضان العلوم التجريبية لتفسير القرآن والدين والأحكام الشرعية.

إنهم على أمل أن يحصلوا على مجتمع حديث حاولوا التعويض عما فات و التخلف عن قافلة الحضارة من خلال نمط أوروبي لكن متدين ومتشرع.

۱.Positivism.

إنهم قبل السؤال عن الأسس النظرية وخلفيات التطور التاريخي والفكري الغربي الحديث وقبل الكشف عن سر التخلف الحاصل للشرق الاسلامي تبنوا نظرة سطحية عن الأمر وساروا بسرعة خلف هذا التطور.

طنطاوي والذي هو من أهم المفسرين العلميين للقرآن وكان رائداً لهذه القافلة كتب تفسيرَهُ من أجل هذا الهدف لكي يتمكن من ارتقاء المستوى العلمي للمجتمع والتعويض عن التخلف الناجم في حضارتهم.

فى البدايه كتابة التفاسير بهذا النمط تمت فى مجال مجموعة من آيات القرآن التي كانت تشير إلى المظاهر الطبيعية والفيزيائية في العالم لكن مع مرور الزمن توسعت هذه النظرة ودخلت ساحات أُخرى كالمناسبات والتعاملات الاجتماعية والسياسية مما أدت إلى علمانية ودنيوية المفاهيم الدينية على مختلف الجهات.

لكسب المزيد من المعرفة هنا سنذكر نماذج عن التفاسير العلمانية التجريبية حول مفاهيم القرآن:

آيه ٨٢ من سورة النمل:

«وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ.»

المفسرون اعتبروا المعنى المقصود من كلمة «الدابة» في هذه الآية هو القمر الصناعي.

حول تفسير آيتي ال ٨ وال ٩ من سورة المعارج «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ» و «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» المفسر اعتبر ذاک اليوم المروع المهيب فى السماوات والأرض بأنّه يوم تظهر فيه الطائرات الحربية مع أدوات حربية مدمرة ومحرقة ونووية فى السماء تحرق جميع الأماكن.

وذكروا فى تفسير الآية الثالثة من سورة الفجر بأن المعنى والمفهوم المراد من «الشفع والوتر» هو الإلكترون و النيوترون و البروتون.

وقالوا فى تفسير «فجّرت» و«سجّرت» فى سورة الانفطار أن المعنى المقصود من هاتين الكلمتين هي انفجار ذرات الماء.

إن المثقفين العلمانيين الغربيين من خلال توجههم العلماني الدنيوي بذلوا كل ما فى وسعهم لكي يؤسسوا جميع العلاقات والتعاليم الجارية بين الناس على أساس المعلومات العلمية الحديثة وأن يتجنبوا القوانين والتعاليم الدينية.

فى أيامنا هذا عندما يتم الحديث عن العلمانية فى المحاورات السياسية والاجتماعية المعنى المقصود منه هو فصل الدين عن السياسة ويعتبر العلماني شخص لايرغب بالأمور المعنوية والدينية فى العلاقات الاجتماعية والسياسية لكن معجم آكسفورد يعتبر العلمانية أنها الاعتقاد بأن القوانين والتعليم والشؤون الاجتماعية ينبغى أن تبنى على المعلومات العلمية قبل أن تبنى على الدين.

على أي حال فإن العلمانية تعتبر إيديولوجية نشأت بعد النهضة العلمية فى أوروبا وكانت نتاجا للنهضة التنويرية وتعني المادية وعدم الإيمان بالدين وبالله والإعراض والاستغناء عن الدين. العلمانيه أساسا طبيعتها الفكر والمعرفة.[٢]

المفسرون المسلمون التابعون للغرب دون فكر وذكر بل قربة إلى الله أدخلوا العلمانية إلى ساحة التفاسير الدنيوية دون الانتباه إلى هذه الحقيقة بأن هدف العلمانية هو العقل غيرالديني وهذا العقل مع أنه ليس ضد الدين ولكن ليس دينا أيضا.

كان لمثل هذا التفسير معارضون أيضا أمثال السيد شاطبي والدكتور ذهبي والشيخ محمّد شلتوت. إنهم كانوا يعتبرون القرآن كتاب الهداية والدليل إلى مسار الكمال وليس كتابا لتبيين القضايا العلمية التجريبية البحتة.

دون شك إن الغرب والدين لميكن لهما نظرة موحدة مشتركة حول موضوع «الهدف والغاية» كموضوع البداية ولهذا ليس لهما تعامل مشترك وموحد فى الكون تجاه الهدف والمبدأ.

مع أن هذه التفاسير مع مرور الزمن وخلال العقود الأخيره قلت مصداقيتها لكن دخول بعض المجتمعات الإسلامية إلى ساحة العلاقات والتعاملات الاجتماعية والسياسية والتجربة الحاصلة عن إدارة العلاقات الشاملة لتنظيم التعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أظهرت نقاط الاختلاف والافتراق بين التوجه المادي العلماني والنظرة الدينية أكثر فأكثر.

فى عصرنا الحاضر الذى تتجلى فيه التطورات السياسية والاجتماعية ذات التوجه الديني على شكل النهضات الاجتماعية فإن المسلمين من أجل الحصول على عالم متطور تام ومواجهة العالم الأوروبي الاستعماري الحديث يحاولون بسرعة لكي يقوموا بتطبيق المعلومات التي اكتسبوها عن طريق الوحي مع المظاهر الثقافية والحضارية لعالمنا الحديث ولهذا فإن المسلمين قبل أن يتأملوا بشكل جاد فى المبادىء النظرية للعلوم الدينية والغربية الحديثة حاولوا أن يجدوا طريقا مختصراً وإيجاد التقارب بين التيار الفكري والثقافي الديني والغربي وإضافة على التمتع بجميع المظاهر الفكرية والثقافية والحضارية الغربية أن يبقوا فى إطار الأخلاق الديني والإسلامي ولهذا فان التيار الذي بدأ منذ عهد السيد جمال الدين اسدآبادي وظهر على شكل التفسير العلمي والعلوم التجريبية للدين والقرآن نشأ ووَجَدَ حياة جديدة.

مضى نحو ثمانين عاما على عهد التفسير العلمي للقرآن فى عصرنا الحاضر والمنتقدون لهذا الأسلوب من تفسير القرآن ذكروا إشكاليات كثيرة عليه و التي يمكن أن نشير إليها على النحو التالي:

١. المنتقدون يعتقدون أن القرآن أساسا هو كتاب الهداية والدليل نحو الكمال وليس موسوعة مملوؤة بالمعلومات العلمية كما يحاول المفسرون الجدد إثباته.

٢. إنهم يعتبرون أن العلم الجديد تقرير حديث و متغيرعن الطبيعة ولهذا بمرور الزمن يمكن أن يفقد مصداقيته وأن عرض تفسير دنيوى لآيات القرآن يمس بالنظرية الدينية بعد حدوث التغييرات.

٣. إنهم يعتبرون هذه التفاسير سببا لفرض النظريات والفرضيات غيرالمتقنة في القرآن.

٤. المنتقدون يعتقدون أن هؤلاء المفسرين يقومون بتأويل الآيات لإثبات استنباطهم الشخصي.

٥. المنتقدون يعتبرون هذه التفاسير بأنها سبب لتطبيق النظريات التى لم يتم إثباتها علميا مع القرآن مع أن الصحيح هو تطبيق المواضيع العلمية التي تم إثباتها علميا فقط مع القرآن وينبغي الاجتناب عن النظريات التي تمكن أن يتم إثبات عكسها أو ترفض لكي لايتعرض تفسير القرآن للصعود والهبوط مع صعود وهبوط العلم.

٦. هولاء المنتقدون أيضا يعتبرون هذه التفاسير ناتجا عن التعامل الانتقائي مع العلم و القرآن و يعتقدون أن التلاعب بمضامين الآيات والتقليل منها لتطبيقها مع وجهات النظر العلمية العلمانية يؤدي أخيرا إلى التعامل الانتقائى.

فى المقابل هناك مجموعه أُخرى تحاول تبرير هذه التفاسير العلميه التجريبية للقرآن والأحكام الدينية.

إن ما تم التغافل عنه فى هذه المواضيع رغم أهميتها ومكانتها هو التساؤل.

المثقفون المتجددون كانوا معجبين بالحضارة والإنجازات العلمية الحديثة وباتوا يبحثون للحصول على مبررات دينية وتوثيقات شرعية لتأييد الغرب فى المجالات

النظرية والثقافية وهذا الأمر كان يساعدهم لكي يسبحوا فى بحر الحضارة الحديثة والتقنية والاستمتاع بإنجازاتها دون رادع وحائل وحصار وإنهم أصيبوا بنوع من علمانية الدين والأحكام الدينية وزادوا من تبعية المسلمين للغرب فى مختلف المجالات وحالوا دون التساؤل بشكل جاد عن مبادىء الثقافة والحضارة الغربية.

هذا التطور أخّر حدوث تجديد الحياة الثقافية فى العالم الاسلامي باعتباره قضية مقدسة وأطال من مدى انفعال الأمة الإسلامية أمام تاريخ الغرب.

كما ذكرت فى كتاب «السؤال من الغرب»[٣] كان على العالم الاإسلامي منذ الأيام الأولى التي تعرف فيها على الحضارة الغربية أن يبدأ بالسؤال لكن ريادة المثقفين المتجددين فى العلاقات الاجتماعية حالت دون هذا السؤال وأدى إلى ارتماء سكان الشرق الإسلامي فى أحضان الغرب في مختلف الجوانب.

للأسف الشديد طيلة العقود الثلاث الماضية رغم أنه تم توفير الأرضيه للتطور والثورة الثقافية في ايران الإسلامي بسبب بعض التجاهلات والإهمالات فإن فرصة السؤال من الغرب تم تبديدها وتم تأجيل الثورة والتطور الثقافي.

الآن وبعد أن أصبحنا على أعتاب الانهيار الكامل للثقافة والحضارة الغربية ونهاية تاريخها فإن جرس التاريخ الجديد بدأ يرن باسم الدين والإمام المهدي الموعود أرواحنا له الفداء وتم الحديث عن ضرورة الاهتمام بموضوع «أنموذج ايران الإسلامي المتطور» ينبغى الانتباه إلى الأمور التالية:

١. إن الحظ والتاريخ والفكر الغربي التي أدت إلى التطور والتنمية آلت إلى الزوال منذ سنين وإن الغرب الآئل إلى الانهيار والزوال لابد له أن يستسلم أمام التاريخ الديني الجديد. منذ سنين بعيدة سمع الكثير من المفكرين الغربيين صوت جرسه وأعلنوا عنه

ومن بعدهم سمعوه حتى السياسيون والعسكريون فى الغرب. إن هجوم ائتلاف الصليبيين والصهاينة ضد الشرق الاسلامى يشير إلى علمهم بهذا الأمر.

٢. إن جميع المبادىء والأصول الثقافية والحضارية الدينية موجودة فى مصادرنا أي القرآن والروايات وأن العلماء والمفكرين الإسلاميين خاصة الإيرانيين خلال العقود الست بعد ظهور الإسلام اجتازوا مساحات ثقافية وحضارية واسعة بفضل إتكالهم على تلك المبادىء والأصول.

البحث المدروس مع الدقة فى تاريخ الماضي والمستقبل يوفر الأرضية للتلائم مع التطور العظيم الآتي والاستعداد لإستقباله.

٣. دوما وطيلة الأعوام الماضية للعالم الاسلامي من القرن الثالث عشر هجري قمرى إلى الآن كانت رؤية الشرق فى مرآة الغرب من أهم العوامل التي أدت إلى إنفعال الشرق الإسلامى أمام الغرب الحديث. عامة المثقفين المتجددين وحتى المتدينين كانوا يشاهدون الشرق الاسلامي في مرآة الغرب ولهذا دوما كانوا يعرفون ثقافتهم وحضارتهم تبعا للتاريخ الغربي ولهذا عاشوا منفعلين وطفيليين على هامش الثقافة والحضارة الغربية. عند الحديث عن هذا النموذج ينبغى أن نذكر هذه العادة لمدمن عمره مائة سنة ونيف.

٤. إن الحداثة لها أساس ولايمكن لنا أن نكون شركاء تام فى التاريخ الحديث دون أن نعترف بمبادىء الحداثة وأن نجرب تمهيداتها ولهذا فإن الإحياء البحت للمظاهر التاريخية للثقافة والحضارة الإسلامية دون الاعتناء بمبادئها وأصولها يؤدي إلى الانحراف عن الصواب كما أن الاتكال على الصورة التاريخية للثقافة والحضارة الغربية دون الانتباه إلى مبادئها وتمهيداتها أيضا يؤدي إلى مثل هذا الانحراف. هذه المصيبة مرت على جميع سكان الشرق الاسلامي بسبب إهمالهم.

لو كان شراء منتوجات العالم الحديث وتحديث المدن والإحياء يؤدي إلى امتلاك جميع التمهيدات الضرورية للالتحاق بالعالم الحديث صاحب التقنيات المتطورة فإن السعودية وتركيا كانتا الآن ضمن التكتل الغربي الحديث كما أن تزيين المدن بالشعائر الإسلامية وإنشاء مطاعم تقليدية لم يؤد حتى الآن إلى امتلاك أي من الأمم الإسلاميه ثقافة وحضارة اسلامية.

٥. إن اهتمامنا وانتباهنا بتاريخ الغد يساعدنا لكي نحدد موقعنا وموقفنا وحركتنا فى الأرض.

إن تحقيق الغد لايمكن إلا من خلال بزوغ نجم سعادة المسلمين التى تمت البشارة بها وظهرت طلائعها منذ بعيد.

إن التوجه والحركة المتناسقة مع هذا التاريخ والانسياق مع النسيم الذى بدأ يهب كالنسيم الشرقي الذى يزيل جمود وتكاسل شتاء الحداثة بفضل حرارة شمس ستبزغ إنشاءالله.

السّلام على ربيع الأنام و نضرة الايّام

دعوة (الاتصال)، استدعاء الشياطين

قال الإمام عليّبن موسىالرضا(ع) وهو يخاطب السيد عبدالعظيم الحسني:

«يا عبدالعظيم، أبلغ عنى أوليائى السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً ...»

على عكس القصة والرواية، فإنه ليس سهلا قراءة المسرحية بدليل طريقة كتابتها و تنظيم أسطرها.

إن قارئ المسرحية يضطر أثناء القراءة لإعادة صياغة المشاهد و الأحداث التي تقع لأبطال المسرحية وممثليها في ذهنه وأن يتماشى معها مشهدا مشهدا.

و من بين المسرحيات الكثيرة التي قراتها أو سمعتها، هناك مسرحية تدور أحداثها حول المصير المؤلم والمحزن لعالم وأستاذ يدعى الدكتور فاستوس[1] لفتت انتباهي. وقد كتب هذه المسرحية كاتب بريطاني يدعى كريستوفر مارلو[2] في آخر عقد من القرن السادس عشر.

---

١. Dr. Faustus.
٢. Christopher Marlow.

و كان الدكتور فاستوس وحيد زمانه في الحكمة والإلهيات والمنطق. وكان يجيد الطب والقانون، لكنه لم يكن قانعا وراضيا بهذا التفوق، لذلك ومن أجل تلبية طموحه الذي لا ينتهي لجأ إلى السحر والشعوذة وأدار ظهره لجميع المعتقدات الدينية لآبائه وأجداده. وأغلق الأبواب بوجهه واستعان بالعلوم الغريبة والرقية والتمائم. ومضى قدما في هذا البحث والطلب إلى أن أفلح في لحظة ما في إقامة اتصال مع الشيطان.

ويرى فاستوس، شيطانا يدعى مفيستوفيليس[١] يظهر من وراء ظهره. إنه يسعى جاهدا لجعل مفيستوفيليس يقوم على خدمته، لكن بما أن الأخير هو في خدمة أمير الشياطين أي لوسيفر، لم يصبح في خدمة فاستوس لكنه يساهم في التوقيع على عقد دموي بين فاستوس والشيطان بفضل اصرار فاستوس وبوساطة من مفيستوفيليس كوسيط و رسول لأمير الشياطين.

و بموجب هذا العقد، يحصل فاستوس على أربعة وعشرين عاما من الحياة والتمتع بمساعدات ودعم مفيستوفيليس، وفي المقابل يوافق فاستوس على أن يقدم روحه في نهاية الموعد المقرر ويجعلها في خدمة الجحيم.

و يلبي الشيطان خلال هذه الفترة بعض طلبات فاستوس ويرد على أسئلته، لكن و بعد كل مرة من التمتع، يقترب فاستوس مرتبة أكثر إلى عتمة الروح والجحيم.

ويغوص فاستوس أكثر فأكثر في الظلام والعتمة متجاهلا تنبيهات الملك الطيب الذي يلوم بين الفينة والفينة نفس فاستوس ويدعوه إلى التوبة والإنابة والعودة عن الحرص والعنجهية، ويقضي بالتالي أربعة وعشرين عاما من الحياة بطبيعة تتسم بالإثم متنفرا من جميع قيود العلم البشري.

---

١. Mephisto philis.

ويمزج فاستوس الإثم والذنب بشهوة السلطة والتحسين والمكر والخديعة وتتغلب عليه نشوة الانتصار ليجد نفسه بغتة في وضع لا يمكنه من الحديث عن الله والمسيح. ولا يمر زمن حتى تسوء معيشته ويرحل عن هذه الدنيا بموت زؤام. ويعثر تلامذته على جسده ممثلا به، بينما ذهبت روحه إلى الجحيم.

إن فاستوس هو المصير المحزن وتراجيديا الإنسان الذي يبيع نفسه للشيطان.

ان مصير فاستوس هو ليس مصير عالم كبير من أهالي «ورتمبرغ» بألمانيا فقط، بل هو مثال لعصر الإنسان. قصة تاريخ طويل يمتد على مدى أربعمائة عام يتصف بصفات ماستوس. قصة إنسان يطغى عليه عطش السلطة والميل للاستيلاء على جميع الحدود من دون رادع ووازع، ويدير ظهره لجميع السنن والأوامر والنواهي السماوية ليستحوذ على السلطة على جناح الذنب والإثم والشعوذة والشيطان.

وقد طغت شهوة السلطة والهيمنة على فاستوس لدرجة لا تؤثر فيه نصائح وتنبيهات ملك الرحمة الذي يدعوه إلى تحاشي السحر والشعوذة وإلى العودة والإنابة.

وفي أول لقاء جمعه مع مفيستوفيليس، يطلب فاستوس منه بأن يلازمه على الدوام وأن ينفذ له ما يريده، حتى وإن كان إخراج القمر من مداره أو إغراقالأرض بالمياه. ويقول مفيستوفيليس في بادئ الأمر بأنه عبد إبليس ولا يمكن له أن يسدي أي خدمة لفاستوس من دون إذن ابليس، لكن إبليس (لوسيفر) يعطي هذا الإذن لكي يحقق فاستوس مطالبه.

ورغم أن مفيستوفيليس يذكره بداية بأن اللعنة الأبدية تلاحقة في هذه الواقعة وسيخلد في الجحيم وحيثما يذهب سيكون الجحيم معه وهو مع الجحيم، لكنه يعلن بغطرسة تامة ورقبة ممشوقة:

إن كان لي مكان بعدد نجوم السماء لكنت أسلمها كلها إلى مفيستوفيليس... وسأكون بمساعدته ملكا على جميع الأوطان وسأبنى فى السماء جسرا معلقا لكى أعبر من عليه المحيط. إنى ساتسلق ذلك الجبل الذى يفصل أفريقيا عن أوروبا... والآن حيث حصلت على كل ما أردت، يجب أن أعلم ما الأعمال الكبرى التى يمكن إنجازها بمدد علم السحر.[١]

إن فاستوس الذي يعيش أجواء السلطة، هو كالمقامر الذي يضحي بكل شئ من أجل ابليس.

إن قصة فاستوس، هي قصة «استدعاء.» استدعاء قوى الشر المنتشرة وفتح أبواب مملكة الوجود لها. القوى التي تدخل عبر بوابات مملكة الإنسان وبإذن الإنسان وتضيق الخناق شيئا فشيئا على سائر القوى (القوى الرحمانية) وتفرض هيمنتها وسلطتها على جميع نواحي ومناطق تلك المملكة، لكي تنقل في آخر لحظة جسم الإنسان وروحه الفاسدة والمشوهة إلى الجحيم لتزيد من عدد أنصارها.

وفي قصة الدكتور فاستوس، يبدا كل شئ مع استدعاء وارتباط وثم «عهد.» إن العهد المبرم يحدد مصيره ونهاية سيره وسفره.

إن «التاريخ الغربي لأربعمائة عام» الذي يستعرض جشع الإنسان الغربي ونهمه و نزعته الشمولية، ليس على غير شبه بفاستوس وعهده مع ابليس. فالمسار واحد، بحيث أن جميع سنوات القرن العشرين تعرض مجمل الأزمات والمآزق المتلازمة بفجائع وكوارث وعسف ونتائج هذا العهد غير الرحماني.

---

١. الدكتور فاستوس، ترجمة لطفعلي صورتكر، ص ٤٢.

وكل ما حل بقصة الخلقة طوال التاريخ، منذ اليوم الأول ومنذ إبرام عهد الإنسان الأول مع الله، تمثل في الامتثال والرضوخ لأوامر ونواهي ذلك الرب الجليل ونكث هذا العهد.

و الآيات الكريمة:

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ.»[1]

تبين بداية ونهاية نكث العهد مع الله تعالى وانعقاد العهد مع الشيطان الرجيم.

وربما يمكن القول بأن قصة مجئ الإنسان وذهابه في الأرض على مدى القرون المتمادية هي قصة انعقاد العهد ونكث العهد مع مصدري الرحماني أو الشيطاني.

ويسري ويجري دائما وعلى امتداد التاريخ وعلى أديمالأرض والعلاقات الإنسانية، نهران وتياران وسلسلتان تحتضن ببطانها عموم البشرية. وأحد التيار الذي أرسى عهده مع الشيطان وأصبح في خدمته لينتفع من ثمار هذه الصداقة، والثاني التيار الذي أرسى عهده مع الله ورسله، وأصبح في خدمته.

ويقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا معاهدي إبليس:

«اِصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.»[2]

وبخلاف ما يُتصور فإن جميع سبل اختراق الشيطان وجنوده للإنسان، مغلقة. ويبذل إبليس جل جهده لفتح نافذة لينفذ من خلالها إلى مملكة الإنسان.

وأول نافذة للاختراق والنفوذ في الشعور والوعي هي «الوسوسة والإغواء.»

---

١. سورة يس (٣٦)، الآيات ٦٠-٦٣.
٢. سورة يس (٣٦)، الآية ٦٤.

وعن الإمام الصادق(ع):

«ما مِن مَولود يولد إلا على الفطرة، فابواه اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.»[١]

إن سلاح «الوسوسة» و «الإغواء» الذي يستخدمه الشيطان لن يكون فاعلا تجاه الذي أحكم إغلاق جميع منافذ وحدود مملكة وجوده. ويخاطب الشيطان، الإنسان يوم القيامة قائلا:

«... لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.»[٢]

الاستدعاء وإقامة الاتصال؛ الظروف والمتطلبات

ثمة عوامل مهمة للغاية وذو اثر وضرورية في موضوع الارتباط والاستدعاء في أي حقل وأي عصر سواء رحماني أو شيطاني، ولن يحصل الاتصال من دونها أو إنه يحصل بشكل منقوص وبلا أثر.

الأول: وقت وموعد إقامة الاتصال والاستدعاء؛

الثاني: مكان وظروف إقامة الاتصال؛

الثالث: الأوراد و العزائم والأذكار المؤثرة في عملية الارتباط؛

الرابع: الآداب والمناسك والمراسم الخاصة؛

---

١. من لايحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٥.
٢. سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٢٢.

والخامس وأخيرا: صلابة النية والعزيمة والحسم والحميمية بخشوع وحضور قلب لإقامة الاتصال والاستدعاء.

إن معرفة هذه العوامل وأثرها مهم للغاية بالنسبة لنا، بحيث أن مؤمني جميع الديانات الإلهية وأنصار الفرق المشركة وحتى عبدة الشيطان – منذ غابر الزمن وإلى الآن – يعرفون هذه العوامل الخمسة لإقامة الاتصال بمصدر الفيض الرحماني أو الشيطاني، ويتقيدون بها في وقت الاستدعاء.

إن سبب إخفاق الكثير من عمليات إقامة الاتصال يعود إلى أحد هذه العوامل، بحيث أن مسالة الاستدعاء تتلخص في عبارة «إقامة الاتصال.»

إن الكثير منا يعرف اليوم طريقة التلفنة وإجراء اتصال هاتفي مع الشخص المنشود. وكل رقم يمثل رمزا وكودا يسير قدما مرحلة بمرحلة ويوصل المتصل بالشخص الذي يريد الاتصال به.

فالأرقام ٠٠٩٨ على سبيل المثال توصل الشخص بإيران والأرقام ٠٢١ بطهران والأرقام ٨٨٩ بجغرافيا المنطقة السادسة في طهران، وبذلك نتصل بالمنزل أو الشخص المنشود مع تدوير آخر رقم على قرص التلفون.

إن حلول رقم محل آخر أثناء الاتصال وتدوير قرص التلفون، يجعل الاتصال منقوصا أو خطأ.

وهناك شخص يجلس بجانب الهاتف على أتم الجهوزية لالتقاط سماعة الهاتف مع أول نغمة أو رنين.

إن مجمل أعمال نا وأقوالنا على امتداد العمر ونشاطاتنا على مدار الساعة، الممدوحة منها أو المذمومة، تشبه الأرقام التي إن أديرت بالترتيب وفي ظروفها الخاصة، توصلنا بمتلق في الجانب الآخر حتى وإن كنا غير راغبين في الحوار

والحديث معه. مثلما أنه حتى إن أدرنا قرص الهاتف بشكل عشوائي ومن دون قصد وتحديد، فإنه سيوصلنا بمتلق على الجانب الآخر من الهاتف.

وكثيرا ما يحصل أنه عندما نريد إجراء اتصال مع صديق قد يتم تدوير رقم بشكل مغلوط وبالتالي يحصل اتصال هاتفي غير مرغوب فيه ونسمع صوت شخص لا نعرفه في الجانب الآخر من الهاتف.

ويمكن اعتبار مجمل الأوامر والنواهي الإلهية بمثابة كودات ورموز للاتصال، الأرقام التي إن تم تدويرها سيحصل نوع من الاتصال.

أصناف الاستدعاء

الاستدعاء من الصنف الأول

إن الاستدعاء من الصنف الأول والعام هو استدعاء وتلفنة غير مقصودة. ويقوم المتصل بالتلفنة من دون معرفته بالمتلقي المحتمل ويحصل الاتصال المحتمل العشوائي ويسمع فجأة صوت من الجانب الآخر من الهاتف يلقي عليه التحية.

وبما أن الإنسان يجهل الشبكة الواسعة والذكية والدقيقة والمنتظمة الموجودة في الكون، فإنه لا يجعل حركاته وسكناته تجاري هذه الشبكة الدقيقة والممنهجة وهذا يشكل بداية للكوارث والبلايا والفجائع له على الصعد الدنيوية والبرزخية والآخروية، بحيث أن الفضاء المحيط بنا، ملئ بالأمواج الرادية وإن جهازنا للاستقبال يستقبل في كل مكان أمواجا ويبثها، كما إن الفضاء المحيط بنا زاخر بالآف الكائنات الملائكية والملكوتية الخفية لكنها جاهزة للانتقال إلى مستقبلاتنا رغم أنها غير مرئية. إن كل إنسان هو بمثابة جهاز استقبال قادر على التقاط الأمواج والاتصال بهذه الكائنات.

وقد أهدى الأنبياء والأوصياء عن طريق الكتب السماوية والتعاليم الأخلاق ية والأوامر والنواهي الشرعية، كتيبا كبيرا للإنسان حافلا بالكودات والرموز والأرقام.

وبما أن أي فعل وردة فعل تستهدف رقما ما فإنها تتسبب بإقامة اتصال رحماني أو شيطاني، وتتحصل تبعا لها نتائج رحمانية أو شيطانية. إن هذا الكتيب يعلم الإنسان رمز المسار وكيفية إغلاق طريق اختراق الأمواج الشيطانية للإنسان.

إن سماع صوت أم حنون أو صوت مدو لرجل استيقظ للتو من نومه على إثر رنين الهاتف والاتصال غير المقصود به وهو يصرخ في سماعة الهاتف عليكم، هو حصيلة اتصالكم لا ذنب هاتفكم.

إن الكثير من أعمالنا تجعل من دون أن ندري أو لا ندري، هاتفا ما يرن وتستدعي بالتالي شخصا ومتلقيا ما.

وكما اعلنت في مناسبات مختلفة بان إقامة الاتصال بشكل ذكي، تتبعه نتائج مفيدة فإن إقامة الاتصال بشكل عرضي أو غير صحيح، يتسبب بتداعيات مؤسفة لأن العالم ملئ بملايين ومليارات المتلقين الصغار والكبار، الجميلين والقبيحين، الصالحين والطالحين.

وبما أنه من غير الممكن التعرف على مليارات المتلقين وعدة مليارات نتيجة غير معروفة للإنسان، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد سلفا وعن طريق الأنبياء والأوصياء كتيب التلفون اللازم لإقامة اتصال سليم وصالح لكي لا تفوت الفرصة على كشف المنزل المقصود. وبالتحديد خلال الفترة الوجيزة من الحياة التي لا تستمر إلا لعدة أعوام في هذه الدنيا.

ولنعد إلى العوامل الخمسة المهمة في إقامة الاتصال.

إن جميع الديانات والمذاهب والفِرَق، تعرف أهمية «وقت وموعد إقامة الاتصال.» وثمة أوقات في اليوم والشهر والسنة تجعل من الممكن دائما إقامة «اتصال سريع ومؤثر» مع متلق خاص.

وفي الأدب الديني للمسلمين يعد وقت السحر وأثناء شروق الشمس وغروبها ووقت هطول المطر وليالي القدر ورفع صوت الأذان من المآذن وأثناء السفر والمرض و...، من الأوقات الملائمة لإقامة اتصال والابتهال إلى الباري عز وجل لتلبية الحاجات.

وقال الله سبحانه وتعالى:

«ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.»[١]

وكأنه سبحانه وتعالى جاهز دائما لتلقي الاتصال من عباده. إنه أقرب من أي أحد لأنه قال تعالي:

«وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ.»[٢]

فعلى سبيل المثال ورد في الروايات أنه إن لم يُغفر لأحد في ليالي القدر، فإنه لن يكون له سبيل سوى تجربة صحراء عرفات.

وبلا شك فإن الإنسان المؤمن إن ابتهل إلى الله تعالى وتضرع إليه بالدعاء في أي وقت وطلب منه الاستجابة لحاجته، فإن الطريق ممهد، لكن ثمة اوقاتا يكون فيها الطريق والظروف أكثر تمهيدا وجهوزية للدعاء والطلب من الله تعالى والارتباط بمنبع الفيض والنور.

وقال الإمام الصادق(ع):

---

١. سورة غافر (٤٠)، الاية ٦٠.
٢. سورة ق (٥٠)، الاية ١٦.

«يُستجاب الدُعاء فى أربعة مَواطن: فى الوتر وبعد الفجر و بعد الظهر و بعد المغرب.»[1]

وعن النبي الأكرم(ص) قال:

«إذا زالت الشمس فُتحت أبواب السماء وأبواب الجنان وأستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عند ذلک عمل صالح.»[2]

إن العارفين بالله والسحرة والمشعوذين والمرتاضين، يعرفون أكثر من عامة الناس أهمية عامل «وقت الاتصال.» كما آن السحرة والمشعوذين يعدون آنفسهم في أوقات خاصة من الشهر والسنة والآسبوع واليوم والساعة لإقامة اتصال مع الجنود الشيطانيين والحصول على إ جابة.

ويمكن القول بأن «المكان والظروف الملائمة لإقامة اتصال سريع ومؤثر» تحظى بالعمومية لدى المسلمين. إنهم يعرفون أن بوسعهم إقامة اتصال مع مصدر الفيض بشكل أسرع وأسهل في المزارات والأضرحة وتحت قبة ضريح الإمام الحسين(ع) وفي المحراب و... وأن يحصلوا على النتيجة المرجوة ويستجاب دعاؤهم.

وفي الجانب الآخر، فإن الفرق المختلفة تملك معابد خاصة وأماكن محددة لإقامة الاتصال المؤثر مع الجهة التي تنشدها، فعلى سبيل المثال، تتيح الأبنية هرمية الشكل إمكانية أسرع وأفضل لإقامة اتصال مع الشياطين. وعلى العكس فإن المباني التي تملك قبة كالمساجد وأماكن الزيارة والأضرحة تجعل من السهل إقامة اتصال مع الجنود الرحمانيين.

ومن ثم، فإن آداب ومناسك إقامة الاتصال تكتسى أهمية خاصة.

---

١. اصول الكافي، ج ٤، ص ٢٢٦.
٢. سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٤.

وهناك في جميع أشكال وأصناف إقامة الاتصال، آداب ومناسك لإقامة هذا الاتصال سواء كان اتصالا بسيطا أو معقدا، ابتدائيا أو متقدما، شخصيا أو جماعيا.

وإن شاهدتم رجلا في كشك هاتف وهو يمسك بسماعة التلفون بالمقلوب ويضع فوهة الهاتف على أذنه، ماذا ستقولون؟ ستعتبرون بلاشك أن من الصعوبة بمكان أن يكون قادرا على إقامة اتصال.

إذن فإنه يكون قد تجاهل الآداب والمناسك ونسخر منه أحيانا. وكل هذا مؤشر على جهلنا ب «آداب ومناسك» ضرورة إقامة الاتصال.

إن آداب ومناسك السحرة من قبائل الهنود الحمر في القارة الأمريكية تبدو مثيرة للسخرية بالنسبة لنا، في حين أنهم وجدوا على إثر تعاليم أسلافهم والتجربة أن بوسعهم إقامة اتصال مع «الجنّ» أو «الشيطان» الذي يرد عليهم، رهن بهذه الآداب والمناسك، حتى وإن كان مقيم الاتصال لا يدري أن من يرد عليه هو الشيطان عديم الرحمة ويظنه في قرارة نفسه أنه الإله ورب رحماني ويعبده.

إن آداب ومناسك إقامة إنسان العصر الحديث اتصالا تعد بلاشك مثيرة للسخرية و الاستهزاء بالنسبة للهنود الحمر والقبائل البدوية التي تقطن الصحارى الأفريقية. ان هؤلاء يجهلون أيضا سر هذه المناسك التي تعد شرطا مسبقا وضروريا لإقامة الاتصال. يذكر أن مناسك الاستدعاء تختلف حسب العوالم المختلفة والمتلقين الإنسانيين والجنيين والإلهيين.

وللمسلمين والمسيحيين واليهود و... كل له آدابه ومناسكه الخاصة. وهذه المناسك ورغم تصورنا ليست بروتوكولية وشكلية، بل هي مقدمة ضرورية لإقامة الاتصال أو حفظ وديمومة الاتصال.

إن الحفاظ على صورة وآداب الصلاة والصوم والحج و... تكتسي أهمية بالنسبة للمسلمين وتعد أمرا ضروريا للتواصل مع الله الرحمن بقدر ما تحظى من أهمية بالنسبة ل «الآداب التمهيدية للسحرة والمشعوذين وطاردي الأرواح الشريرة» لإقامة ارتباط بالقوى الشيطانية الخبيثة. إن عدم المعرفة الدقيقة بهذه المناسك، يؤدي إلى تغير في مواقع الأعمال ونوعية وكمية الأعمال، على غرار تغير مواقع وأماكن أرقام وكودات التلفون وجهاز عد العملات الورقية و... فضلا عن إرباك الاتصال و زعزعته.

إن أحد أكبر خدع ومكائد أعداء الإنسان والأديان (الشيطان وبني اسرائيل) لإحباط وتقويض اتصال المؤمنين بمصدر الفيض الإلهي، يتمثل دائما في الاخلال بالمناسك و الآداب و مواقع إقامة الاتصال و الأوراد و الأذكار التي جاء بها الأنبياء و الأولياء الإلهيين.

إن منوري الفكر المتجددين والدارسين في بلاد الإفرنج على مدى الأعوام المائتين الأخيرة في العالم الإسلامي، ممن يتجاهلون حكمة الآداب والمناسك الدينية يستهزئون ويسخرون من هذه الآداب ليدخلوا في مواجهة وصراع مع الدين والمؤمنين وحولوا بذلك حشود غفيرة من الشبان غير المطلعين إلى الإلحاد ومعارضة الدين. كما أن العلماء والمتدينين لم يكونوا للأسف قادرين على فك شيفرة هذه الآداب والسنن.

جدير ذكره أن عموم الناس المؤمنون منهم أو الكافرون، لديهم في أي صورة وهيئة كانت، مناسكهم لنيل أهدافهم ويحترمونها. لكن كيف يتم تجاهل آداب ومناسك المسلمين المصلين والحاجين و... والاستخفاف والاستهتار بها؟

كما أن المطربين وشاربي الخمر و... لديهم هم الآخرون آدابهم ويصلون من خلال الاحتفاظ بها إلى أعلى درجات التمتع النفساني و الشهودي.

وهذا الكلام يكتسي أهمية بالنسبة ل «الأوراد والأذكار والعزائم» أيضا. إن الأدعية والأذكار والعزائم هي في الحقيقة جزء من أحد أركان إقامة الاتصال بالمصادر. ويقوم المؤمنون وهم في وقت خاص ومكان خاص بتأدية هذه الآداب و المناسك الخاصة ويتلون أورادا وأذكارا خاصة ليقيموا عبر كل ذلك اتصالا مع مخاطبهم ويحصلون على إجابة.

إن الأذكار الخاصة بالصلاة شأنه ا شان سائر اركان إقامة الاتصال والاستدعاء، مثل الركوع والسجود واستقبال القبلة وزمان اداء فريضة الفجر والظهر والمغرب، تعد من ضمن الاركان الرئيسية لإقامة الاتصال عن طريق الصلاة.

إن عموم عبدة الشيطان والسحرة والمشعوذين يقيمون ارتباطا بمصادرهم المنشودة من خلال حفظ جميع الشروط أو الإفادة من الأذكار والأوراد التي يتلونها أو يرسمونها على الأرض و ... .

ولا شك بأن أيا من الأحكام العبادية وحتى طريقة وترتيب تاديتها، تحمل في طياتها حكمة، خافية علينا.

إن تاكيد المصادر الوحيانية على مراعاة سنة رسول الله(ص) وطاعته قولا وفعلا وفي الجزء والكل، مؤشر على الدور غير القابل للإنكار لهذه السنن السماوية في إقامة الاتصال مع المصدر النوراني والحصول على النتيجة والجواب من قبل العباد.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أعمال كُمْ.»[1]

---

١. سورة محمّد، الاية ٣٣.

وإن لم يكن هناك إطار لأي من الأعمال ولم تترتب نتائج على صورة الأعمال، لما كان النبي الأكرم(ص) يلزم الناس في هذا الخصوص بمراعاة الأطر والتأسي بسنته.

وقد وردت العديد من الروايات حول تأدية الصلاة باللغة العربية.

«لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.»[1]

وجاء في حديث المعراج أنه عندما عُرج بالنبي(ص) إلى السماء أوحى له الله: يا محمّد ان اقرأ في الركعة الأولى (بعد الحمد) نسب ربك: «قل هو الله أحد ...» وفي قراءة الركعة الثانية: «إنا انزلناه فى ليلة القدر...» إذ إن في هذه السورة نسبك ونسب أهل بيتك إلى يوم القيامة.[2]

وفي رواية مفصلة يخاطب الإمام الصادق أحد أنصاره فيقول إن من المؤسف أن يمر كل هذا العمر ولم تقرأ صلاة بشكل صحيح. ويبين جميع آداب وأذكار الصلاة. ويقول الراوي، إن الإمام عليه السلام بيّن بعدها وبخشوع تام الصلاة بشكل صحيح [وكما في سنة رسول الله(ص)].[3]

ويصرح عموم الفقهاء ومراجع الدين على قراءة الصلاة باللغة العربية الصحيحة.

كما ورد في سنة جميع الكهنة والسحرة والمشعوذين أنهم أدوا جميع الأوراد والعزائم طوال التاريخ باللغة الأصلية والمقررة (الخاصة بمراسم إقامة الاتصال).

إن جميع شروط إقامة الاتصال المؤثر وضعت وبينت على يد المعلمين الأولين والمتمرسين البارعين. لذلك فإنه يتم حماية هذه الأسرار بين جميع الفرق كسر مكتوم، على يد رواد هذه الفرق.

---

١. عوالي اللآلي، ج ١، ص ١٩٦.
٢. اصول الكافي، ج ٣، ص ٤٨٥.
٣. المصدر السابق، ص ٣١١.

إن عامة الناس والمبتدئين يحاولون دائما الحصول على دعاء أو ذكر أو تعليم يمكنهم من إقامة اتصال سريع مع مصدر ومرجع رحماني أو شيطاني.

إن سرية المحافل الخفية على مدى القرون المتمادية تعود إلى احتفاظها بسر «إقامة الاتصال المؤثر» مع الجنود الشيطانيين، بحيث أن اختيار السحرة والمرتاضين وقارئي الطالع و... العزلة والخلوة نابع من هذه الآداب ولكونهم يخفون ويخبئون أسرارهم المهنية.

لقد تلقى الأنبياء الإلهيين كتيب الأرقام والرموز من المصدر الرئيسي والمخاطب الحقيقي أي الله الرحمن الرحيم الذي هو منبع جملة الفيوضات والمستجيب لجميع المحتاجين وصاحب جميع النعم ومزيل الهموم والغموم ومرشد الصراط المستقيم والقاضي والحاكم النهائي لقياس جميع أعمال الخير والشر. وتعلموا منه آداب ومناسك إقامة الاتصال ووفروا الأذكار والأدعية والآيات الضرورية لإقامة الاتصال وعرضها على أتباعهم. وبما يتناسب مع نسبة قرب وجهوزية واتساع وجود المتلقين الخاصين والعامين. ليوصل المؤمنين بشكل أسرع وأكثر أمنا بالمصادر النورانية السماوية والرحمانية.

إن أمثل وأسرع طريق لقطع اتصال الناس بالمصدر الرئيسي هو إحباط الاتصال وتيئيس المتصل من إقامة الاتصال وإرباك هذه الأركان الرئيسية الخمسة، أي خلط أرقام وكودات الاتصال. ومن هنا يصبح الاتصال غير ممكن وصعب وناقص ومهمل أحيانا وتتحول الآداب والمناسك إلى صورة تفتقد إلى الروح ولا تسهم في إيجاد حدث كبير في الحياة الفردية والإجتماعية.

إن إلقاء نظرة على المصادر الوحيانية (القران الكريم وسنة رسول الله(ص)) حول الكثير من الأعمال والأحكام العبادية، يظهر أن بعض السنن قد تغير تدريجيا.

فزادت أو نقصت أذكار، وتغيرت أعمال، وطرا تغير على أوقات و.... ويمكن الاستنتاج أن ثمة اشخاصا قاموا من علم أو دون علم بالعبث بالأركان الخمسة المهمة للاستدعاء وإقامة الاتصال فزعزعوا أو أحبطوا مفعول السلسلة المتينة للارتباط بالله وعرض الحاجة والحصول على الإجابة.

ومن هنا يمكن فهم سبب عدم فاعلية الكثير من الآداب ويبقى الكثير من الأذكار والمطالبات بلا أثر، ويجب دراسة وفهم أنه متى وكيف تضررت أركان الاستدعاء هذه.

ويجب الوصول إلى مصدر ومرجع يملك حقيقة وأصل هذا الكتيب وهذه الكودات والرموز.

إن أفضل طريق ل«الاستدعاء المؤثر والحقيقي» والذي يكون في الوقت ذاته شاملا وجامعا، هو الدعاء إلى الله الرحمن والجنود الرحمانيين عبر مسار وصراط الحق والعبور عبر باب الله الأعظم.

ماذا حدث للنظام الحقيقى للاستدعاء؟

إن أيادي الشيطان وبعد بعثة الأنبياء وتنزيل الكتب السماوية، تدخلت وتصرفت في أول فرصة متاحة، في الأركان الأصلية لنظام المؤمنين لإقامة الاتصال. وأربكت المناسبات وغيرت آداب ومناسك وأساليب العبادات. وغيرت من مواقع الأذكار وتصرفت في البعض منها وانتزعت بذلك من المسلمين والمؤمنين إمكانية إقامة الاتصال الحقيقي.

ولم يكن أحد بقدر اليهود واقفا على سر هذا العمل، لأنهم كانوا يعرفون جميع آداب ومناسك وأساليب إقامة الاتصال بالقوى الماورائية.

ويمر المسلمون مرور الكرام على الوقائع التي أدت إلى التدخل والتصرف في سيرة وسنة النبي الأكرم(ص) وشوهت الكثير من صور الأعمال والآداب الدينية، في حين أن قسما مهما من الآداب والسنن العبادية تساهم في إقامة الاتصال بمصدر الفيض الإلهي والتناسب مع الأولياء والجنود الرحمانيين، وأن التغيرات الطارئة على الأركان الخمسة تنتزع من المؤمنين إمكانية الوصول إلى جميع الأهداف المترتبة على التعاليم العبادية وتجعلها عديمة الأثر.

وتم تصنيف الأعمال والأحكام والشعائر الدينية في خمس مجموعات: «الواجب، المستحب، الحرام، المكروه والمباح.» إن بعض الأحكام تعد شرطا ضروريا و بعضها مقوما والآخر رادعا ومحصنا. إن سر ونسبة أيا من الأعمال والأحكام تكمن لدى مصدر الفيض وقبولها من قبل الله تعالى.

وعلى «العبد» أن يكون مستسلما بحتا وأن يطبق الأوامر والنواهي ليكون بذلك في مأمن تام من حملات جنود إبليس ويبقى في حصن حصين ويسلك مراتب الكمال. وطالما لا يكون هناك خطر محدق يتهدد النفس واحتمال الضلال والوقوع في شرك إبليس وجنوده، فإنه لما كان يؤتى على ذكر الولاية بوصفها الحصن الحصين.

إن حدوث الضعف والتراخي في تكريم الشعائر الدينية والتقاعس في تكريم السنن والآداب، ليس يعرض الارتباط بالعوالم المعنوية والروحانية الغيبية للخطر فحسب بل يحطم جميع الجدران التي تحمي وتصون الناس من خطر حملات جنود إبليس. واليوم وعلى إثر تفشي الثقافة المادية الغربية، فإن الناس يعيشون في لا أمان، وتتاح لجنود إبليس في السنوات التي تسبق ظهور إمام الزمان عليه السلام، السيطرة والتدخل في كل أوضاع وأحوال الناس، ومن هنا تملأ الأرض ظلما و جورا.

إن الرجوع إلى آداب وسنن المذاهب الإسلامية المختلفة تظهر نسبة التغيرات والتناقلات في الأركان الخمسة آنفة الذكر.

إن ما يمكن الحديث عن السيرة والسنة النبوية أو ما يطلق عليه في العصر الحاضر نمط الحياة الدينية، يشرف في وجه منه على إقامة هذا الاتصال والنسبة مع المصادر التي يعتبرها إنسان أو قوم ما حقا وأصلا ومصدرا للفيض، بينما تم افتراض هذا المهم على أنه موضوع هامشي وذوقي وشكلي.

إن تكريم السنن والشعائر هو في الحقيقة تكريم المنافذ والأنماط والكودات والأوقات والأماكن التي توفر إمكانية النسبة والارتباط بين العبد وخالق الكون ومصدر الرزق والرحمة. وإن أي تغير في صورة وسيرة هذه السنن يمكن أن يتسبب بتحريف إيجاد الارتباط وتخفيضه وبالتالي الإخلال به.

وهل بالإمكان إقامة اتصال هاتفي بصورة عرضية وفنطازية أو استنساخ كتيب أرقام هاتف الجار للتحدث إلى الشخص الذي نريده؟ وكم بالمئة يستطيع شخص ما الإفادة من كتيب هاتف الجار، للاتصال هاتفيا بوالدته أو زوجته. إن هذا الاحتمال هو صفر تقريبا.

إن إبليس يخشى أن يدعو الإنسان ربه، حتى و إن كانت الدعوة بقدر ركعة صلاة ناقصة أو مستعجلة. ان تدنيس عباد الله بأنواع النجاسات الفيزيائية والميتافيزيقية[1] (الأخلاق ية) هي بمثابة منع الإنسان من الوقوف أمام ربه.

وثمة الكثير من الناس، يعبدون الشيطان ظنا منهم أنه الله، وإن الشيطان وعلما منه بهذا الأمر، يقدم نفسه في وقت الارتباط، على أنه قاصد حضرة الرحمن ويظهر

١. الميتافيزيقيا تعني خارج نطاق المصادر الحسية والمخبرية.

بـأن خصـلته رحمانيـة، وإن المتصـل الجاهـل، يعتبـر أن المخاطـب هـو الله أو ملـك ونائب عن الله. ومن هنـا فـإن إبليس يخدع الإنسـان ويذهب بـه تدريجيا إلـى الوجهـة التي ينشدها.

إن أيا من الكفـار وعبدة الشيطان، لا يعتبرونـه فـي وقت الحديث عن معبودهم، بأنـه مظهـر الحقـارة والرذالـة والشـيطنة، بـل علـى العكـس يعلنـون للاتبـاع بأنـه م يسيرون نحو النور ومصدر النور والنعمة.

القسم الأعظم من أعضاء المحافل السرية هم «ايلومينـاتيون»[١]

إن «ايلومينـاتي» تعني «الطبقة المستنيرة.»

إن هذه المجموعة الخفية التي تعرف ب «ايلومينـاتي بافاريـا»، تعد من المحافل السـرية التـي يعـود تأسيسـها إلـى عـام ١٧٧٦. وتعـرف أيضـا بعنـاوين آخـرى مثـل «حكومـة الظـل» أو «المنظمـات المتواطئـة.» إن الـتحكم بـالكثير مـن أحـداث وتطورات العالم هو بيد هذه الجماعة السرية. إن موضوع «النظـام العـالمي الجديد» الـذي مـا هـو إلا إرسـاء عـالم آحـادي الحكـم للأشـرار اليهـود، يعـد مـن أهـم وأكثـر الموضوعات شهرة والمدرجة على جدول أعمال ايلومينـاتي.

وقد أسس هذه المنظمة أحد أعضاء المحافل السرية وقادة الماسونية تأسيسـا علـى الأفكـار المضـادة للـدين والعلمانيـة، لكـي يـتم المضـي قـدما بأهـداف القـادة بواسـطة الأعمال الإجرامية والشيطانية المريعة.

إن مـا يتحـدث عنـه عبدة الشيطان الايلومينـاتيين كمصـدر للنـور، مـا هـو إلا الشيطان الرجيم، وإن أعضاء ايلومينـاتي يسيرون على خطى ومسلك عبدة الشيطان.

---

١. Illuminati.

وهنا يمكن فهم أنه لماذا تسعى جماعة لتقويض الأسس العقائدية والعملية للمؤمنين بالأديان السماوية من خلال الترويج للتساهل والتسامح، وحصر الارتباط المعنوي والإيماني بالقناعات والعلاقة القلبية وتقول على سبيل المثال: «إن الإيمان القلبى يكفى» أو أنه تروج «يكفى أن يكون المرء صاحب قلب طيب.»

وهذه الكارثة جلبها للمرة الأولى بولص[١] للمسيحية والمسيحيين. وكان يهوديا متزمتا تسبب في هيئة الحواريين والرسل، بأكبر انحراف في الديانة المسيحية الناشئة.

وكان بولص، يعتبر الإيمان القلبي بأنه كافيا بالنسبة لأتباع المسيحية والمؤمنين بها، وأعلن في سياق حذف الشريعة:

نعرف جيدا بأن الإنسان لن يكون فى ظل تطبيق أحكام الشريعية منزها وبريئا من وجهة نظر الله؛ بل إنه سيكون طاهرا وبريئا من خلال الإيمان بعيسى المسيح فحسب.

كما أعلن:

«إن الشريعة أصبحت مرضعتنا لكى توصلنا إلى المسيح ولنعتبر من أهل الإيمان العادلين؛ لكن بما أن الايمان قد جاء، فإننا لم نعد نخضع للمرضعة.»[٢]

ومن هنا رفع التكليف بالشريعة عن المسيحيين. ومن أجل إثبات نظرية نسخ الشريعة أرسى عقيدة «الفدية» وقال:

سمعت أن شياطينا قد جاؤوا ليوسوسوكم. وإن أردتم النجاة، فتصرفوا وفقا للإيمان ودعوا الشريعة جانبا. إن الشريعة تعود إلى عصر القهر.

---

١. بولص (Paulus) أو بولوص (٥٧١ أو ٥٧٣ للميلاد) كان من أهم دعاة المسيحية ومؤسس اللاهوت في هذه الديانة. وبداية قام باسم الديانة اليهودية بمحاربة المسيحية، لكنه تخلى لاحقا عن هذه الديانة واعتنق المسيحية. وكان بولص ومن دون الاتصال بالحواريين، يزعم انه على اتصال بالمسيح واوجد تغيرات رئيسية في الدين تدريجيا.
٢. غلاطيان ١٣- ٤٤.

إن كل الديانات المنحرفة والفرق المصطنعة على يد المستعمرين، بما فيها البهائية، قامت من خلال ترويج «الرؤية الجزئية والانتقائية» للدين والأخلاق والشريعة الحقيقية للأديان، بانتزاع مجمل أدائها منها، وسلبت كل أمكانية إقامة الاتصال الحقيقي والمؤثر من أتباعها السذج.

إن ارتباك النسبة بين الميادين الفكرية والأخلاقية والتطبيقية لدين متكامل ما وانفصال وانعزال جزء من الجزء الآخر والتعامل الانتقائي مع هذه المنظومة المترابطة، حول مجرة دين متكامل ما إلى نجمة أو كوكب سيار أو شهاب معلق في عمق السماء.

و ربما لهذا السبب يعتبر الله سبحانه وتعالى اولئك الذين يتعاملون بهذه الطريقة مع منظومة الدين، بأنهم منافقون.

و يقول القران الكريم في سورة النساء، حول المسلمين المشاغبين والذين يريدون زرع الفساد بين الناس:

«وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا.»[١]

وليسوا قليلين الأناس الموبوئين بالإثم والجريمة والنجاسة (اولئك الذين يعتبرون خلال إقامة الاتصال بالشيطان، الشرط الضروري لهذا الاتصال ودخول مجال عبادة الشيطان) ممن استدعوا الشياطين وأجلسوهم في صدر مقام مملكة وجودهم. فهذا الضيف سيصبح مدعوا آجلا أم عاجلا، وسيتسع مكانه ليتحول إلى صاحب الدار.

وطالما لا يتم طرد هذا الغاصب غير المدعو – الشيطان -، فإنه لن تتوفر إمكانية إقامة اتصال حقيقي ومؤثر. وهذا المشاكس ومن خلال الإخلال بركن أو

١. سورة النساء (٤)، الاية ١٥٠.

عدة أركان من إقامة الاتصال، يحبط أثر ومفعول الجهود التي يبذلها المتقدم بطلب إقامة الاتصال.

وكل هذا، طبعا لا يشكل عائقا أمام تطبيق وتنفيذ الأعمال. فهناك الكثير من الرجال والنساء ممن يتأدبون ظاهريا بأدب الدين ويكرمون الشريعة، لكن غياب النية الخالصة والصفاء والخلو من الرياء و التظاهر و... لديهم يؤدي إلى عقم جهودهم في إقامة الاتصال.

وبالتالي فإنه من أجل «إقامة اتصال مؤثر وموفق وحقيقي» لابد من التصرف بحميمية وبخلوص. ولهذا فإن التعاليم الدينية تعتبر «ترسيخ النية والعزم بحميمية تامة» كأحد أركان الاتصال.

و ليسوا قليلين الأناس الذين يتوجهون إلى مخاطب خاص، في أفضل الأزمنة وأفضل الأمكنة ومع حفظ جميع الشروط و التمسك بأرفع المضامين، لكن لا يجدون نفعا من كل هذا لأنهم لا يوجهون جل نيتهم وقصدهم وحميميتهم نحو ذلك المصدر، و على العكس، يمكن مشاهدة أناس نالوا مبتغاهم وقصدهم بالحد الأدنى من الإمكانات الأربعة وبسبب ترسيخ النية وإظهار الحميمية. ولذلك وعلى النقيض من تصور أتباع الدين في الظاهر، فإن إبداء الحميمية وعدم الرياء والابتعاد عن التظاهر يضطلع بأهم دور في إقامة الاتصال مع مصادر الفيض الرحماني وحتى المقاصد الشيطانية.

يجب أن نكون حميميين مع حضرة المحبوب. ونطلب كل شئ من أجله وتحاشي خلط ومزج النوايا.

التوضؤ بالماء المضاف

وهل دققتم في مسالة الوضوء في الدين الاسلامي؟

إن أحد الشروط المسبقة لصحة الوضوء هو أن يكون الماء خالصا وطاهرا. فالماء المضاف مثل ماء الورد والعصائر والمشروبات الغازية و... وإن كان طاهرا وزكي الرائحة وشفافا وكون مصدره كُرا، لا يمكن أن يحل محل الماء للتوضؤ و تأدية الصلاة. لماذا؟

لأن ماء الورد والعصائر ليست ماء خالصا. فهي تحوي على شئ إضافي يزيل الشرط اللازم للوضوء.

إن ما نؤديه ونعتبره صلاة، هو صورة الصلاة لا حقيقتها. إن الصورة الكاملة للصلاة هي مقدمة الإقامة وتأدية الصلاة الحقيقية. ويجري الاتصال من خلال التأدية الحقيقية والمتكاملة للصلاة ومع حفظ الشروط ويبلغ المصلي مرحلة التخلي عن الذات وضرب من التواجد في حضرة المحبوب.

وعندما لا يكون بالإمكان الاستعداد لصورة الصلاة بواسطة الماء المضاف، فكيف يمكن تحقيق الاتصال والوصل والقرب من خلال صلاة الماء المضاف و المدنس بالأغراض؟

والوضوء لايتحصل من خلال إضافات مثل الملح والسكر في الماء كما أنه لا يمكن إقامة صلاة حقيقية بإضافات مثل الرياء والتظاهر و.... وفي الحقيقة لاتتحقق صورة الصلاة بالماء المضاف و لاحقيقة الصلاة بالرياء الذي ينشر رائحته البشعة.

إن صدق النية والقصد وعدم الرياء والحميمية تعد الشروط المسبقة لإقامة اتصال مؤثر وحقيقي. إن الحميمية تملك لونا وطعما ويمكن الاستشعار بها من على بعد الكيلومترات، شأنه شأن الرياء.

وربما لهذا السبب ورد في الحديث الشريف: إن الرياء يحرق الإيمان كما تحرق النار الحطب. ويقول الإمام علي(ع):

«تفية العمل، أشد من العمل.»[١]

العوالم الثلاثة

إن بعض الدعاة والمعلمين الدينيين يُرجعون في وقت الإنذار والتبشير وبيان الأوامر والنواهي الإلهية، نتائج العمل بالمعروف وترك المنكر، إلى القيامة الكبرى وفي وقتنا الحاضر إلى حضور الإنسان عند ميزان العدل الإلهي ويعتبرون أن الحكمة الرئيسية من جعل الأحكام والسنن تقتصر على الثواب والعقاب الإلهيين في صحراء القيامة وعند الميزان، لذلك فإن الناس وقعوا في خطأ لأنه أولا: إنهم يغفلون أثر أعمال المعروف أو المنكر في الدنيا ومشاهدة نتائج العمل في هذه الحياة. وثانيا: إنهم يبقون في جهل من تشكل المستقبل (حياة الجحيم أو الجنة) في هذا الزمان ونشوء غرف النعيم أو دركات الجحيم على يد الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

وبما أن السواتر والغطاء والغشاوة على السمع والبصر تحول دون مشاهدة عموم الناس للعوالم البرزخية – ماعدا عدد محدود من الناس-، وجدت هذه الشبهة من أن هذه العوالم ستحدث بعد تجاوز العالم الدنيا، في حين أن هذه العوالم حاضرة معا وبصورة متوازية وأن الإنسان ليس يسير في الحقيقة في تلك العوالم فحسب بل يؤثر – بدوره – عليها وحتى أنه يقرر مستقبله المرتبط بالبرزخ والقيامة.

---

١. بحارالانوار، ج ٨٧، ص ٩٠.

ويستشف من الكثير من الآيات القرانية بأن سائر العوالم (البرزخ والقيامة) موجودة وسارية الآن؛ رغم أن عين الإنسان في الظاهر غافلة عن رؤيتها. ويقول الله سبحانه وتعالى:

«يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخرةِ هُمْ غَافِلُونَ.»[١]

وثمة إشارة في أية كريمة آخرى من سورة التكاثر إلى رؤية الجحيم بالنسبة لأصحاب العلم اليقين:

«كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ * ثُمّ لَتَرَوُنّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ.»[٢]

إن حُجُب الذنوب تمنع تجربة علم اليقين وبالتالي رؤية العوالم البرزخية والمتعلقة بالقيامة في الحياة الدنيا، وإن لم يكن كذلك، لما كان الله سبحانه وتعالى يقول حول نتيجة عمل من يأكلون مال اليتيم:

«إِنّ الّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً.»[٣]

وقد رأى النبي الأكرم(ص) أثناء المعراج، مراتب جهنم والجنة والنعمات الإلهية التي أعدت للمتقين. وورد في رواية عن المعصومين(عليهم السلام):

«ما أُولئک مِنّا ولا نَحنُ مِنهُم، مَن أنكَرَ خَلْقَ الجنّة والنّار.»

قال الصادق(عليه السلام) ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرا لونه، وقد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله(صلى الله عليه وآله): كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله (صلى الله

١. سورة الروم (٣٠)، الاية ٧.
٢. سورة التكاثر (١٠٢)، الآيات ٥ – ٧.
٣. سورة النساء (٤)، الاية ١٠.

عليه وآله) من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي؛[١]

وفي قضية ليلة عاشوراء واتمام الحجة مع الأصحاب، أظهر الإمام الحسين(ع) لأصحابه، الجنة ومكانتهم فيها.

وثمة الكثير من الآيات والروايات التي تروي بأن تحضير وإعداد الفرد لموقعه في الجنة أو النار يحصل في هذه الدنيا. بحيث يقول سبحانه عز وجل:

«وَسَارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.»[٢]

وجاء في حالات الإمام السجاد(ع) والإمام الصادق(ع) أنهما عندما كانا يتلوان سورة الحمد، كان يُغشى عليهما على إثر تكرار الآية الكريمة «مالك يوم الدين.» إنهما كانا يشاهدان جميع العوالم بعلم اليقين وعين اليقين.

والتباين يكمن في ان ائمة الدين والمؤمنين المخلصين يصلون قبل تجربة الموت، إلى هذه العوالم ويشاهدونها من خلال علم اليقين وعين اليقين، بينما سائر الافراد يجب ان يصبروا إلى ان يحين اجلهم لرؤية العوالم المتعلقة بالبرزخ والقيامة وذلك بسبب الغطاء الذي اسدل على قلوبهم وابصارهم. لذلك يعتبر عالم القبر لعامة الناس بمثابة آخر يوم من الحياة الدنيا وأول يوم من العالم الآخر.

---

١. اصول الكافي، ج ٢، ص ٥٣.
٢. سورة آل‌عمران (٣)، الآية ١٣٣.

وقال رسول الله(ص):

«مَكْتُوبٌ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ محمّد رَسُولُ الله، عَلِيٌّ أَخُو رَسُولِ الله قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَام»[١]

وقال الإمام علي(ع) «الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا.»

ويعتبر العالم الدنيا بكل ظهوره، عالم النوم وعالم ما بعد الدنيا أي عالم البرزخ بأنه عالم اليقظة والانتباه.

وهذا النوم لا ينطبق على حضرته لأنه يقول:

«لو كُشِفَ الغِطاء ما ازدَدْتَ يَقينا»[٢]

يسأل عبد السلام بن صالح الهروي، الإمام الرضا(ع): هل الجنة والنار مخلوقتان؟ فيجيبه الإمام(ع): نعم وإن رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عُرِج به للسماء فمن انكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي(ص).[٣]

وعلى الرغم من تصور عامة الناس الذين يضفون الاصالة على عالم الدنيا والذي يعتبرونه محيطا بسائر العوالم، فإن عالم الشهود غارق في عالم الغيب. ان العوالم المجردة محيطة بالعوالم الملكية والمادية وان العوالم المجردة تحتفظ بالعوالم الملكية والدنيوية كالجنين في جوفها.

إن القران الكريم، يقدم عرض عالم القيامة وعرض الجنة بأنه ا بقدر عرض السموات والارض.

وفي مراتب خلقة الكون، فإن العالم النوري والروحي، مقدم على العالم الملكي، كما أن العالم الملكي من حيث المرتبة والشأن يقع ذيل العالم الروحي و بعده.

---

١. بحارالانوار، ج ٨، ص ١٣١.
٢. المصدر السابق، ج ٤٦، ص ١٣٥.
٣. علم اليقين، ص ١٠٠٨.

وهناك الكثير من الآيات والروايات التي تتحدث عن مراتب الخلق. وقد خصص العلامة المجلسي، «المجلد ٥٤ من بحار الانوار» للروايات المتعلقة بحدوث العالم وبدء الخليقة. وقد ورد في وقت السؤال عن أول مخلوق:

قالَ أَبُوعَبْدِالله الصادق(عليه السلام): «إِنّ الله عَزّ وجَلّ خَلَقَ الْعَقْلَ وهُوأول خَلْقٍ مِنَ الرُّوحَانِيّينَ.»[1]

وتشير روايات آخرى إلى «نور النبي الأكرم(ص) والأئمة الأطهار» وتعتبر الخلق النوري والروحي لهذه الذوات المقدسة بأنها أول ما خلق الله:

وقال الإمام ابوجعفر(ع) لجابر:

«يَا جابِر إنَّ الله أول ما خَلَقَ خَلقَ محمّداً وعِترَته الهُداة المُهتَدين.»

و واضح أن المقصود هو الخَلْق الروحي والنوري، لأنه ليس خافيا بأن الخلق الجسدي للنبي الأكرم(ص) وأهل البيت(ع) حدث آلاف الأعوام بعد خلق السماوات والأرض وأدم(ع).

وفي عالم الماديات والجسمانيات، فإن أول مخلوق من غير المحسوسات هو الهواء وأول مخلوق من المحسوسات هو الماء.

وهناك الكثير من الروايات التي تدل على خلق الجنة والنار ووجودهما الحاضر والناظر في هذا الزمان الذي يعيش فيه الإنسان على الأرض وفي العالم الدنيا.

قال رسول الله(ص):

«لما أسرى بى إلى السماء، دخلت الجنة رأيت فيها ملائكةً يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما بالكم قد أمسكتم ؟.. فقالوا: حتى

١. الكليني، محمّد، اصول الكافي، ج ١، ص ٢١.

تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم ؟.. قالوا: قول المؤمن: سبحان‌الله والحمدالله ولاإله إلاالله والله أكبر، فإذا قال بنينا وإذا سكت أمسكنا.»

وقال الإمام الصادق(ع) عن رسول الله(ص):

من قال «سبحان الله» تغرس له غرسة فى الجنة ومن قال «الحمدلله»، تغرس له شجرة ومن قال «الله اكبر» تغرس له شجرة.

والقصد هو أن نبين وجود عوالم البرزخ والآخرة، والإنسان هو الذي يصبح جاهلا لها بسبب حجاب الغفلة والذنوب. إن جملة الأعمال الممدوحة والمذمومة للإنسان تشكل كيفية العوالم والمكانة التي يبينها الإنسان لنفسه. إن الصورة النهائية لمكانة الإنسان في الآخرة، تتحصل بعد تجاوز جميع المراحل وتسوية الحساب النهائي الذي يحصل له. مثلما أنه يلاحظ في وقت الورود إلى عالم البرزخ، التجسم الحقيقي لجملة الأعمال والاقوال الصادرة عنه في الدنيا.

ومن هنا نقول أنه قبل التفكير بنتيجة الأعمال والاقوال في القيامة، يجب أن نفكر بآثار كل ذلك في عالم الدنيا وبعده، ظهور مراتبها الآخرى في عوالم البرزخ والقيامة.

إبليس، عازم على القرصنة

قال إبليس وحسب اليمين الذي أدلى به أمام الله من منطلق حسده وحقده على آدم «فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»[١]. لذلك فإن إبليس يتربص بالإنسان لينفذ إلى داخل مملكة وجوده في أي لحظة.

---

١. سورة ص (٣٨)، الاية ٨٢.

وكان إبليس من طائفة الجن، لذلك فقد جمع حوله جنودا للتصرف ضد الإنسان وليمنع من خلال القرصنة، سير وسلوك الإنسان في طريق الحق. لذلك فإن عدد الشياطين أكثر دائما من عدد البشر.

وجاء في بعض الروايات أن هناك شيطانا أو عدة شياطين لكل انسان.[١]

وورد في رواية آخرى عن الإمام الصادق(ع):

«... فإن من اؤتمن على أمانة، وكّل به إبليس مائة شيطان من مردة أعوانه ليضلوه، ويوسوسوا إليه، حتى يهلكوه! إلا من عصمه الله.»[٢]

إن جنود الشيطان ومردته يلجأون إلى أنواع الحيل وأي طريقة لقرصنة الإنسان وجره إلى وادي الكفر والشرك والنفاق.

إن الوجه المستتر للشياطين الجن وبسبب لطافة جسمهم من جهة وقدرتهم على النفوذ والتأثير على الإنسان بأساليب مختلفة من جهة آخرى، ساعدهم للأسف على تحقيق مآربهم، والقضية الرئيسية تعود إلى «استدعاء» الإنسان للشيطان.

وحسب الآيات والروايات، فإن جنود إبليس لا يقدرون على النفوذ والتاثير على الإنسان طالما لا يستدعون من قبل الإنسان نفسه.

فالإنسان هو الذي يُهيئ مطار مملكته لهبوط ممثلي إبليس ويطلق يديه للتصرف. وكل شئ يبدأ من هنا. ونذكر بأن أي إنسان وحتى الأنبياء العظام ليسوا بمنأى عن هؤلاء الأعداء، ويقول الله سبحانه وتعالى:

«وَكَذَلِکَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ.»[٣]

---

١. رجالي تهراني، عليرضا، الجن والشيطان، ص ٤١.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٢٠.
٣. سورة الانعام (٦)، الاية ١١٢.

وكان الأنبياء وفي ظل الجهوزية والأدوات التي يملكونها، يواجهون شياطين الإنس والجن الذين كانوا في محيطهم.

و يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا إبليس:

«إِنّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاّ مَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.»[١]

ويقول الله سبحانه وتعالى صراحة بأن الإنسان هو الذي يفتح البوابات لجنود إبليس لا أن يكون لإبليس وجنوده سلطان على الإنسان.

وجاء في مجمع البيان، عن أنسبن مالك عن رسول الله(ص) قال:

«إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس وإن نسى الله التقم قلبه.»

و يجب الآن التساؤل: ما هى البوابات التى يمر عبرها جنود إبليس؟

إن الإنسان هو كائن ذو وجهين. نصف ملكي ونصف ملكوتي. ورغم أن حقيقة الإنسان روحية وملكوتية، لكن الجسم يشبه الزورق، يمرره عبر نهر الدنيا الهائج ويصل به إلى بر أمان البرزخ. وقيل عن البرزخ بأن عالم البرزخ أو عالم القبر يقع في سير وسفر الإنسان من الدنيا إلى العالم العقبى في نهاية العالم الدنيا وبداية عالم القيامة.

وبما أن إبليس ينشط ويعمل في العالم الدنيا ولا يمتد مجال عمله إلى عالم البرزخ ولا ينفذ فيه، لذلك فإنه يركز جل قواه وطاقته في العالم الدنيا ليحول دون «العبور السليم» لهذا الزورق لنهر العالم الدنيا والرسو في شاطئ البرزخ وعالم القبر. لذلك فإن كل ما يجب أن يحدث، سيحدث في هذا النهر وفي هذا الزورق.

---

١. سورة الحجر (١٥)، الاية ٤٢.

وقدر الله تعالى لكل إنسان وقتا معينا ليعبر من هذا النهر (الدنيا) ويصل إلى بر الأمان، كما أن إبليس بصدد أن يمارس خلال هذه المدة المقدرة والمعينة، كل حقده وحسده ضد الإنسان ليحرمه من تجربة «العبور الآمن من عرض نهر الدنيا.» إن منع الإنسان من «العبور الآمن» يحصل بأسلوبين، الأول إيجاد عطل وثغرة في الزورق والثاني المساس براكب الزورق.

وأي الأسلوبان يتحققان على أرض الواقع، فإن إمكانية الرسو الآمن عند شاطئ البرزخ، ستزول.

لذلك فإن إعطاب «الجسم» (الزورق) والمساس ب «النفس» (الراكب) يشكلان هدفا تطاله سهام إبليس وجنوده.

إن الجسم يشبه الحصن الذي يحتضن بداخله النفس ليصل إلى عالم البرزخ بعد مضي فترة الحياة – فترة الابتلاء والامتحان والنمو والتسامي -.

إن القضاء على جسم الإنسان وإبادته خلال عملية عبور نهر الدنيا، ممكن فقط عن طريق تلويثه بالنجاسات وإن إبليس يعرف هذا بالكامل. وبما أن جسم الإنسان مادي وفيزيائي، فإن إبليس سينال مبتغاه إذا ما توغلت الفئة الأولى من النجاسات (الفيزيائية) بداخل هيكل هذا الزورق، وربما لهذا السبب يتم في مدرسة التدين، تقديم الشريعة في أول درس من فصل التربية.

إن الشريعة هي جدار حصين وأمني خاص يحمي الجسم في مقابل سهام إبليس وضرباته السامة. وللأسف فإن عامة الناس يقومون بأيديهم بثقب زورقهم. الزورق الذي يعد وسيلتهم الوحيدة لعبور نهر الدنيا الهائج بسلام. وكل ما تم تبيانه في سياق أحكام الطهارة والنجاسات، وكل الأوامر والنواهي الخاصة بالمأكل والمشرب، وكل التعليمات المتعلقة بالصفقات والعقود المحرمة والمكروهة والمستحبة والواجبة

والمباحة والتي تنظم العلاقة وتحدد حدود وثغور العمل الفردي والجماعي في الدنيا، تنطوي في الخطوة الأولى على «أمن زورق الجسم» وقت تجاوز اعصار الدنيا. ويدخل إبليس عبر هذه النقطة لينفذ بداخل جسم الانسان، والتمهيد لإعطاب الجسم وإيجاد ثقب في الزورق.

وبما أن النجاسات الفيزيائية تلوث الجسم، فإن إبليس يرسل جنوده لينزل ضرباته عن هذا الطريق ببدن الزورق وجسم الإنسان.

كتيب إرشاد بناء

إن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب وجعل الأحكام ليس كلها تؤكد بأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعبر الزورق وراكبه (نفس الإنسان) بسلام من نهر الدنيا الهائج فحسب بل إنه وضع من خلال هذا الإجراء مجالا لحصانة الإنسان. وهذا يشبه الجهاز الذي ينتج في معمل ويعبأ في العلبة ويوضع معه في العلبة كتيب إرشاد استخدامه وتشغيله، ليكي يستخدمه المستهلك براحة بال.

وإذا لم ينتبه المستهلك إلى كتيب الإرشاد والتعليمات والتحذيرات الواردة فيه، واستخدم الجهاز بصورة عشوائية والحق به أضرارا، فإنه ليس من حقه إلقاء اللوم على المُنتج. إن الله سبحانه وتعالى يوبخ في سورة ابراهيم الآية ٢٢ الأناس الذين يعتبرون الشيطان مقصرا إذا ما جربوا نار جهنم:

«وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ.»

إن إبليس يسير قدما شيئا فشيئا، وكما شاهدنا في قصة الدكتور فاستوس، فإن الإنسان يفتح من منطلق الأهواء والرغبات النفسية، البوابة الأولى لجنود إبليس الذي

إن رأى الإنسان جاهزا، فسيسير قدما مرحلة بمرحلة لفرض سلطانه بالكامل على الإنسان، إلى أن يجعله في زمرة أنصاره بل «عملائه» وأداة بيده وشريكا له في جميع مفاسده.

والملفت أن القران الكريم وبعده روايات الأئمة المعصومين(ع) تذكر الإنسان بجملة المعابر والممرات التي ينفذ من خلالها الشيطان إلى الإنسان.

ونذكر الروايات التالية كمصاديق على ذلك:

«شرْبُ الخَمر وهُوَ فخُّ الشيطان.»

«وحُبُّ الدينارِ والدِّرهمِ وهوَ سُهمُ الشيطان.»

«الهَوىَ، قائدُ جيْشِ الشيطان.»

«حُبُّ النِساء وهوَ سَيْفُ الشيطان»؛[1]

إن الكثير من الآيات والروايات تؤكد على ضرورة تجنب النجاسات الفيزيائية واعتبارها منافذ ينفذ منها الشيطان ويطلق من خلالها سهامه وينصب أفخاخه، والتاكيد كذلك على تطهير الجسم من هذه النجاسات، بحيث يقول سبحانه وتعالى:

«وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ.»[2]

وفي أية آخرى، يتوجه الله تعالى إلى المؤمنين فيقول:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.»[3]

---

١. بحارالانوار، ج ٢، ص ١٠٧.
٢. سورة الأنفال (٨)، الآية ١١.
٣. سورة المائدة (٥)، الآية ٩٠.

وفي جميع هذه الأيات، يتم الاشارة إلى أن بعض المأكولات والمشروبات والمصاحبة والأهواء التي تدنس الجسم والروح، هي من عمل الشيطان ومكان هبوط الشيطان، إذ إن اللجوء اليها وعدم تحاشيها، يؤدي إلى تقويض الجسم والاستيلاء على الحصن المحافظ للإنسان في مواجهة الشيطان وجنوده.

ويقول الباري عزّ وجل في كتابه الكريم:

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبًا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبًا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.»[١]

وفي المواجهة مع إبليس يستخدم الأخير جنود الجن الخبثاء لفرض سلطانه على الإنسان. ان قطاعا كبيرا من معشر الجن هم في الحقيقة في زمرة أنصار ابليس. والطائفة المؤمنة والشيعية من الجن هي في اقلية واستضعاف كامل، مقارنة بهؤلاء.

وفي يوم القيامة، يجلب الله، معشر الجن الخبثاء اللذين ناصروا وواكبوا إبليس اللعين، إلى المحاكمة ويخاطبهم بالقول:

«وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.»[٢]

إن الجن الخبثاء المواكبون لقيادة ابليس، ينصبون الكثير من الافخاخ امام الإنسان ويسعون لتضليله. وهذا الضلال هو في الحقيقة بمنزلة عدم وصول الزورق

١. سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٥.
٢. سورة الأنعام (٦)، الآية ١٢٨.

إلى بر الامان. (وسنتحدث في قسم آخر، حول مراحل ومراتب نفوذ إبليس وجنوده).

وقد بين الإمام علي(ع) في اقسام كثيرة من «نهج البلاغة» اوصاف وخصائل الشيطان وكشف الستار عن طرق نفوذ الشيطان وسياساته، وحذر الإنسان من الانزلاق إلى شرك الشيطان، ليبين الاساليب التي تساهم في مكافحة هذا الخبيث اللعين وجنوده.

وفي الخطبة السابعة، يبين الإمام مراحل نفوذ الشيطان إلى داخل الإنسان الجاهز لتقبل هذا النفوذ فيقول:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأمرهم مِلاَكاً، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْراكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فى صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فى حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فى سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلَى لِسانِهِ.»[1]

ويبلغ الإنسان الذي يتبع الشيطان، مرحلة تتحول فيه يده ولسانه وعينه واذنه إلى اعضاء وجوارح للشيطان. ان هذا السلطان الشيطاني، يحول الإنسان إلى شريك وعميل للشيطان.

ويصف الإمام علي(ع) في الخطبة الثانية من «نهج البلاغة»، العصر الجاهلي ووضع العرب ما قبل بعثة النبي الأكرم(ص) ويبين كيف ان الانسان، تحول إلى نصير للشيطان ومعين له بلا اجر. ويقول الامام:

«فَالْهُدَى خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ. عُصِيَ الرَّحْمانُ، وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ الإيمان، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ (أعلامه)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ،

١. نهج البلاغة، خ ٧، ص ٥٣.

وَعَفَتْ شُرُكُهُ.أَطَـاعُوا الشَّـيْطَانَ فَسَـلَكُوا مَسَـالِكَهُ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَـهُ، بِهِـمْ سَارَتْ أَعْلامُهُ، وَقَامَ لِوَاؤُهُ.»

وماعـدا النجاسـات الفيزيائيـة التـي تـؤدي إلـى تـدنيس وتخريـب جسـم الإنسـان وتسخيره لمصلحة ابليس، فإن النجاسات المتافيزيقية، تفتح ابواب الحصن الحصين لمملكة وجود الإنسان بوجه جنود الشيطان.

وتهاجم النجاسات الميتافيزيقية، راكب الزورق في ميدان الأخلاق يات والثقافة، وتحول دون سيره وسفره بامن وامان وبلا ضرر نحو شاطئ البرزخ.

ومبتغـى الشيطان فـي الخطـوة الاولـى، هـو قلـب الـزورق وفـي الخطـوة الثانيـة، حـرف راكـب الـزورق، وفـي كلتـي الحـالتين، يتعثـر الإنسـان ويتعـذر عليـه سـلوك الطريـق وينحـرف بالتـالي نحـو شـاطئ آخـر وهـو عـين الانعـدام الامنـي والتلـوث والانزلاق في التعاسة والشقاء.

ويعتبـر بعـض الـدعاة الـدينيين، المراتـب الاولـى والتمهيديـة للتـدين، بأنـه ا أصـل التـدين ويـدعون جميـع المسـلمين إلـى الاهتمـام بالمقـدمات، بحيـث يقضـي الكثيـر مـن المسـلمين جميـع سـنيي حيـاتهم فـي الانهمـاك بالمقـدمات الضـرورية ويفترضـون ان الوصول إلى المقدمات هو ساحل النجاة الغائي بعينه.

وان لـم يفلـح إبلـيس وجنـوده فـي الخطـوة الاولـى أي الهجـوم لاعطـال واعطـاب الزورق، ويخفقوا في تـدنيس جسم الإنسـان بالنجاسـات، فـانهم سيصـبون جـل اهتمـامهم على «نفس» و «شخص» راكب الزورق ويبداون هجمتهم الثانية. وفي هذه الخطـوة، يحاولون نيل مبتغـاهم بسـلاح «النجاسـات الميتافيزيقيـة» والأخـلاق يـة. ان من يستقبل زورقا محطما يشق عباب بحر الحياة الهائج، فإنه سيغرق آجلا أم عاجلا ويباد.

إن المدنسين بالنجاسات (النبيذ والربا والدم والطعام الحرام والنجس مثل لحم الخنزير و...) يصبحون بتصرف الشيطان ويمتثلون لاوامره. ان هؤلاء غارقون في الامواج الهائجة لنهر الحياة.

إن النجاسات غير الفيزيائية تستهدف روح الإنسان وتفسده وتزيله من الداخل.

إن المجاهدين في سبيل الله، يصلون بانفسهم إلى شاطئ النجاة في الضفة الآخرى من نهر الحياة وإلى ضفاف عالم البرزخ بواسطة بذل الاموال والانفس.

«وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّهِ وَأُوْلَئِکَ هُمْ الْفَائِزُون.»[1]

وهؤلاء المجاهدون لا يخافون في الله لومة لائم ويخوضون في سبيل الله مواجهة مع جنود إبليس ليجعلوا دينهم وروحهم بمامن عن براثن إبليس الرجيم.

إن من الصعوبة بمكان تشخيص النجاسات الميتافيزيقية كما ان من الصعب مغادرتها وان الاصابة بها تنهك الروح. لذلك فإنه تم التعبير عن المجاهدة في هذا الطريق بالجهاد الاكبر.

إن إبليس لايدفع ثمنا للجاهزين للتنجس فيزيائيا. انه متكبر لا يخوض المراتب الدنيا من النضال، بل انه يبذل قصارى دهده لمكافحة الاناس الذين لا اثر يذكر على سلاح النجاسة الفيزيائية عليهم، ولهذا السبب فإن هؤلاء قد صانوا انفسهم عن التنجس بهذا النوع من النجاسات وهم يسيرون في الظاهر على طريق اهل الايمان وفي كسوة اهل الايمان.

---

١. سورة التوبة (٩)، الاية ٢٠

الظلم والتكبر

وفي مسلك الإمام علي(ع) ليس هناك اشد من «الظلم» و «التكبر» و «الغرور» الذي يدفع الإنسان إلى الوقوع في مصيدة ابليس. ان الغالبية العظمى من الناس ومنذ الوف السنين ولحد اليوم، اصيبوا بالعور من جحر العنجهية والتكبر، وجعلهم الظلم والجور، جاهزين ليتحولوا إلى مطية لإبليس وجنوده. ويقول الإمام علي الخطبة الصاعقة:

«فاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إبليس الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبَداً، وَلاَ تُشْوِي أَحَداً، لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلاَ مُقِلاً فِي طِمْرِهِ.»[1]

إن من يُصاب من خلال سم إبليس القاتل ببلاء الكبر والغرور، لن يكون قادرا على التخلص من هذه الواقعة بسهولة، بحيث ان الإمام عليه السلام يرى ان علم أي عالم لا يكفي للخلاص من ذلك.

وتبا لاولئك الذين يجعلون من ظهورهم مطية للشيطان و يصبحون سببا لاستراق عقول الآخرين.ويقول الإمام عليه السلام:

«اتَّخَذَهُمْ إبليس مَطَايَا ضَلاَل، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاس، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ. فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَ مأْخَذَ يَدِهِ.»[2]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، ص ٣٩١.
٢. المصدر السابق، خ ١٩٢، ص ٣٨٧.

ويعتبر الإمام علي(ع) ان أكبر المنافذ التي ينفذ منها الشيطان إلى الإنسان هي «الكبر والغرور» ويقول عليه السلام:

«فَاللهَ اللهَ فى كِبْرِ الْحَمِيَّة، وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّة، فإنه مَلاقِحُ الشَّنَآن، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِى خَدَعَ بِهَا الأمَمَ المَاضِيَةَ، والقُرُونَ الْخَالِيَةَ; حَتَّى أَعْنَقُوا فِى حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِى ضَلالَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِى قِيَادِهِ.»[1]

إن غير التقاة يخفقون عادة في ميدان المجاهدة الأخلاق ية ويبادون. ان قهقهة الشيطان عندما يسقط الرجال ارضا في ساحة الأخلاق، تزعج مسامع السماء.

وجاء في سورة الاعراف على لسان ابليس:

«قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ.»[2]

ويحذر الإمام علي أميرالمؤمنين(ع) من الشيطان وعدائه المتجذر للإنسان وعن مصيدته وكذلك الهجوم الذي يشنه وجنوده فيقول:

«فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فى حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِى نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لاَ تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلاَ تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِى حَوْمَةِ ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلاَءٍ.»[3]

والان اذا نظرنا إلى انواع النجاسات المتافيزيقية نجد ان كلا منها قادر على القضاء على الكثير من الرجال في مواجهتهم مع ابليس.

---

١. المصدر السابق، ص ٣٨٥.
٢. سورة الاعراف (٧)، الايتان ١٦ و ١٧.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

ـ الدعوة إلى الكفر:

وتعتبر أهم الآيات القرانية، الكفر بأنه أحد السبل التي يتخذها الشيطان للهيمنه على الإنسان والاستحواذ على قلبه. وفي الشرع المقدس، فقد اعتبر الكافر، نجسا. ونقرأ في سورة الحشر:

«كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسان اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.»[١]

ـ اثارة الحسد:

إن أحد اساليب الشيطان اثارة النزاع بين الاخوة والاقارب. ويعزو يوسف(ع) سبب ما حدث بينه وبين اخوته، إلى الشيطان، فيقول:

«... مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي... .»[٢]

ويشير الإمام علي(ع) إلى ما اذلّ القوم وازال عزتهم وخلع منهم لباس الكرامة، و يقول:

«وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ: مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي. وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ قَبْلَكُمْ.»[٣]

ـ الوعد بالفقر:

إن أكثر الحيل وسبل الشيطان للنفوذ إلى قلب الإنسان هي الخوف من الفقر. ان جملة الخصومة والضغينة السائدة بين الناس، والاحجام عن الانفاق وتقديم الصدقات، والامتناع عن تطبيق سنة صلة الرحم والسكوت عن الظالمين

١. سورة الحشر (٥٩)، الاية ١٦.
٢. سورة يوسف (١٢)، الاية ١٠٠.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

والمتجبرين، والاحتكار وبخس الكيل والميزان و... كلها حصيلة هذه الوساوس. ان الإنسان وخوفا من الفاقة والفقر والعوز، يرتمي في احضان جنود إبليس وبالتالي يقترف مئات المعاصي والذنوب الآخرى.

«الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.»[١]

ـ تأجيج نار الكذب:

«هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.»[٢]

إن الكذب والحسد والغيبة والرياء و... هي من أهم النجاسات التي ينفذ منها الشيطان ليستولي على قلب الإنسان وعقله ولسانه وجوارحه ليغويه.

ويتحدث الإمام عليه السلام عن اسباب سقوط الامم فيقول:

«قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيَما بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ. وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ. لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.»[٣]

وليس ان الشيطان وجنوده يستهدفون الإنسان وحده، بل ان هناك مجموعتين من الانس والجن تخضعان لعمل وتصرف الشيطان وجنوده الخبيثين.

إن ادراك الانسان، يمثل نطاق عمل الشيطان وادائه وان الشيطان يوسع من نطاق عمله تدريجيا من خلال العبث بالعواطف والمشاعر وبث الاوهام والافكار الباطلة في نفس الانسان. لكن الإنسان غير قادر على تشخيص الأفكار والأوهام التي تحمل وساوس الشيطان ويظن دائما بأن جميع الأفكار والآراء متعلقة به نفسه.

---

١. سورة البقرة (٢)، الاية ٢٦٨.
٢. سورة الشعراء (٢٦)، الايتان ٢٢١ – ٢٢٢.
٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣.

وعندما يتعرض الجسم لأشعة الشمس الحارقة في الصيف أو البرد القارس في الشتاء أو الفيروسات المنتشرة في الهواء ولا يتمتع بالحصانة اللازمة فإنه سيصاب بضربة الحر أو البرد أو المرض وما يتبعه من أعراض وتداعيات قد تجره إلى تجربة الموت حتى.

إن استدعاء الشيطان قد يشبه استدعاء البرد القارس أو الحر اللافح والأمراض المتفشية في البيئة المحيطة بنا لاسميا عندما نعرض أنفسنا لها من دون أن تكون لنا حصانة وحماية تمكننا من مواجهتها.

المخلصون؛ الناجون

عندما يدور الحديث عن «المخلصين» وهم عباد الله الذين لا سبيل للشيطان لإغوائهم، فإن الحديث يدور في الحقيقة عن الأناس الذين يحمون أنفسهم في كبسولة واقية في مواجهة حملات الشيطان ويصبحون في سلام وأمان بطبيعة الحال.

ويقدم القرآن بصراحة الأناس الذين يتمتعون بالحصانة في مقابل إغراءات الشيطان ويقول:

«**إلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ المُخْلَصين.**»[١]

إن من يتعرض لحملات المرض ويصبح جسمه هدفا للفيروسات والجراثيم من دون حماية ووقاية، فإنه لابد أن يدفع ثمن إصابته بهذا المرض بما في ذلك تناول الدواء وتحمل الضعف والهزال وربما الموت. إن هذا الفرد لا يمكن أن يلوم أحدا إلا نفسه.

وليس من السهولة بمكان إخراج الإنسان للشيطان وجنوده من ممكلة وجوده عندما يهيمن ويفرض سيطرته عليها وإن الأعراض ستكون متفاوتة حسب المرض

١. سورة ص (٣٨)، الاية ٨٣.

ومسبباته. إن نطاق أثر المرض يتوقف على نوع الفيروس والجرثوم وكون المرض حادا أو مزمنا وعدم الاهتمام بالعلاج في أوانه.

وبنفس الطريقة التي أصيب بها «جسم وروح» الزورق وراكب الزورق وتضررا، فإنه لابد من تشخيص المرض ومن ثم علاجه وتصفية الجسم والروح تحت إشراف الطبيب والمراقبة الطبية الخاصة وخلال فترة زمنية طويلة ومن ثم العمل على تحصين الهيكل المتضررة بعد انسحاب المرض منه والحد من عودة المرض إليه ثانية.

وكأن هذا الكلام الرفيع، قد صدر اليوم. فقد وصف الإمام علي(ع) قبل ألف عام ونيف من هذا، ملامح وسمات المجتمع المتشيطن والممسوخ:

«... وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَن لاَ يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلاَّ إِدباراً، وَالاَ الشَّرُّ فِيهِ إِلاَّ إِقْبَالاً، وَالاَ الشَّيْطَانُ فِي هَلاَكِ النَّاس إِلاَّ طَمَعاً. فَهذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ. اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاس، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلاَّ فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أو غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ الله كُفْراً، أو بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ الله وَفْراً، أو مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً؟.»[1]

أنماط الاستدعاء

إن الاستدعاء العام للشيطان يحصل عن طريق التلوث بالنجاسات الفيزيائية والميتافيزيقية. وليس قليلين الرجال والنساء الذين استضافوا الضيوف الخبثاء غير المدعوين من خلال الحقد والنفاق والكبر وسوء الظن والكذب والحسد والخداع، من دون أن يدروا.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٩.

إن غياب التقوى والورع يجعلنا معرضين لهجوم هذه الكائنات الشريرة. ولذلك فإن «الغيظ» يجتاح القلوب والصدور. إن الشعور بالكراهية والتشاؤم وسوء الظن، يلوث الأجواء ويزيد كل لحظة من ثخانة طبقات الظلام. إن الأناس المتقين والورعين وأهل المعنى وملائكة الرحمة الإلهيين والأجنة المؤمنين والصالحين يستشمون هذه الرائحة العفنة، ويرون الظلمات التي تطغى على القلوب ويتهربون من الأجواء المدنسة. وفي هذه الوضعية، فإن روح المؤمنين تتألم. وتزول حالة التضرع والدعاء وتحل الكراهية والضغينة محل الشفقة والرحمة.

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(٤)»[١]

ويتقدم الوسواس كل لحظة ليوسوس في الصدور والقلوب ويحرض ويزيد من الحيلة والخداع وسوء الظن والحقد والضغينة بين المؤمنين و يمهد الطريق لارتكاب أسوأ الذنوب.

إن أنماطا من الأجنة الخبثاء الذين يتحولون في خدمة إبليس لإرباك الإنسان وتدنيسه يتمتعون بسبب التنوع والكثرة بقدرات خاصة وهم في أحجام ومقاييس مختلفة ويستطيعون تنفيذ المهام الموكلة إليهم بسهولة.

ويصاب الرجال والنساء المؤمنون بالمرض أحيانا عن طريق القريبين المصابين منهم أو أنهم يتواجدون في الأجواء الملوثة والمليئة بالمرض فيتضررون ويتعذبون.

إن الإشعاعات والمجال المغناطيسي الحاصل حول المصابين بالمخلوقات الخبيثة وغير العضوية، تلقي بظلالها على حياة الآخرين وتدنسها وتحول دون تردد أرواح

---

١. سورة الناس (١١٤)، الآيات ١-٤.

المؤمنين والملائكة والأجنة المؤمنين، في حين أن تردد المؤمنين هذا، يبث البركة والنعمة بين الناس.

ويصاب المؤمنون أحيانا في مجال هذه الأمواج الملوثة بالشرود الذهني والنسيان والخوف والقلق والشك وحتى فقدان الذكريات وتباطؤ النشاطات الذهنية، من دون ان يعرفوا مصدره. وتجعل هذه المخلوقات الخبيثة، المؤمنين أحيانا عرضة لسهام البلاء المعادية وحتى أنها تعرض أرواحهم للخطر.

فأحيانا تؤدي سرقة هذه الكائنات الشيطانية، لمعطيات وآراء وأفكار المفكرين المؤمنين والصالحين، إلى خروجهم من ساحة العمل والأداء الإيماني.

إن الشقق الصغيرة الأشبه بعلب الكبريت، تجعل الناس من دون ان يدروا عرضة للتلوث والإصابة بالمرض الناتج عن تردد وحضور المخلوقات الخبيثة، في حين أن الجدران الإسمنتية والأجرية، لا تستحدث أي قيود أمام تردد هؤلاء.

ولهذا السبب فإن الحياة الإيمانية تصبح شاقة للغاية ومستحيلة في بعض الأحيان في النسيج الحضري والعمارة الحديثة وذلك بسبب الزحام والاختلاط والامتزاج الذي لا يمكن التحكم به.

وبسبب الانبهار بالغرب واتباع المذهب المادي والتجريبي، نعتمد الإنكار في الحديث والتعرف على العالم الماورائي وسكان العالم الماورائي (العوالم الجنية والملكية والارواح و...) ولا نبذل أدنى جهد لدراسة ومعرفة هذه العوالم ما يزيد دائما من نسبة التلوث والخسائر الناجمة عن حضور وعمل الكائنات الخبيثة في حين أن هذه الموضوعات تبدو لنا قديمة وخرافية أصلا.

عالم الدخان؛ تقارب العوالم

في الأعوام التي تسبق الظهور وفي ذروة بروز الشبهات والفتن ودنس آخر الزمان، فإن الكثير من الجدران الحائلة بين العوالم الإنسانية وسائر الكائنات مثل الاجنة تزول بفعل الاستدعاء الواسع الذي يقوم به البشر وتطلق يد هذه الكائنات للتدخل والتصرف في شؤون البشرية. وعند ذلك، فإن الآمر والقائد الرئيسي هم كائنات غير مرئية تصدر أحكامها، وتثير جدلا وتشجع الناس على الذنب وهتك الحرمات وتمهد الطريق والسبيل لذلك. إن هؤلاء يظهرون الخبائث والقبائح على أنها جمال ويمنعون الخير ويؤججون نار الفتنة ويتسببون بوقوع أنواع وأشكال الآثام والذنوب والجرائم بين الناس. الوضع الذي نشهده اليوم بشكل أو بآخر.

وقد استخدمت مفردة الشيطان بمعنيين، احدهما المعنى اللغوي. فالشيطان ماخوذة من «شطن» و «شاطن» وكلاهما بمعنى الخبيث والدنئ والحقير والكائن المتمرد والعاصي. بعبارة آخرى، فإن كلمة الشيطان تطلق على كل شئ يكتنفه الغموش ومؤذ ومزعج. كما وردت هذه المفدرة بمعنى المُضلّ والطاغي والشرير والابتعاد عن الحق والحقيقة والابتعاد عن الرحمة والمغفرة الالهية والكائن القسي القلب والسئ الخلق والهالك والمُهلِك.

وهذه المعاني والصفات إن وجدت في أي كائن أكان الإنسان أو الجن وحتى الحيوان، هي من مصاديق الشيطان، لكن في المعنى المصطلحي، وكما يتبادر إلى ذهن عامة الناس، فإن الشيطان هو ذاك الرجيم الملعون والمتمرد الذي لم يسجد لآدم وطرد من رحمة الله.

وحسب بعض الروايات فإن الاسم الأصلي لإبليس كان «حارث» (حرث)، لكن بسبب عبادته الطويلة نودي ب عزازيل، أي عزيز الله. وسمي إبليس بعد العجب والخيلاء وسمي بالشيطان بعد الامتناع عن السجدة وطرده من رحمة الله.

وتتحدث الكثير من الآيات القرانية عن الصفقة التي يعقدها الشيطان مع الانسان. ومن بين بعض الناس، هناك من لا علم ومعرفة له حول الله وخلقة الكون، فيجادل.

«وَمِنَ النّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتّبِعُ كُلّ شَيْطَانٍ مّرِيدٍ.»[١]

وينفذ الشيطان أحيانا إلى جلد خلق الله، فيعمل على إيجاد الشك والترديد عندما يكون الإنسان على مفترق الطريق بين الحق والباطل فيدفعه للسير في طريق الباطل. و يقول القران الكريم:

«قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ الله مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا الله كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِيالأرض حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِين.»[٢]

إن إيجاد الترديد واثارة الشبهات هذه تدفع الإنسان أحيانا للانزلاق إلى وادي ارتكاب الحرام والربا والزنا و....

إن المصداق الكبير لهذا القبيل من الترديد والشبهات في الوقت الحاضر، يتمثل في السوق الكبيرة للتعاملات والصفقات الاقتصادية التي اصبحت تجتاح كل البلدان. و يقول الله سبحانه وتعالى في القران الكريم:

---

١. سورة الحج (٢٢)، الاية ٣.
٢. سورة الانعام (٦)، الاية ٧١.

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ... .»[١]

ومصاديق عمل الشيطان وأعوانه مع الإنسان كثيرة في القرآن الكريم.

ويطلق اسم «عالم الدخان» على واقعة الدخان أي إزاحة الستائر القائمة بين العوالم والمزيد من اطلاق يد القوى الخبيثة ضد الانسان.

إن أزمة واقعة الدخان، أظهرها فلم «الملك سيلمان» بشكل جيد. وذلك عندما داهمت القوى الشيطانية، الناس فأصابتهم بالجنون والهوس والجريمة، وعندها انتصر النبي سليمان(ع) على كل تلك القوى. وهناك الكثير من الأخبار التي تحكي إطلاق يد هذه القوى ضد العالم الإنساني في السنوات التي تسبق الظهور. وفي تلك الظروف يبلغ الظلم والجور ذروته بحيث يتم تبيان:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ.»[٢]

إن امتلاء الأرض بالظلم والجور في السنوات التي تسبق الظهور، يعود إلى هذا الجزء من حياة الإنسان على الأرض أي في واقعة «الدخان» وإطلاق يد القوى الشيطانية الخبيثة.

وفيما يخص مراتب الارتباط وحضور وميدان عمل الشياطين، فإنه يستشف من فحوى الروايات بأن هذه القوى تتقدم مرحلة بمرحلة لتنال أهدافها وغاياتها. والهدف الغائي لإبليس هو إغواء وإغراء الإنسان وقطع الطريق عليه ودفعه إلى الضلال عن طريق تدنيسه بالمعاصي والذنوب والنجاسات الفيزيائية والميتافيزيقية. إن الدنس الأخلاقي يصيب الإنسان بأنواع الشرك والكفر والنفاق ويجره إلى الدرك الأسفل.

---

١. سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٥.
٢. سورة الروم (٣٠)، الآية ٤١.

ولا ننسى بأن إبليس وجنوده، يتمتعون بقدرات ومواصفات خاصة، بما فيها:

١. العلم والإدراك وقوة التشخيص؛

٢. قوة الاختيار؛

٣. ماضي التواجد الطويل الأمد في الأرض، حتى قبل خلق الإنسان (وكان إبليس قد خلق قبل آدم بالآف السنين)؛

٤. العمر الطويل لعدة آلاف عام؛

٥. القوة وميدان العمل الواسع النطاق (كما كانوا في خدمة النبي سليمان(ع))؛

٦. إمكانية التكاثر والتوالد؛

٧. والأهم من كله هو سرعة الإقدام واللطافة الفائقة التي تخفيهم عن أعين الإنسان؛

٨. ويواجهون طبعا كالإنسان، الموت والحياة والحشر والنشر.

والطوائف الجنية شأنه شأن طائفة البشر، فيها المؤمنون والصالحون وحشد أكبر من الطالحين والكافرين، وكما أن المؤمنين من بني البشر وبسبب تشرعهم وكونهم صالحين، يحثون أنفسهم والآخرين على الامتناع عن ارتكاب المعاصي والقبائح وحتى أنهم لا يقترفون جريمة وخيانة ضد أعدائهم ولا يلجأون إلى الحيلة والتزوير والكذب وإهدار حقوقهم، فإن الأمر كذلك في طائفة الجن.

ويقول القران الكريم:

«وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ ... .»[١]

ولابد من التذكير أنه على الرغم من كون القوى الجنية الخبيثة في خدمة إبليس، لكن الجن المؤمنين لا يسعون لإقامة اتصال مع الانسان، ويتحاشون هذا من منطلق

١. سورة الانعام (٦)، الاية ١٢٨.

الايمان. لذلك نادرا ما نجد اتصالا بين الإنسان والجن من نوع الاتصال الايماني، إلا في حالات خاصة وشروط خاصة ونظام خاصة.

إن الجن المؤمنين، منهمكون بأعمال ايمانية وحتى إنهم يتقدمون في هذا الطريق على المؤمنين الصالحين من بني البشر، ويبلغون مراتب من الكمال يعجز الكثير من أبناء البشر عن بلوغها.

و يجب القول بأن الإنسان متفوق من حيث الخلقة على الجن وهو أشرف المخلوقات.

و قد وردت إشارات كثيرة في الآيات والروايات حول مراتب ومراحل عمل الشيطان اللعين والتي يمارسها عن طريق جنوده على الإنسان.

فالشيطان يتقدم خطوة فخطوة؛ لكن وكما أسلفنا فإن الطريق يتمهد ويتوسع مع أول استدعاء.

إن جزءا من مفهوم الآيتين ٣٦ و ٣٧ من سورة «الزخرف» يتحدث عن مقدمة تسلط الشيطان على الإنسان:

«وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ(٣٦) وَ إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنْ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ.»

إن المفاهيم المتعلقة بهاتين الايتين تتمثل في أن سياسة الشيطان هي خطوة فخطوة «خطوات» (سورة البقرة الاية ١٦٨)؛

- الخطوة الأولى هي إيحاء الوساوس. «وسوس اليه» (سورة طه الاية ١٢٠)؛

- وفي الخطوة الثانية يقيم الاتصال. «مسهم طائف» (سورة الاعراف الاية ٢٠١)؛

- وفي الخطوة الثالثة ينفذ ويستقر في القلب. «في صدور الناس» (سورة الناس الاية ٥)؛

- وفي الخطوة الرابعة يبقى في الروح. «فهو له قرين» (سورة الزخرف الاية ٣٦)؛

- وفي الخطوة الخامسة يجعل الإنسان عضوا في حزبه. «حزب الشيطان» (سورة المجادلة الاية ١٩)؛

- وفي الخطوة السادسة يصبح وليا للانسان. «ومن يتخذ الشيطان وليا» (سورة النساء الاية ١١١٩)؛

- وفي الخطوة السابعة يصبح الإنسان شيطانا. «شياطين الإنس والجن» (سورة الانعام الاية ١١٢)؛

ويقول الإمام علي(ع) في نهج البلاغة بأن الشيطان يبيض ويفرخ في روح الإنسان. «فبَاضَ وفَرَّخَ فى صُدورِهِم» (نهج البلاغة الخطبة ١٧).[١]

الاستدعاء من النوع الثانى

إن كل ما ذكرنا، كان حول الاستدعاء العام. وفي هذا الاستدعاء، فإن عامة الناس مشتركون ويستجلبون مراتب من هذا ويتصرفون وفق رغبة الشيطان، كل حسب موقعه وجهوزيته ونسبة غياب التقوى، لكن «الاستدعاء الخاص» هو نمط آخر يقع بطريقة خاصة.

إن ما حدث ل«الدكتور فاستوس» هو من نوع الاستدعاء الخاص. ففي هذه الطريقة، يقوم الإنسان وهو في كامل وعيه وعلمه وعن طريق بعض الأعمال

١. دقائق مع القران، حجة الاسلام والمسلمين محسن قرائتي، المركز الثقافي، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠١.

والمناسك، بلفت انتباه الشيطان وعقد صفقة معه. الصفقة التي تقع بين الإنسان والشيطان بوعي تام.

إن «السحر والشعوذة والانتقال غير الورع إلى العلوم الغريبة» هي مصاديق لهذا «الاستدعاء الخاص.»

ومنذ القدم، كان السحرة والمشعوذون يلجأون إلى «العلوم والفنون الغريبة» وتجربة الرياضة الروحية وطي مراحل ومراسم، لإقامة ارتباط بالعالم الشيطاني.

ففي أحد طرفي هذه الصفقة، الإنسان الذي يكسب من خلال أعمال، رضا الشياطين ويقيم ارتباطا معهم، وفي الطرف الآخر، الشيطان الذي يمنح الامتيازات ويسدي بعض الخدمات، ليفرض هيمنته شيئا فشيئا على المتصل، و يجعله في خدمته بالكامل.

وفي هذه المرحلة، يصبح المتصل بين فكي إبليس وتغلق عليه طرق الفرار إلى ان تذهب روحه إلى الجحيم الأبدي مثل فاستوس بعد ما يغرق في التعاسة والظلام.

وترتكب القوى الشيطانية الخبيثة في هذه الصفقة أي عمل قبيح بما يتناسب مع قدراتها وذلك تحت الطلاسم والتعاويذ والتمائم والأوراد والعزائم من أجل وضع مطالب السحرة والمشعوذين وطاردي الأرواح الشريرة موضع التنفيذ.

إن النميمة والتجسس وتبادل معلومات الاشخاص والسرقة والتاثير على قلب وعقل الآخرين واثارة المشاعر الزائفة (الخوف والغم والفرح و...) بين الناس و... هي من الخدمات التي تسديها القوى الشيطانية وتحصل لقاء ذلك على خدمات من الانسان، أهمها ارتكاب الذنوب وعبادة الشيطان والتضحية بالناس وانتهاك المقدسات وتدنيسها وتدنيس سائر البشر بأنواع المعاصي والكفر والشرك بالله تبارك و تعالى.

وكان أصحاب السلطة في بلاط الملوك والسلاطين يستفيدون على امتداد التاريخ من هذه الخدمات وذلك من خلال الاستنجاد بالسحرة والمشعوذين وطاردي الارواح الشريرة والكفرة وعبدة الشيطان.

واعتمادا على المصادر التاريخية فإن الكائنات الشريرة والخارقة للطبيعة كانت منذ الأزمنة الغابرة، معروفة بالنسبة لبني البشر وكانت طقوس الشعوذة سائدة بين القوميات والشعوب المختلفة لصد هذه الكائنات أو الاستعانة بها.

وكان كهنة الشعوب والأمم المختلفة يخوضون في الأبراج والمقابر القديمة والكهوف والقلاع غمار العلوم الغريبة ويقومون برياضات روحية خاصة لاقتحام العوالم الخاصة، ويسعون من خلال أنواع البخور وطقوس الشعوذة والأذكار لإقامة اتصال مع القوى الموجودة وغير المرئية.

إن الاعتقاد بوجود فئتي الخير والشر من الكائنات الخارقة للطبيعة، كان سائدا بين عموم الحضارات القديمة. ويوجد اليوم الكثير من الأعمال والآثار عن الكثير من هذه الشعوب ويتم الاحتفاظ بها في المكتبات والمتاحف. ومن هؤلاء كان سكان ضفتي «دجلة» و «الفرات» في تلك الآيام الحافلة بالرجاء والخوف والانبهار.

وكان **السومريون** الأسطوريون الذين كانوا يقطنون وديان آسفل نهر دجلة خمسة آلاف عام قبل الميلاد، **والاكريون** داكنو البشرة ممن كانوا يقطنون منطقة «بابل» ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد **والايلايون** أو أجداد الايرانيين الذي يمكن مشاهدة موطئ قدم لهم حتى القرن الرابع قبل الميلاد **والبابليون** المنجمون الذين أسسوا للإمبراطورية في العالم **والآشوريون** الذين خضعوا بداية لسلطة «بابل» لكنهم تحولوا لاحقا إلى فاتحي «آسيا الغربية» و «مصر» وأخيرا **الماثيون** الذين ذاع

صيتهم حتى استيلاء البارسيون على جميع الأراضي الآسيوية[1] كانوا يمارسون دنماطا مختلفة من طقوس السحر والشعوذة.

فالسحر بالمعنى العام، يعني أي عمل غريب. إن المصطلح الإنجليزي حول الفنون السحرية «Witeh eraft» يشتمل على قسم هذه الأنماط من الظواهر وهي يشتمل بحد ذاتها على السحر الخاص.

والسحر بالمعنى الجزئي، هو فن غامض للتاثير على عالم المادة من خلال تدخل إرادة الساحر، سواء كان بادئا أو لاحباط مفعول سحر الآخرين.

إن مفردة السحر أو «جادو» (Jadug) كانت موجودة في اللغة البهلوية، لكن استخدمت كلمة «جادو» في البهلوية والكتب الكلاسيكية الفارسية بما فيها «الشاهنامة» بمعنى الشخص الساحر.

إن كلمة مجيك موجودة بالحروف الفارسية في الكتب الايرانية القديمة. فمثلا يشير كتاب «اوستا» الكتاب المقدس للزرادشتيين إلى «مغ» أي رجال الدين الذين يصلون إلى مستوى «مجيكن» بعد تلقي دروس في «مجيك.»

وفي التقسيمات القديمة، فإن العلوم الخفية أو العلوم الغريبة كانت معروفة كأحد صنفي العلوم. والصنف الآخر أي العلوم «الجلية» كانت مرتبطة بالطب والمنطق والهندسة وغيرها وكانت تملك قوانين خاصة تكتب في الكتب وتدرس في المدارس، لكن العلوم الخفية التي تسمى أيضا بالعلوم الغريبة، تتطرق إلى القوى الخارقة للطبيعة وتبقى أسرارها خافية لدى علمائها.

إن الفنون التي تبحث عن آثار المجيك، سموها وصنفوها كالآتي:

- علم وفن التنويم أو التنويم المغنطيسي أو الهيبنوتيزم؛

---

١. كلسرخي، ايرج، تاريخ الشعوذة، ج ١، ص ٢٢.

- السحر (في المعنى الخاص): إيجاد تغيير في عالم المادة باسلوب فوق طبيعي وبإرادة الساحر؛

- الكيمياء: العلم الذي يبحث في تحويل النحاس والمعادن وحتى الحجر إلى الذهب. ان الجهود والمحاولات في هذا المجال أسفرت عن نشوء علم الكيمياء؛

- الهيمياء أو علم وفن الطلاسم: طريقة تركيب قوى العالم العلوي مع كائنات العالم السفلي؛

- علم وفن الأعداد والأرقام: ويتحدث حول ارتباط الأعداد والحروف معا وتشكيل جداول خاصة على هيئة مثلث أو مربع ووضع الحروف والأعداد في خاناتها للوصول إلى الموضوعات المختلفة بطريقة خاصة؛

- علم وفن الخافية: ويتحدث عن كيفية تغيير وتكثير حروف وأسماء الشئ المنشود واستخراج أسماء الملائكة والشياطين الموكلين عليهم، ومن ثم الدعاء بورد يتشكل منها؛

- علم وفن استحضار الأرواح (يشبه الليمياء)؛

- الليمياء أو علم وفن التسخير: يتحدث عن كيفية الارتباط بالأرواح القوية في العالم العلوي (يشبه استحضار الأرواح)، مثل تسخير الجن؛

- السيمياء: يتحدث عن كيفية تركيب الإرادة والقوى الفيزيائية الخاصة من أجل الأعمال الغريبة؛

- الريمياء: وهذا الفن هو خفة اليد والشعوذة. ويتم في هذا الفن استخدام القوى الفيزيائية وخصائل حواس الإنسان للإيحاء بآثار غريبة في عين وسمع وحواس وحتى ذهن المشاهد ليجسد آثارا غريبا لا توجد أصلا، وذلك سواء بأساليب فيزيائية ومادية وطبيعية وفوق طبيعية؛

- الرجم بالغيب: وهو علم أخبار الحوادث في الماضي والحاضر والمستقبل تكون خافية على الكاهن وذلك من خلال تدخل إرادة الكاهن. وهذا الفن له أنواع:

- العرافة: فالعراف هو الذي يتوقع ويتكهن المستقبل من خلال كلمات وحالات وسلوك السائل؛

- الكهانة (في المعنى الخاص): والكاهن هو الشخص الذي يرتبط بصاحب رأي من طائفة الجن ويخبره عن المستقبل أو بأمور خفية. مثلا مكان المال الفلان الذي سُرق أو من قتل فلانا؟

إن الكهانة بالمعنى العام تعني إقامة علاقة مع جن ما. وبوسع الكاهن السؤال من الجن عن الماضي أو الحاضر، بل يستطيع أن يطلب منه القيام بعمل غريب.

ان لغة السحر والشعوذة هي لغة خاصة وإن بعض حروفها مشتركة فقط في العربية والفارسية، لكن هناك فارقا في كيفية كتابتها.[١]

ويطلقون على الكيمياء والسيمياء والليمياء والهيمياء والريمياء اسم العلوم أو الفنون الخمسة الخفية. أسوأ انواع السحر، هو السحر الأسود أو الدنئ والقذر[٢] الذي يتعامل مع قوى دنيئة من قبيل الموت و يُمارس لغرض شخصي، مثل الإضرار بالأشخاص.

لقد كانت مصر وبين النهرين وبلاد فارس (ايران)، أماكن تملك تخصصا كبيرا في السحر والشعوذة.

وقد أتت عموم المصادر المكتوبة والروائية المقدسة الإلهية والسماوية على ذكر السحر كواقع، لكنها نددت بجميع جوانب هذه العلوم الغريبة.

---

١. موسوعة ويكيبيديا الحرة.

٢. Nectomancy.

إن التنديد الشامل بالعلوم الخفية، ليس بسبب التخوف من استخدام السحر لغرض خداع وإغفال الآخرين فحسب بل بدليل أن السحر مضر بالاجتماع ومخل بالمبادئ الأخلاقية، ويتدخل في شؤون قد منعت وحظرت كما يمس التعاليم الإلهية... ويعارض دين موسى(ع) شأنه شأن المسيحية، السحر بوصفه تدخلا سافرا في القدرة الإلهية.[١]

وعلى الرغم من التصور العام، فإن تفوق العلوم التجريبية الحديثة لم يقيد نطاق عمل «العلوم الخفية» (العلوم الغريبة)، بل إن فصلا جديدا من هذه العلوم قد بدأ مع بدأ وبسط التاريخ الغربي الجديد منذ القرن الثامن عشر. وقد جرب المذهب الإنساني في عصر النهضة، ظهورا جديدا لطقوس السحر والشعوذة.

إن أنصار المذهب الإنساني في عصر النهضة، أصبحوا المروجين الجدد لطقوس «باغاني» وذلك من خلال إبداء الحرص على الأدب «الباغاني» والتوجه نحو التعاليم المشركة التي تعود إلى عصر ما قبل ظهور المسيحية وتعلم اللغات القديمة بما فيها اللغة العبرية.

و «باغان» تعنى الكافر والشخص الذي ابتعد عن الدين. وفي المصطلح تعنى كلمة «الباغانية» دين الناس القرويين. وتطلق بعض المصادر، اسم «الباغانية» على الأديان متعددة الآلهة ما قبل المسيحية. وكان أنصار هذه الديانات يعبدون الآلهة اليونانية والرومية والمصرية وباقي الآلهة الأسطورية.

إن ظهور المسيحية دفع هذه الديانات المتسمة بالشرك إلى العزلة، لكنها واصلت حياتها في المناطق النائية والقرى. ولاسيما في القرون الوسطى حيث كان أنصار

١. تاريخ الشعوذة، ص ٦٧.

هذه الديانات، يمارسون طقوسهم بصورة سرية وخفية. ان أحد أهم رموز الباغانية والتي تشاهد اليوم في عموم المدن الاوروبية وفي الساحات الرئيسية هي «دمى ابليس» التي تعد رمزا للديانات المشركة للآلهة المصريين ويتم تكريمها على يد المحافل السرية للماسونية.

وكانت اللغة العبرية قد وضعت في بوتقة النسيان بشكل عام في القرون الوسطى وكان عدد قليل بمن فيهم السحرة والمشعوذين يعرفون رموز هذه اللغة وآدابها وكانوا بذلك يستخدمون النصوص السحرية اليهودية.

وقد أقدم أنصار المذهب الإنساني في العصر الحديث بلهفة يسودها الفضول على تعلم اللغة العبرية.

إن بحث أنصار المذهب الإنساني للعثور على أسلوب ميتافيزيقي أو فلسفي يساعدهم على التخلص من القيود الأرسطوئية للقرون الوسطى، شكل أحد دوافع حبهم المتزايد للتعرف على المعارف والثقافة اليهودية، إذ وجدوا هكذا أسلوب في مبادئ عقيدة سرية ومخفية أي «كابالا.»[١]

وكانت «كابالا» مبادئ عقائدية خاصة دخلت اليهودية من الديانات المصرية القديمة واختلطت بتعاليم خفية وغريبة وأوجدت نظاما نظريا معقدا حول خلق الكون.

وهذه التعالم كانت تستند في الحقيقة إلى وصف مادي للعالم، وكانت تقر بوجود أزلي للمادة من خلال الرجوع إلى معتقدات المصريين القدامى.

ونقرأ في الآية ١٠٢ من سورة البقرة، بأن بني اسرائيل كانوا قد تعلموا الطقوس السحرية الشيطانية من مصادر خارج ديانتهم.

---

١. تاريخ الشعوذة، ج ٢، ص ٥٢٢.

«وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ.»

و تلفظ «كابالا» باللغة العبرية «قبالا» أو الديانة القبالية. وهذه الطقوس هي نوع من التصوف اليهودي الذي برز كطقس سري ومخفي من خلال تمازج التعالم المختلفة.

إن تصوف الكابالا هو ذو نزعة مادية وسلطوية. وأهم كتب هذا الطقس الشيطاني هو «زوهر.» ان البروتستانتية (حركة النهضة الدينية) التي وقعت في القرن السادس عشر للميلاد وانطوت على توجه يهودي توراتي، مهدت لإحياء وإعادة قراءة الكتب الكابالاية. إن بيكو دلاميراندولا الإيطالي وأحد أنصار المذهب الإنساني الشهيرين، أورد بعد تعرفه على الكابالا وتعلم اللغة العبرية، نظريات وأفكار الكابالا في كتبه وأعماله. وقد صدر كتابه المسمى Heptaplus (الأنهر السبعة للخلقة) والذي كتب بالطريقة الكابالية، في «فينيسيا» عام ١٥٦٩ للميلاد.

ويمكن اعتبار بيكو أول غير يهودي قام بجمع كتابات اليد العبرية.[١]

ولا يخفى بأن الثوار الذين كانوا أصحاب اثر في الثورة الفرنسية، كانوا ماسونيين تابعين للمحافل الماسونية.

وقد كرمت المحافل الماسونية السرية وفي إطار قبول الاعضاء، الطقوس الباغانية التي كان يتم مراعاتها في الديانات المصرية واليونانية، وكانت تسعى في الخفاء وتأسيا بالديانات التي يكتنفها الغموض، لإقامة ارتباط بقوى ماوراء الطبيعة وجنود إبليس.

وكان نابليون بونابرت يعرف السحر ويجيزه لنفسه على غرار إمبراطوريي الروم القدامى، ويحرمه على الآخرين.[٢]

---

١. تاريخ الشعوذة، صص ٥٢٢ – ٥٢٣.
٢. المصدر السابق، ص ٧٣٧.

وفي جميع سنوات القرن التاسع عشر، كان جمع من الفلاسفة وعلماء الاجتماع وحتى قادة الكنيسة الاوروبية، يتعاملون مع المدارس السرية.

وفي العصر الحاضر، فإن هناك الكثير من الأشخاص بمن فيهم قادة المحافل السرية وحتى رجال السياسة الشهيرين يعرفون العلوم الغريبة ويستخدمونها لنيل مآربهم. وبشكل عام فإن اطلاق يد الشياطين ضد المجتمعات الإنسانية في عصرنا الحاضر، هو حصيلة اتساع وانتشار الذنوب والمعاصي والجرائم السافرة بين الناس.

إن رواج شرب الخمر والزنا والمثلية الجنسية والقمار والربا والذي تم عن طريق بنياسرائيل وشركائهم الغربيين، قد ازال جميع الجدران المحافظة للانسان.

إن الحكام اليهود والماسونيين وقادة المحافل السرية الذين هم عبدة الشيطان، يستمدون قوتهم من الشيطان من خلال الترويج للمفاسد والقبائح ليزيدوا بذلك من سطوتهم وملكهم المشين.

إن سر قوة قادة المحافل السرية بمن فيهم الماسونيون وهيمنتهم على الشرق والغرب، يكمن في اتصالاتهم الشيطانية. ولا يوجد بلد في الوقت الحاضر يحتضن عبدة الشيطان والسحرة بقدر بريطانيا.

وفي البلدان الشرقية وحتى ال؛سلامية، هناك بعض آصحاب السلطة والنفوذ يستخدمون قدرات السحرة والمشعوذين وطاردي الآرواح الشريرة لتحقيق مآربهم والتاثيرعلى ذهن ونفس الناس وضعاف المنافسين والسيطرة عليهم.

ويقول القران الكريم:

«سَحَرُوا أَعْيُنَ النّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ.»[١]

١. سورة الاعراف (٦)، الاية ١١٦.

كما تقول الآية ١٠٢ من سورة البقرة في ؛شارة إلى قصة هاروت وماروت:

«فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ.»

إن الآيات القرانية وقصة الإنسان تظهر كيف كان أبناء إبليس بالتبني يوجدون مشاكل وتعقيدات لبني البشر لينالوا مبتغاهم البغيض.

و في هذا العمل، كان السحرة والمشعوذون، يستخدمون أنواع العزائم والطلاسم لإيجاد نوع من الاستيلاء الذهني والروحي على الأشخاص لإخضاعهم لهم.

وفي عصرنا الحاضر، وكما يلجأ «الموتيون» في «جنوب أفريقيا» إلى السحر للتدخل في شؤون الناس بما في ذلك عن طريق وصف الدواء وال«مووتي»، يلجأ كبار المسؤولين وقادة المحافل الخفية في أوروبا وأميركا المتحضرتين إلى أساليب السحر اليهودية من أجل التاثير على منافسيهم أو السيطرة على مقدرات سائر الشعوب والدول.

إن بعض الرجال الشهيرين ومن أصحاب المواقع الوجيهة، يسخرون السحرة والمشعوذين، لتمهيد طريق هيمنتهم على روح الناس وذهنهم. فيستحوذون على قلوب عامة الناس ويسوقونهم نحو رغباتهم الخاص ويستقون بهذه الطريقة الغادرة معلومات وأخبارا من منافسيهم ومعارضيهم ويظهرون أنفسهم على أنهم اصحاب كرامات في أعين أنصارهم.

وفي جنوب القارة الإفريقية، يطلقون على الأطباء السحرة اسم «سن غوما» والدواء الذي يعدونه ويصفونه ب ال«مووتي.» إن جرائم هؤلاء السحرة الذين يتسببون سنويا بمقتل الكثير من الفتيات والنساء والأطفال، معروفة لدى القاصي والداني.

موقع السحر فى الأديان التوحيدية:

إن أشهر قوم في الاهتمام بالعلوم الغريبة والشعوذة هم «بني اسرائيل.» وقد تعلموا في عصر الفراعنة هذه العلوم من السحرة والمشعوذين. وفي عصر النبي موسى(ع)، كان السامري ملم بالشعوذة والسحر واستخدمهما في أول فرصة للنفوذ إلى الديانة الموسوية لبنيإسرائيل. ولهذا فإنه طرد من لدن المؤمنين.

وعاد **السامري** بعد رحيل النبي موسى(ع)، مرة آخرى إلى بني اسرائيل في عصر **النبي صمويل** وأثر على عمل نبي الله والمؤمنين من خلال ممارسة السحر وتعليمه. ومذاك، تدنس بنو اسرائيل بالممارسة السحرية ثانية وتنقلت هذه الممارسة بينهم من جيل إلى جيل. وكما ذكرنا، واستنادا إلى آيات سورة البقرة، فإن شياطين ملك سليمان، كانوا يعلمون الناس السحر والشعوذة. فما كان من الله تعإلى إلا أن يرسل من منطلق اللطف، ملكين اسمهما هاروت وماروت بين الناس ليعلمونهم طرق إحباط السحر.

وبما أن السحر والشعوذة، يشبهان القنبلة التي يجب أن يعرف من يحبط مفعولها آلية عملها، فإن بنيإسرائيل استخدموا ما كانوا قد تعلموه في الاتجاه المعاكس من أجل نيل أهدافهم المقيتة أيضا.

وفي الدين الإسلام الحنيف، أعلن بأن هذا العمل القذر والشيطاني، حرام، ويقول القرآن الكريم عن مصير اولئك الذين يمارسون السحر:

«وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أحد حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أحد إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ.»[١]

إن تدنيس ساحة الحياة العقائدية والثقافية للمستضعفين والتاثير الجائر على أذهان ونفوس الناس - من دون أن يكون لهم علم وتدخل حول العمل الساحري – واستغلال القوى الماورائية الشيطانية المنتشرة في الطبيعة، يعد أكثر الأعمال التي تمارس ضد الإنسان ظلما.

وبناء على ذلك فإن مرتكبي هذه الأعمال، سيكونون بعيدين كل البعد عن الرحمة الإلهية وستطالهم اللعنة الأبدية.

إن هؤلاء يطلقون يد الشياطين في الميادين المختلفة من الحياة الفردية والاجتماعية للناس، بل وبسبب تعهدهم للشيطان، يتحولون هم إلى يد الشيطان وأذنه وقدمه وعينه ويواصلون حياتهم في هيئة «أداة الشيطان.»

وكان أتباع الديانات المختلفة يطبقون عقوبات صارمة وخاصة ضد السحرة والمشعوذين.[٢]

---

١. سورة البقرة (٢)، الاية ١٠٢.
٢. إن ثمة مجموعة من المعتقدات والأعمال التي هي بصدد ايجاد اثار تتعلق بماوراء الطبيعة وخارج حدود المعرفة العقلية وذلك عن طريق السيطرة على القوى الخفية أو الافادة من الارواح التي هي في خدمة هذه القوى. وأهم تقسيم في مجال السحر، قائم على اساس ثقافة عامة الناس وفي ظل هذا التوجه ينقسم السحر إلى نوعين «الاسود» و «الابيض» ويتم السحر الابيض لاهداف سامية فيما ينجز السحر الاسود للاضرار بالناس والمجتمع.
وينسب المؤرخون بدء السحر إلى بين النهرين القديم والسومريين. وفي ايران ووفقا للوثائق التاريخية، فقد بدأ السحر منذ العصر الاخميني. ويجب الانتباه إلى انه يتم تقييم السحر في كل عصر من زوايا مختلفة. وفي تاريخ السحر، فإن معظم الضحايا كانوا من النساء.
ولم يتمتع السحر بموقع موحد في حقوق الجزاء، ويجب البحث عن سبب ذلك في دراسة الجرم واساسه في الاعصار التاريخية المختلفة. ففي العصور القديمة وحتى القرن الثامن عشر للميلاد، تواجه عامل الدين في دراسة الجرم. وتنبذ كل من اليهودية والمسيحية والاسلام، السحر وتسعى لشطبه من مجموعة المؤسسات الاجتماعية المقبولة لدى الجمهور. وهذا الاساس في دراسة الجريمة يحتفظ بقدرته حتى القرن الثامن عشر للميلاد.

وفي الإسلام، يصنف السحر والشعوذة ضمن الكبائر. وورد في المصادر الوحيانية والروائية لأهل البيت(ع) ذكر أكثر من أربعين ذنبا بوصفها الكبائر من الذنوب.

إن السحر والشعوذة وبجانب الشرك بالله، تعد من الذنوب التي تمسخ روح الإنسان على أثرها ويفقد الإنسان فطرته الطاهرة.

وفي الإسلام، فإن من يذهب إلى السحرة لاتقبل صلاته وذلك بسبب كراهية عمل الساحر و كونه مبغوضا عندالله. و قال النبي الأكرم(ص):

وعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ(ص) قَالَ: » ثَلاثَةٌ لايَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ.»[1]

إن السحرة ومستدعي الشيطان، لايتراجعون عن معتقداتهم الشيطانية قيد أنملة لأنهم سلموا روحهم للشيطان ويصرون على الاستعانة بالشياطين للمضي قدما بمآربهم أو مآرب الآخرين ويثقون بقدرة الشياطين وأعوانهم وأنصارهم من الجن

وفي قانون حمورابي، يعتبر السحر، جرما. كما كان الهيتيون يعتبرون السحر من الجرائم ضد النظام العام ووضعوا عقوبة الموت الاسود له مع ذكر الحالات. وفي اليونان القديمة، كانوا يواجهون السحر بالاعدام وفي روم القديمة، كان السحر الاسود يدرج ضمن الجريمة، فيما كان السحر الابيض يضطلع بدور مهم في السياسات. وفي ايران القديمة، رغم ان الاخمينيين كانوا يتساهلون بشكل أكبر في هذا الخصوص، لكن الساسانيين كانوا يفرضون عقوبات صارمة على السحرة بواسطة رجال الدين.
وابدي اهتمام للمرة الاولى بالسحر ضمن النظام الداخلي للمخالفات (في ايران) عام ١٩٤٥. وكان يعتبر جرماً شرط ان يتخذ كحرفة من قبل الساحر. وفي السنوات الاخيرة ادرجت مادة في لائحة قانون العقوبات الاسلامية اعتبرت السحر والشعوذة جرما واتخذت عقوبة الموت له، وطبعا كانت هناك مآخذ اساسيه عليها بما في ذلك عدم تعريف السحر والشعوذة وتحديد حدودهما بشكل دقيق. ووضع عقوبة الاعدام له، وعدم تحديد العقوبة وفي الحقيقة عدم اعتبار السحر والشعوذة جرما لغير المسلمين وما إلى ذلك. يذكر ان المادة المذكورة حذفت بالتالي من هذه اللائحة.
وفي القرون الوسطى، تم اعتماد مواجهة صارمة مع السحر واتخذت عقوبة الموت له. وبدات محاكم التفتيش في اوروبا عام ١٩٥٦ واعتبر السحر والشعوذة رديفا للكفر والالحاد، وبدات المحاكمات العشوائية وعمليات القتل. واول خطوة اتخذت لتاطير مواجهة السحرة في اطار القانون، كانت في عام ١٥٦٣ للميلاد من قبل الملكة اليزابث في بريطانيا. وتمت المصادقة على قانون اتخذ الاعدام والحبس كعقوبة للسحر. وفي عام ١٦٦٤ للميلاد، عرض جيمز الأول لائحة على البرلمان الغي فيها قانون اليزابث وزادت عقوبة الاعدام. وفي عام ١٧٣٨ غير تشارلز الثاني، الوضع واتخذ من السجن فقط عقوبة للسحرة. واستمر هذا القانون حتى عام ١٩٥١.
قراءة الطالع والضرب بالرمل والفأل: واتخذت دراسة الجرم للسحر في القرن الثامن عشر للميلاد اساسا جديدا في ظل التطور الذي طرأ على حقوق الجزاء. ان المنشأ الجديد تم على اساس مصالح البشرية وحفظ حقوق الإنسان وحريته. وفي معظم المجتمعات، يتم ادراج السحر كجرم في حالتين: في حال تم ارتكاب جريمة من أجل انجاز السحر وكذلك في حالة ادى السحر إلى نتيجة اجرامية.
ويجب القول بان السحر، تولد مع البشرية. وهذه الحقيقة لا يمكن انكارها. ومن جهة أخرى، فان مصالح ومنافع البشرية تقتضي ان يتم منع وحظر السحر ان كان مضرا وان أحد أكثر الطرق تاثيرا لذلك هو اعتباره جرما. ان القضية الرئيسية للاوساط القانونية والتشريعية في الوقت الحاضر قائمة على اعتبار السحر، كجريمة.
١. مجمع الزوائد، ج ٥ ص ١١٧.

ويمهدون لانتشار الذنوب والمعاصي والأهم من ذلك الظلم والجور بين عباد الله. لذلك فانهم يعتبرون من أكثر فئات الناس بغضا ونفورا في كل عصر.

و جاء في سورة طه، الاية ٦٩:

«وَلَايُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى.»

و في الديانة المسيحية في القرون الوسطى، كانوا يلقون السحرة والمشعوذين في النار وهم أحياء و ذلك بجريرة السحر.

إن نبذ السحر وطرد السحرة ومعاقبتهم، يأتي لسبب أن السحرة ومن أجل نيل مقاصدهم الشيطانية، يتخلون عن الإيمان و يطيعون أوامر الشيطان ويكفرون و يسيئون للمقدسات و يقتلون الإنسان والحيوان ويقومون بأعمال حرمها الشرع.

و ورد في مصادر أهل السنة عن رسول الله(ص) حول من يتعلم السحر:

«مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ السِّحْرِ قَلِيلا أو كَثِيراً، كَانَ آخر عَهْدِهِ من الله.»

و في الأعوام الاخيرة و مع انتشار الانترنت، قام أنصار و أعوان الشيطان بنشر أنواع وأشكال كتب السحرة والمشعوذين وأنواع الأوراد والعزائم والطلاسم، وهذا ما دفع البعض – لاسيما الشبان – إلى التعرف على هذه المصادر من منطلق حب الاستطلاع أو الجهل، و بالتالي إيجاد مشاكل عديدة لهم وللآخرين من خلال العبث بهذه الأوراد والطلاسم، وهي مشاكل لا تسوى أبدا بالطرق العادية.

و قد بذل الشياطين قصارى جهدهم لجعل السحر والشعوذة رديفا لمعجزة الأنبياء الإلهيين وسعوا من خلال الأدوات الحديثة مثل إنتاج أنواع الأفلام السينمائية وأفلام الكارتون لتوجيه ذهن وقلب الاطفال والأحداث وعامة الناس نحو السحر والشعوذة والقبول بهذا العمل الشيطاني ك «امر رحماني.» بحيث أن الأطفال والأحداث

أخذوا يبحثون من دون علم، عن العصا السحرية (أو هوليوود) والارتباط بالقوى السحرية الشيطانية من أجل بلوغ مطالبهم وأحلامهم.

إن هذه الواقعة الشاملة في عصر الاتصال الحديث قربت عالم الاجنبة الشيطانيين من العالم الإنساني ووسعت من نطاق عملهم.

وبجانب هذه الأعمال السمعية والبصرية تم إدخال الكثير من الطلاسم والعزائم إلى بيوت الناس عن طريق الدعاية والإعلام (وأدوات الزينة مثل الخواتم و...).

ويعلق الشبان هذه الرموز والعلامات على رقبتهم ويضعونها في أيديهم أو على ثيابهم وذلك على سبيل التسلية واستعراض الذات. وكل هذا أزال الجدران الحافظة والامنة للناس وأصابهم بالطلاسم البسيطة.

وخلال العقدين الأخيرين، ظهرت أنواع وأقسام رموز وعلامات السحرة والمشعوذين والماسونيين واليهود على هيئة المباني والعمارات والرسومات على جدران المدن والأزقة والأحياء والطرق السريعة. ويقوم المعمارون والبناؤون عديمو الخبرة والمغرضون أحيانا، بتدنيس المدن ليمهدوا بذلك مسارات تردد القوى الشيطانية في العالم الإنساني.

إن قسما كبيرا من تفشي القبائح السافرة بين الناس، وتجرؤهم على ارتكاب الذنوب وهتك الحرمات وميلهم نحو المعاصي والإعراض عن الشعائر الدينية نابع بلا شك من هذه الأسباب.

وللأسف فإن غياب الوعي الثقافي والديني لدى رؤساء البلديات ومخططي المدن والرسامين ومنتجي البرامج التلفزيونية والسينمائية وخائطي الملابس والثياب وعدم اكتراث الأجهزة الثقافية المسؤولة، يزيد من نطاق هذه الكارثة الاجتماعية الكبرى ويجعل المجتمع الاسلامي متورطا أكثر فأكثر بالنجاسات الميتافيزيقية.

وقد شاع وانتشر هذا الأمر لدرجة أن الناس أصبحوا يوجهون أصابع اتهام التلوث بالقوى الشيطانية، نحو بعض رجال السياسة.

وكأنه يجب على الدوام قراءة المعوذتين وقول «أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم.»

مهتز و زلق كالهُلام

عندما نفى عثمان، أبا ذرّ الغفاري إلى الربذة وهم أبو ذرّ بالسفر، رأى الإمام علي(ع) في الطريق، فقال له الإمام:

«يا اَباذَرٍّ، اِنَّکَ غَضِبْتَ لِلّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَـهُ. اِنَّ الْقَـوْمَ خـافُوکَ عَلـى دُنْياهُمْ، وَ خِفْتَهُمْ عَلى دينِکَ، فَاتْرُکْ فى اَيْديهِمْ ما خافُوکَ عَلَيْهِ، وَاهْـرُبْ مِنْهُمْ بِما خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ. فَما اَحْـوَجَهُمْ اِلـى مـا مَنَعْـتَهُمْ، وَ مـا اَغْنـاکَ عَمّـا مَنَعُوکَ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرّابِحُ غَـداً، وَ الاْكْثَـرُ حُسّـداً. وَ لَـوْ اَنَّ السَّـمواتِ وَ الاْرَضينَ كانَتا عَلى عَبْد رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللّهَ لَجَعَلَ اللّهُ لَهُ مِنْهُمـا مَخْرَجـاً. وَ لايُونِسَنَّکَ اِلاَّ الْحَقُّ، ولايُوحِشَنَّکَ اِلاَّ الْباطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْياهُمْ لاَحَبُّـوکَ، وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْها لاَمَّنُوکَ.»

رغم أني وافقت اثر إلحاح صحفي ملحاح على الرد على سؤال له حول نمط العيش، لكني كنت مترددا في خوض هذا الموضوع عندما كان جالسا أمامي ومعه قلمه وأوراقه وجهاز تسجيل الصوت، لأني أرى أن الخوض المفاجئ ومن دون دراسة وتحضير مسبق في الموضوعات الثقافية المهمة تحول إلى عادة لنا. وبين الفينة والفينة تدفعنا كارثة أو حتى عمل وتصريح صادر من الجانب الاخر من

البحار إلى إبداء ردة فعل واتخاذ موقف من أمر ما. ويتحدث جمع من هنا وهناك في بلاد أيران الشاسعة حول الموضوع، وقبل أن تتبلور وتتشكل مادة ويحصل استنتاج، يُدفع بالموضوع إلى بوتقة النسيان وتتجه الأذهان والألسن نحو موضوع جديد. ومن هذا المنطلق فان التوجه العام لمجتمعاتنا الشرقية من الخواص والعوام يشبه على الدوام الهُلام الجيلي المهتز والزلق وغير المتماسك.

إننا ننظر إلى جميع القضايا والعلاقات الفردية والجماعية بنظرة انفعالية وتوجه جزئي النظرة ونتخذ موقفا من الموضوع تأسيسا على الهواجس والحوادث ونصدر تعليمات كل حسب موقعنا ومنزلتنا قبل أن ندرسة بصورة شاملة وحتى أننا نأمل في هكذا وضع وحالة أن يحصل تطور جوهري في بنية الحياة الثقافية والحضارية للمسلمين، ونحلم أحيانا عبثا ببناء عالم وانسان جديدين رغم إصرارنا على هذا النهج والأسلوب. وربما في حال حصل فشل وإخفاق وإحباط، نلقى باللائمة على الآخرين ونتهمهم بأنهم كانوا وراء هذا الإخفاق.

وبعد مقدمة وحديث سأل الصحفي الشاب عن كم وكيف نمط الحياةوالحياة والمخرج من الأسلوب المستورد والدخيل السائد، فقلت:

إن أيا من القضايا والعلاقات الفردية والجماعية وبغض النظر عما إذا كنا نستسغيها و نحبذها أم لا، لايمكن تحديدها من دون ملاحظة الأسس والدعائم التي تضفي عليها قواما وتماسكا وصلابة ومن دون الرجوع إلى السوابق ومسار تطورها وتغيرها، لان أيا منها لا يبدو بسيطا وسهل الوصول حتى يكون بمقدورنا فرض إرادتنا عليها أو تطبيق أحكامنا بشأنها ونحصل على النتائج التي نصبو إليها. إن من السذاجة بمكان أن نتصور بان كل شئ هو كالعشب الذي ينبت فجأة بجانب

ضفاف نهر صغير ويبقى بانتظار أن نأتي ونلتقطه باصابعنا من على سطح الأرض ونلقيه في الماء. ومن هنا ورغم الصورة الظاهرة وممارسة التغيرات في القضايا الجزئية، فان سرطانا من الاضطراب والتأزم يغزونا بعد فترة وجيزة من الغفلة والنوم ويصيب جميع الأعضاء والجوارح، دعنا من هذا! ...

إن تصاعد موجة الحديث عن نمط الحياةيعد هو الآخر مصداقا آخر لتوجهاتنا الموضعية تجاه وجه مهم من الحياة الثقافية والحضارية للبشرية. واعتبر ذلك مهما بسبب علاقته بالحياة والعيش في الأرض.

إن هذا الموضوع وضرورة طرحه، كان مستترا في طيات الحياة الثقافية للشعوب الكبيرة وصاحبة الماضي العريق كالمسلمين والإيرانيين، وقد تجاهلنا الموضوع رغم أهميته في العصر الحاضر.

وفي عام ١٩٢٩ وضع الطبيب النمساوي م. ألفرد أدلر مصطلح نمط الحياة Life Style. ومذاك إهتمت الدراسات الاجتماعية بنمط الحياة وكيفية عيش الانسان في بيئة ثقافية خاصة. بينما كان موضوع ومفهوم نمط الحياة في التقليد الديني يطرح تحت عنوان «التقليد» و «أدب الدنيا وأدب الدين.» وعندما نتحدث عن نمط الحياة فاننا نتحدث في الحقيقة عن «حالة ثقافية» وان الأمر بحاجة إلى التمعن والتأمل فيه بمقتضى موقعه ومكانته قبل أن يُراد من طرحه إصدار تعليمات متسرعة لايجاد تغيرات إجتماعية والعبث بالعلاقات الأسرية. ومن دون هذه الملاحظة لا تتوفر إمكانية درك طبيعة نمط الحياة واعادة معرفة كل ما يطرأ على الحياة والعلاقات الاجتماعية والأسرية للمسلمين.

وعندما نحاسب نمط حياة خاصة ونقترح نمط حياة آخر، نكون قد أخذنا بنظر الاعتبار تعريفا خاصا عن الحياة ومغزاها الخاص ونخضع تعريفا ونمطا آخر من التعاملات والعلاقات الفردية والاجتماعية للمحاسبة والتحقيق.

إن المؤمنين والمتدينين قلقون من غياب السير والسلوك والتعامل الديني الممدوح في الحياة الفردية والاجتماعية للناس ويطالبون باحياء وإعادة تأهيل الآداب والسنن الدينية في إطار أسلوب جديد للحياة. ولا يأخذ أحد على هذا الطلب الحميد بل على العكس يرحب به، لكن لا يمكن تجاهل أن دراسة أي من العلاقات والقضايا في أي عصر وزمان بما فيها نمط الحياة قابلة للتحديد في المجالات الثلاثة المهمة وهي الفكرية والثقافية والحضارية. إن هذه المجالات الثلاثة وفي نسبة طولية لا عرضية مؤشر على التأثر الحتمي والقسري للطبقات والسطوح العليا والظاهرة بالطبقات السفلى واللطيفة.

إن القضايا والعلاقات المادية والحضارية تشكل أدنى مستوى من المستويات الثلاثة آنفة الذكر. والمستوى الأعلى والأسمى للعلاقات المادية هو المستوى الأخلاقي والثقافي الذي يؤثر على جميع المستويات المادية ويضفي صبغته عليها، وفي مرتبة أرفع وأعلى فان مجمل العلاقات الثقافية والحضارية قابلة للتحديد والمعرفة في ذيل المستويات النظرية والفكرية.

إن مجمل العلاقات والصور الظاهرة للحياة تكتسب في نسيج متشابك ومتماسك، قيمتها واعتبارها من مستوى ثقافي محدد، بينما يكتسب المستوى الثقافي جوهره وروحه من المستوى الفكري.[١] إن الحوار عن نمط الحياة يعكس في حد ذاته حوارا عن أدب الوجود والحياة في الأرض.

١. للتوسع في الدراسة، يرجى مراجعة كتاب «الفكر، الثقافة والأدب، الحضارة» لكاتب هذا المقال.

إن الأخذ على نمط الحياة السائد ونقده وتقويمه أخلاقيا هو نقد عالم قام الانسان الغربي بتجسيد صورته في ذهنه وخياله ومن ثم أرسى صورته المادية على صفحة التراب تدريجيا من خلال السير في ذلك العالم والسباحة في مراتبه الفكرية والثقافية. إن هذه الصورة الحضارية هي إنعكاس لذلك العالم الذي كان الانسان الغربي ينشده ويعتبره ضالته وأمنيته.

إن روح وباطن الحضارة الغربية وصورة علاقاتها وتعاملاتها المادية، تمثل في الإعراض عن الدين والسير والسفر الدنيوي في الأرض. وكانت نتيجة التطور في الميدان النظري وتبيان نسبة جديدة بين الانسان والدنيا هو ظهور نمط حديث للحياة. النسبة التي كان يتم تعريفها قبل هذا في التقليد الديني الشرقي بشكل آخر.

وفي التقليد الديني وعلى النقيض من الحداثة التي تسود ذهن ولسان وفعل الانسان المقيم في عصر الحداثة، فان الجدران تحفظ جميع المحارم وتحول دون اختراقها من قبل غير المحارم.

إن صفة الستر والتستر التي تسود بيت وملبس ومدينة سكان التقليد الديني، كانت نابعة من صفة الستر والتستر المتسمة بحشمة وحياء الانسان الشرقي والديني. وهو الانسان المتقيد بالدين والذي كان يغض البصر عن جملة المحرمات ويضفي بجهد حثيث صبغة دينية على جميع التعاملات والعلاقات المادية للحياة الدنيوية.

وفي التقليد الديني كانت صفة الستر بوصفها قيمة أخلاقية تأخذ كل قيمتها وجوهرها من المجال النظري الديني والتوحيدي لكي يسير الانسان الشرقي والمسلم بتعبد في الأرض وأن يقترب كالمسافر مرحلة بمرحلة من المقصود السامي الكائن في ماوراء العالم المادي. وهذه الرؤية في التقليد الديني، تضفي الحياة على جميع الصور المادية وتؤدي إلى بروز نمط خاص في الحياة الدنيوية.

وإن أردنا عدم ملاحظة هذه النسب والإرتباط القائم بين المجالات الحضارية ومنابتها الثقافية وإيجاد تغيير وتحول مباغت في أحد مكونات المجال الحضاري المعتاد، فليس من الواضح إلى أي تجربة سنصل من خلال هذه الحركة الإستعراضية، بالضبط مثل الوقت الذي تميل فيه إرادتنا الجماعية في ذيل تاريخ وثقافة العصر الحديث نحو العصرنة وتجربتها.

إن نمط حياة العصر الحديث ليس بامر جديد على الحداثة الثقافية والنظرية بل هو الإبن المباشر وخلف العصرنة وإحدى ضروراتها. مثلما أن الأسرة وسائر العلاقات الفردية والجماعية للجماهير قد تغيرت بعد هيمنة عصر الحداثة أي تغلب أدب الدنيا.

تشكل عمل الدنيا على أساس العلم الدينى

إن أدب الدنيا وكيفية عيش الانسان في العالم الحديث والعصري، لم يُبن على الدين، على عكس جميع التقاليد الدينية التي بني عليها أدب الدنيا على أساس الأدب الديني.

ففي الماضي والتقليد الديني، كانت جميع العلاقات والعمل الدنيوي للناس، تنظم وتتشكل تأسيسا على أحكام وقواعد الدين. ورغم أنه تلاحظ في عصرنا بعض الطقوس والشعائر الدينية، لكن هذه الطقوس والشعائر الهامشية التي تقام في مناسبة ما، لا تبقى في مسار السير والسلوك العام في الأرض والأسرة وما يعرف بنمط العيش.

إن تغير صورة ونمط العيش الحديث رهن بتغير الأساس النظري ورؤية الانسان تجاه العالم والانسان في العصر الحديث. ومع هذا التغير والتحول في الرؤية إلى العالم، اصطنع واختلق عالم غير وحوّل جميع النسب السابقة والتقليدية.

ففي التقليد الديني، يتم تعريف أدب الدنيا نسبة إلى أدب الدين. إن أدب الدنيا هو في الحقيقة تابع لأدب الدين. ولهذا يقول مولانا جلال الدين الرومي:

نطلب من الله توفيق الأدب

فالانسان الفاقد للأدب محروم من لطف الحق

إن اختلاق التأدب والعيش في التقليد الديني هو شأن حضرة الحق جل وعلا لا من شأن الانسان، رغم أن الانسان الغربي في العصر الحديث أعرض عن الدين وقام بجعل واختلاق التأدب والعيش. وبناء على ذلك فان هذا الانسان وحسب السنة الإلهية التي لا تبديل لها، خرج من دائرة لطف حضرة الحق واستقر على مدار قهر حضرة الحق، المدار الذي كان عين البعد والحرمان والإبتلاء بالمراتب الظلمانية و الفساد.

إن عديم الأدب ليس يسئ لنفسه

فحسب بل يضرم النار في جميع الآفاق

كانت مائدة تصل من السماء

من دون شراء وبيع وقيل وقال

وكان هناك من بين قوم موسى

قالوا بصورة غيرمهذبة أين الثوم والعدس

فانقطعت المائدة والرغيف عن السماء

وبقي عذاب الزرع والحرث والحصاد

...

وإن منعت الزكاة ينقطع السحاب عن السماء

ومن الزنا ينتشر الوباء في العالم

وكل ما يحدث لك من ظلمات وغم

ناتج عن الصلافة والطيش

وكل من يمارس الصلافة في طريق الصديق

يصبح قاطع طريق الرجال وانسان غادر وخسيس

وقد امتلأ هذا الفلك بالنور بسبب الأدب

وأصبح الملك طاهرا ومعصوما بسبب الأدب

إن المتأدب بادب الحق، يكون متواضعا أمام حضرة الحق وتاركا للصلافة والطيش ومصونا ومحفوظا من الظلمات والهموم الناتجة عن ترك الأدب.

وكيف يمكن لقوم يكتسبون كل اعتبارهم من الدنيا ويختلقون من خلال غصب شأن حضرة الحق، جميع تعاريف الوجود والعيش وتنظيم مجمل العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية، الوصول إلى النورانية والمعصومية والطهر والبراءة من ظلامة الجسم والروح من خلال إعادة التاهيل البحت لصورة الحياة؟

ففي العالم الديني، يعتبر أدب سير وسلوك المصطفين من قبل الله من بين الأنبياء والأوصياء الإلهيين، جوهر و روح أدب عباد الله. لذلك فان جملة أقوالهم وأفعالهم تعتبر حجة بالنسبة للأنصار والتابعين.

وفي الإسلام، يتبلور ما يريده حضرة الحق وينال رضاه وفي أدب نبي الرحمة و سير وسلوك وسنة المعصومين(ع) ومن هناك يبرز نمط عيش سكان العالم الديني المؤمنين وكيفية تعاطيهم وتعاملهم. إن طريقة الوجود وسيرة وسنة رسول الله(ص) والمعصومين(ع) تأخذ حجيتها من حضرة الحق وتأييده، كما أن سيرة وسنة ونهج المؤمنين في الأرض، تكسب حجيتها من تأييدات حجة الحق.

وكما أن آيات القرآن تعد حجة، فان سيرة وسنة رسول الله(ص) والأولياء من بعده، هم حجة. لان الله تعالى يقول:

«إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تطهيرا.»[1]

وهذه الآية من محكمات كلام الله المجيد ونزلت بشأن أهل بيت رسول الله(ص).

وتؤكد الآية على حجية سيرة وسنة رسول الله(ص) وأهل بيته وتعتبر السنة النابعة منهم بانها أدب الدين وأدب الحق بعينه.

إن السنة الدينية تشمل جميع المناسبات والتعاملات الفردية والجماعية للناس لكي يقوم الانسان على أساسها بالسير والسلوك في العالم الديني وينجو من مجمل الظلمات والأحزان.

أريد القول على الهامش أن هذه السنّة الممدوحة هي ما يرجوه الطبع السليم للانسان. بعبارة أخرى فان الانسان الفطري وكما أنه يميل إلى منشأ ومصدر الكون أي حضرة الحق جل وعلا، فانه يميل أيضا إلى كيفية سير وسلوك ونهج نبي الرحمة(ص) في الأرض. ويقول القرآن الكريم:

«فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللّهِ الّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْهَا.»[2]

إن سر تجربة النورانية والخلاص من الغم والظلام يكمن في التأدب بادب الحق.

إن ذلك يعود إلى التأييد السماوي وتطابق فطرة الانسان مع السنن الدينية وسيرة وسلوك الحجج الإلهيين، وعلى العكس فان الإضطراب والزحام والحزن وظلامة الروح والقلق والتوتر هو النتيجة الحتمية والطبيعة للسير والسفر في نمط حياة الصلفين والطائشن التاركين للأدب، وهو الأمر الذي ابتليت به اليوم البشرية المعاصرة وتحاول يائسة لتقليص أعراض نمط العيش هذا والتهرب من معاناة هذا النمط من العيش من خلال أنواع المخدرات والمهدئات.

---

۱. سورة الأحزاب (۳۳)، الآية ۳۳.
۲. سورة الروم (۳۰)، الآية ۳۰.

ولاشك في أن ما لا يحظى برضا منشأ النور وكل النور ومطلق النور، يتبعه الظلام والعتمة.

إن ما هو سائد الان بين المسلمين تحت عنوان أدب الوجود والعيش، هو ظل باهت للسيرة والسنة الدينية الممدوحة والمتبقي عنها يعرف بنمط الحياة الدينية. إن تراجع أثر هذه السيرة والسنة وهشاشة العلاقات والمناسبات بين الناس يعود إلى هذا الشئ أي تهميش السنن الدينية.

إن غلبة نمط العيش الغربي دفع مجمل التقاليد الشرقية إلى الهامش والزوال.

لقد شاع نوع من الميل إلى الكم في كل شئ وانتشر نمط من النفعية وجعل كل شئ في العالم العصري هشا ومهتزا وزلقا كالهلام الجيلي.

وفي ظل هذه الظروف أصبحت التقاليد الدينية شكلية وتابعة للمناسبة ولا تحظى بالقوة اللازمة لتوطيد العلاقات والتعاملات.

وقبل هذا ساهم قيام تقاليد الناس على الأسس الدينية في أن يحظى المسجد والمراسم الدينية والمناسك والآداب الشرعية بمكانة ودور جوهري في تنظيم وترتيب جميع الشؤون الجزئية والكلية لمجتمع المسلمين والمؤمنين.

ويجب القول بان الحديث عن كيفية التأدب والعيش في الأرض، يستحق الدراسة والتعمق نسبة إلى الوجهة والنهاية المبينة للحياة.

مهتز و زلق كالهُلام؛ النسبية الأخلاقية

إن اهتزاز العلاقات والتعاملات بين الناس في العصر الجديد والناتج عن غلبة الحداثة، أدى إلى حدوث اهتزاز وهشاشة دائمتين في حياتهم. ويطلق على هذا الأساس الهش للعلاقات اسم نسبية الأسس العقائدية والأخلاقية.

إن النسبية التي هي في مقابل المطلق، تستخدم بمعان مختلفة في العلوم. وعلى النقيض من التقليد الديني الذي يفترض انه منشأ ومصدر الأحكام الأخلاقية المطلقة والصادرة عن منبع الغيب ولا يعتبر التشخيص والإنتقاء الذوقي للأشخاص والمجتمع، معيارا لصحة وأحقية الأحكام والمفاهيم الأخلاقية، فان الأحكام في عصر هيمنة الثقافة الغربية، افترضت على أنها أحكام نسبية.

ويؤمن نصير النسبية أننا يجب أن نفعل الشئ الذي نظن أنه يجب فعله. وبناء على هذا الرأي، فان مجرد أن يرى شخص أو مجتمع بان هذا الراي الأخلاقي يصح ويجوز للفرد أو المجتمع، فهو يكتسي حجية وقبولا بحد ذاته.[١]

وفي هذه الرؤية، فان الفرد أو المجتمع افترضا بانهما معيار مجمل ما يجب فعله وما لا يجب فعله وكذلك التشخيص وحتى انتقاء طريقة العمل الفردي والجماعي، لانه من وجهة نظر دعاة مذهب النسبية الأخلاقية، فان حكما أخلاقيا لا يمكن أن يكون شاملا أولا ودائما ثانيا وذلك بسبب الإختلاف في المبادئ الفكرية للأفراد والمجتمعات.

ويقول الشهيد الأستاذ مطهري في هذا الخصوص:

> إن نسبية الأخلاق تعنى أن الأخلاق هى من الأمور النسبية. ما يعنى بشكل عام أن أى خُلق ليس بالمطلق جيدا وأى خلق ليس بالمطلق سيئا، أى أنه لا يمكن القول أن أى صفة هى سيئة بالمطلق فى أى مكان وأى زمان، بل أن أى صفة حميدة، حميدة فى مكان ما وزمان ما وظروف خاصة وتلك الصفة سيئة فى أوضاع وأحوال وظروف أخرى. ويطلق على هذا النسبية الأخلاقية.[٢]

١. هير، الفلسفة الأخلاقية،ترجمة محمّد سعيدي مهر، كيهان انديشة، العدد ١١٧، ص ٥٢.
٢. مطهري، مرتضى، الإسلام ومقتضيات الزمان، قم، صدرا، ج ١، ص ٢٧٥.

ولا معنى أن يكون تعليم أخلاقي... مطلقا وأن يتوجب على الناس الإلتزام به في كل الأزمنة.[١]

ويقول الأستاذ مطهري في موقع آخر:

إن ثبات وخلود المبادئ الأخلاقية يعنى أن بعض هذه المبادئ الكلية القيمية بما فيها حسن العدل وقبح الظلم هى على الأقل عامة وشاملة فضلاعن كونها مستديمة وخالدة. وفى مقابل ذلك هناك النسبية الأخلاقية، بمعنى أنه لا يوجد أى مبدأ أخلاقى ثابت وأن جميع الأحكام القيمية بما فيها مبادئها العامة (حسن العدل وقبح الظلم) يمكن أن يطالها التغيير وفقا لثقافة خاصة أو توجهات وأذواق الأفراد.[٢]

وليس قصدي من إثارة هذا الموضوع ذكر سوابق وجذور مفهوم النسبية الأخلاقية، بل المهم هو أن طرح هذه النظرية وتثبيتها ومأسستها في المجتمعات، أدى إلى الإنهيار المفاجئ للأسس القيمية والأخلاقية الثابتة في التقليد الديني.

ولا يفرق أي من الشخصيات العلمية والفلسفية الشهيرة في الغرب ساهم في تشكيل هذه النظرية بل المهم هو فهم نتيجة الواقعة أي تغير أسس المبادئ الأخلاقية وهشاشة أسس العلاقات والتعاملات في المجتمعات.

وقال نيتشة (١٨٤٤ ــ ١٩٠٠):

إن الحُسن والجمال ليسا حقيقيين ومطلقين، وما هو حقيقة هو أن الجميع يدعو إلى اكتساب القوة وأن ما هو مفيد للغرض ويجعله قويا لكى يهيمن على الآخرين، هو جيد وجميل.[٣]

---

١. مطهري، مرتضى، نقد الماركسية، ص ١٨٢.
٢. مجلة المعرفة الفصلية، العدد ١٥، شتاء ١٩٧٥، ص ٢٣.
٣. فروغي، محمّد علي، مسار الحكمة في أوروبا، ج ٣، صص ١٩٩ ــ ٢٠٢.

وفي هذا الكلام يتغير مبنى القياس رغم أنه كان قبل هذا ثابتا في التقليد الديني وحتى أن التعاريف تكتسب اعتبارا جديدا. رغم أن المباني والتعاريف المكونة، للتعاملات تختلف في العصر الجديد عما هي عليه في التقاليد الدينية.

ويكرر الكلام نفسه، ويليام جيمز (١٨٤٢ – ١٩١٠) في ذلك العصر و يقول:

إن القول الذى يتطابق مع الواقع، هو حق ... لان العالم يتغير ولا شئ ثابت فيه.[١]

وبعد ذلك شارك برتراند راسل وسارتر وآخرون بدورهم في إرساء أوجه من هذه النظرية أي النسبية الأخلاقية.

ويعرف برتراند راسل **الجيد** هكذا:

إن فلان شئ جيد، أى يجب الإفادة منه لبلوغ الهدف والوجهة التى نقصدها، لان أن يكون الجيد صفة كامنة فى ذلك الشئ.[٢]

وكل اعتمد أمرا مبنيا على رغبات وأهداف وأغراض الأشخاص لتحديد المبادئ الأخلاقية وافترضوا أن تغيرها يؤدي إلى تغير المبادئ الأخلاقية. ومن هنا يمكن إستنتاج أن ثمة مبادئ أخلاقية بعدد أفراد البشرية والاغراض والأهداف النابعة من ميولهم ونزعاتهم.

ونعتبر كل هذا بمثابة إهتزاز دعائم العلاقات والتعاملات وتغير الأعمال والأقوال حول موضوع خاص وحتى موحد.

ونظرا إلى مكانة ودور الأخلاق والثقافة في تشكيل الصورة الحضارية للأمم والشعوب، يمكن فهم أن خروج المبادئ الاخلاقية من مدار الثبات ودخولها إلى ميدان

١. المصدر السابق، ج ٣، صص ٢٤٠ – ٢٤٢.
٢. نقد الماركسية، ص ١٩٥.

النسبية، ليس يخترق حدود الجغرافيا الثقافية والحضارية للشعوب فحسب بل يزيل الحصار الأمني والسلامة الثقافية والدينية المقبولة لدى الأديان الإلهية والسماوية.

إن عامة المفكرين والعلماء المسلمين يميلون نحو ثبات وصمود المبادئ الاخلاقية وعدم النسبية، لان المكون والمضفي للمعنى على جميع المبادئ الاخلاقية في مجال الثقافة العامة والخاصة هو المبادئ العقائدية الثابتة الصادرة عن الله تعالى وعن طريق الوحي وسيرة وسنة النبي الأكرم(ص).

إن المصدر الثابت والمطلق في الوقت ذاته لصدور الأحكام، لابد وأن يؤدي إلى ثبات ودوام المبادئ الاخلاقية، الشئ الذي أودع في فطرة الانسان وتأصل فيها. وبغير ذلك، لكان الحديث عن الهداية الإلهية وهداية عامة أبناء البشرية عن طريق الدين الواحد والكتاب الواحد والحركة باتجاه مقصد واحد، يفقد كل قيمته واعتباره.

وقبل أن تصدر الأحكام عن المصدر الغيبي، توفرت أرضية قبوله في فطرة الانسان.

وعندما يقول الإمام المعصوم، الإمام الصادق(ع):

«**حَلَالُ محمّد حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَة، وحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَة.**»[1]

يتبين خلود الحلال والحرام نسبة إلى ثبات الاحكام الاخلاقية. مثلما أن ثبات ودوام وخلود الاحكام الاخلاقية يعود إلى ثبات المبادئ النظرية والعقائدية.

ويقول الله تبارك وتعالى في الآية ۹۰ من سورة «النحل»:

«**إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُون.**»

---

۱. بحار الأنوار، ج ۲٦، ص ۳۵.

وليس أن هذه الأوامر والنواهي الاخلاقية ثابتة وواجبة التنفيذ إلى الأبد فحسب بل أن أرضية قبولها والتسليم بها ثابتة في قلب الانسان وفطرته ومقبولة من لدن جميع الأجيال والعصور وأن ظرف الزمان والمكان لا يؤدي إلى بروز تغيير وثغرة فيها. بحيث يقول سبحانه وتعالى:

«... وَلَكِنّ اللّهَ حَبّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ... .»[١]

إن تعبير «فـي قلـوبكم» يشير إلى أرضية الدرك الباطني والفطري للانسان لحسن الإيمان وقبح الذنوب والكفر. ومن هنا يجد موضوع الوحدة في النظرية والعمل وحركة وسير البشرية باتجاه الوجهة والنهاية التي تحظى برضا الحق، معنى ومغزى، لكن وحسب اهتزاز الأسس المشكّلة للتعاملات والمناسبات الاخلاقية والحضارية، تحدث الفرقة والتعدد العملي والنظري للبشرية والتشتت في السلوك والسير نحو الوجهة.

وفي النهاية فان هذا السير والسفر على سكة التغير والتلون، لن يقود إلا لسيادة ما يحرك البشرية في المسار الذي تنشده. إن الخروج عن سكة الدين الإلهي والسماوي الذي يحظى برضا الحق، سيؤدي بلا شك إلى اقتحام المنشأ النفساني والشيطاني وبالتالي تجربة الهلاك في البيداء.

إن معيار الحُسن والقبح والرفض والقبول في مذهب النسبية الاخلاقية يتمثل في النزعة الربحية والنفعية النفسانية لآحاد خلق الله، قبل أن يتحدر من المصدر الثابت والخير السماوي المطلق والسيرة والسنة النابعة من الكلام الوحياني. وفي الحقيقة فان حجة العمل وتشخيص حسن وقبح عمل كل شخص، يتم تعريفها باستقلالية عن

١. سورة الحجرات (٤٩)، الآية ٧.

الأشخاص الاخرين، في حين أن هذا المعيار في مذهب النسبية الفردية يتأثر بسائر العلاقات والأحداث وحتى أنه يتغير بتغير الموقع المكاني والزماني.

وفي «نهج البلاغة» ثمة كلم معمق حول تغيرات وتطورات عصر ظهور حجة الله الحيّ، يستحق التوقف عنده. ويقول الإمام علي(ع):

«لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا.»[١]

والحديث يدور حول عودة الدنيا وأهل الدنيا إلى المرجع والحجة المنصوب من الحق واستسلامهم بعد تفرقهم وتمردهم وتشتتهم لالوف السنين.

إن استسلام أهل الدنيا أمام من الحق معه وفيه، هو العودة إلى الركن الثابت وعامل الوحدة وقطب عالم الإمكان.

ويلفت الأمام علي انتباه الناس ويقول:

«ألا و إنّ منْ أدْركها مِنّا يسْرِى فِيها بِسِراجٍ مُنِير.»[٢]

ويُستشف من وجهة نظر الإمام علي أن عامل الفتنة ومحصلة الفتنة هو تشتت الناس وتشرذمهم وابتلائهم بالأهواء وتقلبات المزاج والتلون.

وهذه العبارة تذكرنا بهذا النص الجميل الذي يبينه الإمام المبين في وصف السراج المنير فيقول:

«إنّ الحُسينَ مِصباحُ الهُدى وسفينةُ النجاة.»[٣]

ويشير الإمام علي(ع) في خطبة، إلى أحد أكبر تطورات عصر الظهور ويقول:

«يَعطِفُ الهَوى عَلى الهُدَى إذا عَطَفوا الهُدى عَلى الهَوَى[٤]، ويَعطِفُ الرّأى على القرآن إذا عَطَفوا القرآن عَلى الرّأى.»[١]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٩.
٢. المصدر السابق، الخطبة ١٥٠.
٣. مدينة المعاجز، ج ٤، ص ٥٢؛ سفينة البحار، ص ٢٥٧؛ الخصائص الحسينية، ص ٤٥.
٤. وورد في المصادر الروائية أيضا «انه لمكتوب عن يمين العرش انه مصباح هاد وسفينة نجاة»، الطبرسي، اعلام الورى، ص ٤٠٠.

ويكتب ابن أبي الحديد حول هذا الكلام النوراني قائلا:

إن هذا الكلام هو إشارة إلى الإمام الذى يوجده الله تعالى فى آخر الزمان وهو الذى بُشر به فى الروايات والكتب، والقصد من العطف على القرآن، هو إلغاء الأحكام الصادرة عن الرأى والقياس ومنع العمل حسب الهوى وإحلال العمل وفقا للقرآن.

و يبين الإمام علي(ع) حصيلة الرجوع إلى الأهواء و الآراء و إضفاء الحجية على الأفكار بمنأى عن حجة الحق ويقول إن الأحداث بلغت حدا أن الحرب أثارت الجميع ويسخرون منكم مثل الحيوان المفترس الذي يفتح فمه إلى آخر حد أثناء الحملة لالتهام الفريسة وابتلاعها.

وكل هذا وحسب السنة الإلهية، هو النتيجة الحتمية للرجوع إلى الأهواء و الآراء و اعتبار الفكر المنفصل عن الكلام الوحياني، معيارا.

إن الانسان وبغض النظر عن جنسه وخصائصه العرقية والقبلية وجغرافيا سكنه و العصر و الدورة التي يعيش فيها، إن استطاع العودة إلى الفطرة والإصغاء إلى كلام الروح، فانه سينحني إجلالا وإكراما أمام الطيبات المتأصلة في صفحة روحه ويتخلص من كل ما هو بغيض و شنيع و دنئ.

إن ما يقدمه أنصار النسبية الأخلاقية من معيار لكلامهم وشاهد للدفاع عن زعمهم، يقتصر على الهواجس النفسانية فحسب. إنهم يهجعون في عتمة النفس الأمارة ويعتبرون الاستنباط النفساني، معيارا للتنظير حول العالم و الانسان.

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٣٨.

حكمة خلق الكون

وتحديدا لنمط العيش المحمود، فان كشف الحكمة من خلق الكون، يعد إرشادا مرجوا لتلبية هذا المطلب. وبذلك يمكن تقييم ونقد نمط الحياة المذموم.

وفي السير والسلوك الجاري، فان البشرية، تنظم حركتها ومرافقيها ووسائلها ومعداتها بما يتناسب مع الوجهة التي تنوي الذهاب إليها.

إن الوجهة ومقصد الرحلة هي التي ترشد المرء إلى انتخاب مساره ومرافقه ووسيلة سفره وحتى تجهيزاته. وكل هذه لا تؤطر في إطار ملزومات السفر فقط بل تشكل ضرورة للسفر والوصول إلى الوجهة المحددة أيضا.

و الكل يفهم بواسطة الفطرة السليمة أن من يربط حجرا ثقيلا بقدمه للغوص في البحر هو إنسان مجنون ليس إلا، مثلما أن المرء الذي يريد العيش في منطقة جبلية يُهيئ أسباب ووسائل الغوص في البحر، فانه سيهدر و يبيد ماله و ما يملكه.

إن وسائل وتجهيزات تسلق الجبال لازمة وضرورة للذهاب إلى الجبال مثل لباس الغوص للغواص في البحر. ولايبدو أن السير في العالم الديني، يتطلب أدوات و ملزومات السير في العالم الغربي.

إن أدوات الغوص في البحر وبرغم دقتها وجمالها، لا تفقد بريقها في الجبال لكونها أدوات غوص، وتعد في زمرة أدوات الغوص، وهي جيدة ومستحبة في مكانها وموقعها، لكنها غير ملائمة للسير في المناطق الجلبية الوعرة.

إن نمطا خاصا من العيش وملزوماته يتناسب بالضرورة مع العالم الذي يعيش و يسير فيه الانسان.

وعندما يسير الانسان في عالم خاص (العالم الدنيوي الغربي أو العالم الديني) فانه يتقبل تباعا لذلك ملزومات السفر وقواعده ويعتبر كل ذلك ضروريا للسير في ذلك العالم ويسعى جاهدا لبسطه و تعزيزه.

إن الانسان الغربي الذي أدار ظهره للدين والأدب الديني خرج من المركب الذي ينقله في العالم الديني وأرسى عالما جديدا وإنسانا جديدا.

«إن نمط العيش الحديث» هو المركب الذي يرفد الانسان الغربي في سيره الخاص وهو ضروري لهذا السير وأداة تجربة ودرك الوجهة النهائية لهذا السير، مثلما أن نمط العيش في التقليد الديني يتيح السبيل للانسان المتدين للسير والسفر في العالم الديني ويمهد له الطريق لتجربة مراتب ذلك العالم المعنوي والديني.

وفيما يخص الحكمة من الخلقة في التقليد الديني هناك الكثير من الآيات والروايات. بحيث نقرأ في الآية ٥٦ من سورة الذاريات:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ.»

وقد عبر بعض المفسرين العبادة بالمعرفة، بمعنى أن الله تعالى خلق الجن والإنس لكي يصلوا في تجربة الحياة إلى المعرفة حول خالق الكون. ولا شك أنه عندما يجد الانسان أنه في مقام العبد فانه يترك ما سوى الله لينال التجربة الدينية أي معرفة الله.

ويقول الإمام علي(ع):

«بتقوى اللهِ أُمِرْتُم، وللإحسانِ والطّاعةِ خُلِقتُم.»[١]

١. شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٠٨.

إن خالق الكون في غنى تام عن عبادة عباده، لذلك فان الحكمة من الخلق لا تعود إلى ضعف الله وحاجته بل تعود كلها إلى لطف الحكيم العليم ورعايته، بحيث قال الله تعالى في الآيتين ١١٨ و ١١٩ من سورة هود:

«وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩).»

ويقول الله تعالى في «سورة البقرة، الآية ٢١٣»:

«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.»

وفي بداية التاريخ وحتى عصر النبي نوح(ع)، كان الناس يعيشون كأمة واحدة وبمنأى عن أي استكبار وبعيدا عن هيمنة المستكبرين على المستضعفين وعن أي إختلاف في الأرض، لكن ومع غلبة الأهواء النفسانية والنزوات، تلاشت الأمة الواحدة واضملحت العلاقات التوحيدية من بين الناس.

ويقول الإمام محمّد الباقر(ع):

«كانوا قَبْل نوحٍ أمة واحدة عَلى فِطرةِ الله لا مُهتدين ولا ضَلالاً فبَعَث الله النَبيين.»[1]

١. قاموس القرآن، ج ١، ص ٤٩؛ نورالثقلين، ج ١، ص ٢٠٩.

وورد هذا التوضيح في تفسير علي بن إبراهيم بان هذه الأمة الواحدة كانت قائمة على المذهب الواحد. (أمة واحدة قال على مذهب واحد)[١].

لكن اندلاع الخلافات، جعل الأمة الواحدة مهيئة للإنهيار والتلاشي، لذلك فان الله تعالى دعا الناس من خلال إرسال الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، إلى توحيد الكلمة وأتم بذلك الحجة على الجميع.

ويقول الإمام الصادق(ع):

«فَقال كَانَوا أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللّهُ ٱلنّبِيّينَ لِيَتَّخذَ عَلَيْهِمُ الحُجَّة.»[٢]

وكان هذا الإختلاف سببا لهلاك الناس وإرسال الأنبياء لإنقاذ الناس من أمواج الهلاك، بحيث أن الإمام يوقل لأبي عبيدة:

«الناسُ مُخْتَلفُون فى إصابَةِ القَوْلِ وكُلهُم هالِک.»[٣]

إن كلا من الأفراد وفي سبيل جلب المنفعة ودفع الضرر المبني على الهواجس النفسانية، خرجوا عن الصراط المستقيم، وأنخرطوا في مسار الإستبداد. واختفى الحق في حجب الإستكبار وغرور الناس ولم يبق عن الأمة الواحدة أثر، بحيث أتي على هذه الأمة الواحدة تماما.

وتحول الإصابة بالخلاف والتفرق إلى الرزق الذي لا يرضى عنه الله تعالى، لسكان الأرض حتى ينعموا مرة أخرى برحمة الله ويلتفوا حول وحدة الكلمة والكلمة الواحدة و يجربوا باذن الله الأمة الواحدة.

وحتى يحين الزمن المقدس والمحدد للظهور الكبير لشمس الحقيقة صاحب العصر والزمان(عج)، فان من يستحق جلب رحمة الله سيدخل في الصراط المستقيم وسيدرك

١. نورالثقلين، ج ٣، ص ٥٤٥.
٢. بهشت كافي، ترجمة روضة كافي، ص ٤٢٨.
٣. الكافي، ج ٢، ص ٤٠٥.

حقيقة الكون كما هي، لذلك فان التزام التقوى والطاعة والمجاهدة لرفع الحجب في تجربة العبودية التامة، هو تكليف لجميع الناس. وربما لهذا السبب قال:

«ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ويعرفوه ...»

وفي تفسير الآية المباركة:

«... وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ... .»[١]

قال ابوعبيدة: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الإستطاعة وقول الناس فقال: وتلا هذه الآية: **«ولايزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم»**: يا أباعبيدة، الناس مختلفون في إصابة القول، وكلهم هالك، قال: قلت قوله: **«إلا من رحم ربك»** قال: هم شيعتنا، ولرحمته خلقهم، وهو قوله: **«ولذلك خلقهم»**.[٢]

وكل من كان في جلب المنفعة ودفع الضرر يغفل عن حضرة الحق وانزوت حقيقته في حجب الإستبداد وغرور الإستكبار، فانه سيهلك.

إن هذه الفرقة والتشرذم، وكما قال تعالى **«ولا يزالون مختلفين»**، ستستمر حتى يحين عهد وعصر ظهور إمام العصر والزمان(ع)، وعندها ستزول كل العوائق والحواجز وتجرب البشرية تحت الظلال المباركة لبقيةالله(ع) الأمة الواحدة. وحتى ذلك اليوم فان من ينال رحمة ربه سيدرك حقيقة الكون كما هي. لذلك فان التكليف يكمن في التزام التقوى والطاعة والإحسان والمجاهدة لإزالة الحجب الظلمانية، عسى أن تتحصل في تجربة العبودية التامة، تلك المعرفة التي تكون شاهدة على عباد حضرة الحق. وربما لهذا السبب قال:

«ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه ويعرفوه ...»

---

١. سورة هود (١١)، الآيتان ١١٨ و ١١٩.
٢. الكافي، ج ١، ص ٤٢٩.

و في تفسير كلام الله «ولا يزالون مختلفين» يقول الإمام الصادق(ع):

«**خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم.**»[١]

ويقول القرآن الكريم ان الله كتب على نفسه الرحمة إذ يقول:

«**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.**»[٢]

ويعتبر القرآن الكريم أن رحمة الله هي منشأ خلقة الانسان الذي سيجرب في نهاية الحياة البشرية، رحمة الله مرة أخرى.

إن الآيات والروايات تميط اللثام عن أكثر الأسرار سرية وعن الحكمة من خلق العالم والانسان ليتضح مفهوم «ليعبدون» في الآية المباركة «**ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون.**»

إن إظهار الخشوع والتذلل والتخلي عن الخلافات وأسباب إرباك وحدة الكلمة، يؤدي إلى أن تشمل رحمة الله، عبده وأن يحظى بالمعرفة من أجل الخلاص وتجربة فلاح جوهر الأمة الواحدة وحقيقة الإيمان.

وقال الله تعالى:

«**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ... .**»[٣]

أي أن الله تعالى خلق الناس ليفعلوا ما يجعلهم يستحقون رحمته.

---

١. بحارالأنوار، ج ٥، ص ٣١٤.
٢. سورة الأنعام(ع)، الآية ٥٤.
٣. سورة هود، الآيتان ١١٨ و ١١٩.

ولهذا السبب فانه لا إكراه وإجبار في الدين وأن كل الخلق لابد لهم أن يكونوا معرضين للإختبار والإبتلاء لتتم الحجة على الجميع. إن الله امتنع عن إرغام الناس عن قبول الدين الواحد.

وعن الإمام الصادق(ع) فى قوله تعالى: وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ: قال «خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمة الله فيرحمهم.»[١]

وفي ضوء هذا التفسير والتوضيح أقول أن كشف نمط العيش المرجو في وجه ما، يتوقف على كشف الحكمة من الخلقة في المجالات الثقافية والحضارية المختلفة، وفيما عدا ذلك فان الانسان يضل عن الطريق ويصطنع حسب أهوائه أو الآخرين، حكمة وفلسفة للوجود ومعنى للحياة ويسير في الأرض وفقا لذلك.

واستنادا إلى مجمل الآيات والروايات وكل ما نشاهده، أريد القول بان ابليس وجنوده نثروا بذر الخلاف والفرقة في الطبقات النظرية والعملية للحياة الثقافية والحضارية لخلق الله من خلال اختلاق حكمة الخلق وإعطاء صورة محرفة عن مصير ونهاية الوجود في الحياة لكي يجنوا ثمار ذلك.

وإلى أن تجرب البشرية مرة أخرى الأمة الواحدة في ظلال إمام الحق المهدي صاحب العصر والزمان(عج)، فانه لابد لها أن تسير في الطريق الذي يفضي إلى جلب رحمة الله. وفيما عدا ذلك، فان أي نهج تتبعه في الحياة سيؤدي حسب السنة الثابتة للكون والتقدير الإلهي إلى الخلاف والإبتعاد عن رحمة الله وجلب السخط و العذاب.

---

١. أسرار التوحيد، ترجمة توحيد صدوق، ص ٤٤٥.

عالم التجدّد أو التجرّد

إن نمط العيش هو الجدار المحافظ الذي يحمي سكان كل عالم عن الإبتلاء بمقتضيات عالم غريب. ومثلما أن التقاليد الدينية – شرط أن تتحقق – تحمي وتصون سكان العالم الديني من جغرافيا العالم الغربي، فان نمط العيش الحديث يُبعد سكان عالم التجدد الغربي عن العالم الديني ويجعله غريبا عليه.

وظهر في التاريخ الغربي الحديث عالم حل في أناس كمهندسين وأصحاب تكنولوجيا محل الله. وتحول الانسان في هذا العالم إلى كائن ينظر إلى العالم بنظرة متفاوتة.

وفي هذه الدورة أصبح الانسان يملك نظرة ميكانيكية وتكنيكية بحتة تجاه العالم والانسان ليجد من خلال تنظيم كافة العلاقات على أساس الرياضيات والكمّ، إمكانية السيطرة على العالم. لذلك تحول العلم التكنولوجي إلى جوهر للسلطة الغربية.

إن تغير نسبة الانسان إلى الكون، أدخل الانسان الغربي إلى عالم التجدد ومنعه من السير والسفر في العالم الديني الذي يولي وجهه لعالم التجرّد. ولهذا أقول أن الانسان المقيم في عالم التجدد يتحرك بعكس إتجاه حركة الانسان المقيم في العالم الديني. إن هذا السير المعكوس هو من متطلبات السكن في عالم التجدد وقبول نمط العيش الحديث و لامفر منه.

بعبارة أبسط، فان الانسان ترجل من القطار الذي كان يتحرك (إنا لله وإنا إليه راجعون) باتجاه عالم المعنى والتجرد (الوحدة والرحمة) واستقل قطارا آخر كان يتحرك باتجاه معكوس إلى أنزل مراتب الكون أي العالم المادي والتكنيكي البحت.

ولذلك يمكن القول أنه لا يمكن استقلال قطار التجدد الذي يبتعد بسرعة عن العالم الديني، وفي الوقت ذاته زخرفة وبهرجة عرباته بعلائم العالم الديني، والتمني بتجربة الرحمانية الخاصة لخالق الكون ودرك حقيقة الكون.

إن التذكير بثلاثة موضوعات أساسية لاسيما موضوع حكمة الخلقة ومصير الوجود في المجالين الثقافي والحضاري، يحدد واجبنا وموقفنا في الظروف الإنفعالية، بحيث يمكن بواسطته السؤال بشأن نمط عيش أهل التجدد وكشف النسبة بين العيش بتلك الطريقة وحكمة الوجود.

وقد قلت في وقت سابق بان الخطوة الأولى للتخلص من البيداء، هو «قبول» كراهية البيداء والعيش في الصحراء وقبول ضرورة الخروج من إضطرار وإضطراب الصحراء القاحلة والمستنقع والمياه الآسنة.

إن الانسان المعاصر الذي يبحث عن الثقافة والحضارة الغربية المهيمنة، يستقل قطارا يسير نحو منتهى التمتع بالدنيا والقدرة والإستمتاع التام بالحياة الدنيا، بينما الانسان الديني يسير في التقليد الديني باتجاه الحق بحثا عن تحقيق الأمة الواحدة ويهيئ نفسه بجهد لتجربة مراتب الحياة الطيبة. وبالنسبة له فان التدين يتقدم على التمتع بالدنيا.

وهذان الإتجاهان يبينان «منحنى الحياة» بمثابة باطن وروح نمط العيش وصورته في مجالي التقليد الديني والغربي.

النزعة الإختزالية

وقبل أن تهيمن الحداثة كرؤية خاصة تجاه العالم والانسان، على ثقافة الغرب وبعدها ثقافة كل أمم العالم، فان العالم ومجمل سكان الأرض والسماء كانوا يستقرون في مقام وشأن آية الله، وكان الانسان المتدين ينظر إلى مجمل الكائنات الحية وغير الحية وسكان العوالم الملكية والملكوتية على أنها دلالات وآيات تسير

في الكون كنسيج متماسك ومتشابك وبنوع من الوعي والشعور وفي تقدير معين والكل يسبح لله بقدر دركه. و حسبما يقول الشاعر فان كانت أذن روح الانسان مفتوحة، فان كل ذرات العالم تتحدث إلى الانسان:

إن جميع ذرات العالم

تتحدث إليك خفية في الليل والنهار

إننا سميعون وبصيرون وهشيم

ونحن صامتون معكم أنتم غير الأصدقاء والمحارم

وإن ذهبتم نحو الجمادات

فمتى تصبحون محرما للنفس والجمادات

ومع هكذا نظرة تجاه الكون والكائنات، فان الانسان يرى أنه محاصر بين حشد غفير من الأحياء من ذوي الشعور والتي تميط اللثام بلغتها الخاصة عن الكثير من الحقائق المكتومة.

وفي التقليد الديني فان انسداد أذن الروح، يؤدي إلى عدم سماع كلام روح الجمادات.

إن نطق الماء ونطق التراب و نطق الزهرة

يشعر به أصحاب القلب

وهذه الأبيات هي ترجمة للآية القرآنية:

«أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرُ صَافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ.»[١]

١. سورة النور (٢٤)، الآية ٤١.

وهذا التسبيح ليس تسبيحا تكوينيا فقط بل حسبما يقول مولانا، يجب سماعه من تقلقل أجزاء العالم:

إن الأنفس تنمو من جمادات العالم إسمع تقلقل أجزاء العالم

يأتيك سر تسبيح الجمادات و وساوس التأويلات

وتسبح لله كائنات العالم والسماوات السبع والأرض ومن فيهن:

«تُسَبحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ والأرْضُ ومَن فِيهِنَّ وإن مـن شَـئٍ إلا يُسَـبِّحُ بِحَمْدِهِ ولكِن لا تَفْقَهونَ تَسبيحَهُم إنَّه كانَ حَليما غَفُورا.»[١]

وحسبما يقول الشيخ بهائي فان الانسان يسمع أحيانا كلام شخص آخر ويفهمه و كأن شخصان يتكلمان معا بلغة واحدة. ويسمع الانسان أحيانا كلاما ولا يفهمه، و كأن شخصا يتحدث إليه بلغة غريبة. وأحيانا لا يسمع المرء كلام الآخرين ولا يفهمه وهذا الأمر ينطبق على المغفلين والخجلين. إن الأولياء الإلهيين يسمعون كلام كل شئ باذن القلب ويفهمون بان جميع الأشياء تسبيح لخالق الكون بشكل منسجم و دائم.

إن هذه الأشجار شأنها شأن الذين يعيشون على الأرض

أخرجت الأيدي من التراب

تطلق مئات الإشارات نحو الخلق

و من هو ذو آذان تتعبد

وتتحدث بلغة خضراء و بأيدي طويلة

عن خميرة التراب

و رغم أنه يعطيها الموت في الشتاء

لكنه يمنحها الحياة والأوراق في الربيع

---

١. سورة الإسراء (١٧)، الآية ٤٤.

و أي زهرة تفوح منها رائحة زكية

فهي تتحدث عن أسرار الحق

إن مجمل إشارات الآيات والأشعار تحكي عن شعور الجمادات و النباتات و الحيوانات ووعيها في العالم وحتى أنها تميط اللثام في وجه عن نوع من التكليف والإختيار والتشخيص فيما بينها. هناك عندما يقول الباري تعالى عن تواضع الدواب في الأرض وكل ما في السماء وتركها الإستكبار ويذكر بخوفها من الله ويشير إلى مدى شعورها وقوة تشخيصها وحتى قوة اختيارها:

«وَلله يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّة وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.»[1]

وعن الإمام علي أمير المؤمنين(ع):

«وسَجَدَتْ لهُ بالغُدُوِّ والآصال الأشْجار.»[2]

ويعتبر معظم مفسري القرآن، أن سجدة الجمادات والكائنات الفاقدة للشعور الظاهري هي سجدة تكوينية، لكن هذا التفسير والتأويل لا ينكر الوعي والشعور وقوة التشخيص والدرك لدى الكائنات غير الانسانية. وفي مرتبة أخرى، عندما نتأمل في الآيات نجد أن الآيات تكشف النقاب بشكل أعمق عن وعي وشعور الكائنات، مثلما ورد عن «الهدهد» و «النمل» في «سورة النمل.»

«حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لايَشْعُرُون.»[3]

فتبسم سليمان(ع) ضاحكا من قولها وقال:

---

۱. سورة النحل (١٦)، الآيتان ٤٩ و ٥٠.
۲. نهج البلاغة،ص ١٩١.
۳. سورة النمل (٢٧)، الآية ١٨.

«وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»؛[١]

وهذه السورة، فان الحديث الذي دار بين سليمان(ع) والهدهد يستحق التوقف عنده، لاسيما عندما ينتبه النبي سليمان(ع) إلى غياب الهدهد ويحاسبه ويسأل عن سبب غيابه.

«وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ.»[٢]

ويتضح من دراسة هذه الآيات من سورة النمل أن هذه الحيوانات أكانت النمل أو الهدهد:

١.تعرف الممالك ووضعها وحدودها؛

٢.تعرف حدود عمل الانسان وسائر الكائنات؛

٣.تعرف التباين بين الانسان والحيوان وحتى بين المرأة والرجل من البشر؛

٤.تعرف المناصب المألوفة لدى الناس والتفاوت فيما بينها مثل الملك والصدر الأعظم والرعايا؛

٥.وحتى أنها تشخص التباين بين الأعمال القبيحة والحسنة؛

---

١. المصدر السابق، الآية ١٩.
٢. المصدر السابق، الآيات ٢٠ ــ ٢٤.

٦. ...

ولا شك بان نطاق وعمق وعي وإرادة وصلاحية الكائنات ليس موحدا، لكن كل هذا يظهر بان الأمر ليس كما نظن بان هذه الكائنات تفتقد للإحساس والوعي أو أنها أشياء فاقدة للروح ومخصصة للإستهلاك.

وقرأت رواية عن الإمام الحسينبن علي(ع) حول ذكر وصوت عموم الحيوانات. وكل هذا مؤشر على منظومة مترابطة وذات مغزى ومبنية على نوع من العقل والوعي السائد بين جموع الكائنات، سواء الجمادات والنباتات والحيوانات والانسان.

وأكملّ هذا القسم من كلامي الذي شكل مقدمة طويلة نسبيا على موضوع إختزال وتناقص الطبيعة، بهذا البيت من سعدي إذ قال:

إن أوراق الأشجار الخضراء هي من وجهة نظر المطلعين

كل ورقة منها دفتر لمعرفة الخالق

وقبل أن تسود النظرية الجزئية، الثقافة والحضارة الغربية، كان تقليد النظرية الشاملة للثقافات التقليدية والدينية يعتبر أن العالم هو سلسلة مترابطة وصاحبة شعور ووعي وأثر، تسري وتجري في جميع المجالات الثقافية الشرقية و حتى التقاليد الدينية المسيحية وتعاليم القبائل التي تقطن الغابات وجزر القارات النائية.

إن هذا التقليد وعلى النقيض مما نعرفه اليوم في حياتنا الحالية واعتدنا عليه، كان ينظر إلى العالم وكائناته بمنأى عن أي خصومة في سلسلة من المحبة مترابطة ضمن كائن حيّ ومنظومة حية. وفي هذا الترابط والتواصل فان الأجزاء المبعثرة في الظاهر، تكمل وتساند أحدها الآخر وتسير يدا بيد نحو وجهة وملاذ محدد من قبل مصدر ذي شعور وحاكم وعالم وحكيم (إله الكون).

إن هذه النظرية الشاملة النابعة من الفكر والتأمل كانت تكشف النقاب عن الكثير من الأسرار وتوضح كعامل مُنظم، حدود وثغور وميدان عمل الانسان في الطبيعة وتؤدي إلى ديمومة سلسلة الحياة الذكية وبقاء التوازن في منظومة الكون وتحول دون الإنهيار والتأزم الناجمين عن اعتداء جزء من هذه السلسلة على سائر الأجزاء.

إن التواصل المنتظم لجميع الأجزاء المنتشرة في الطبيعة وبين السماء والأرض، كانت تحدد كما لو أن تناقل وتغير في كل من الأجزاء يترك تأثيره على سائر الأجزاء وبالتالي على مجمل نظام الكون، وكما يقول الشيخ محمود شبستري في ديوان «روضة الأسرار»:

إن اقتلعت ذرة من مكان ما فان

العالم كله سيصاب بالخلل

إن غلبة النظرية الجزئية على الوسط العلمي والتخصصي في العصر الحاضر، أو ما يقال بلسان الفلسفة، إختزال وتناقص شأن الكائنات، يضرب بجذوره في النظرة العالمية والنظام النظري السائد في العلم الغربي.

إن هذه الرؤية الكلية تقدم أي كل بمثابة «الجمع الجبري لاجزائه» وتؤمن بان السبيل لمعرفة الكل يمر عبر معرفة أجزائه.

إن مفهوم النزعة الإختزالية الذي يبين تناقص واختزال طبيعة الأشياء قدمه ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠) للمرة الأولى. وبالنسبة لديكارت، فان جميع العالم يعمل كماكنة يمكن فهمه كله من خلال دراسة كل من أجزائه ومكوناته. وتطورت أفكار ديكارت على يد نيوتن (١٦٤٣ – ١٧٢٧) وانتهت إلى اصدار مبادئ رياضات الفلسفة الطبيعية عام ١٦٨٧.

وقد قسم توجه إختزال وتناقص المنظومة إلى أجزاء وتجاهل الآصرة القائمة بين الأجزاء وكذلك العلاقة بين الأجزاء السائدة في الكون مع الكل وخالق الكون، لينبذ بذلك مفهوم كون كافة الكائنات آية وأغمض عينيه على الأثر المعمق والحتمي للتناقل والتغير الحاصل في الأجزاء على سائر الاجزاء ومنظومة الكون ككل.

إن أنصار مذهب التناقص وفي ظل افتراض أن العلاقة الوحيدة القائمة بين الأجزاء هي علاقة علية وتوجد بداخل الأجزاء، أجازوا عملية الفرز وأعلنوا بان هذا الفرز في المنظومة بمجملها، لا يخل باجزائها ولا يلحق ضررا بالكائنات والمنظومة برمتها.

وكان ديكارت يؤمن في القرن السابع عشر بانه يمكن صنع الكائنات غير الانسانية بصورة آلية ومن خلال وضع أجزائها و مكوناتها جنبا إلى جنب.

وفي الجهاز النظري المقدم من ديكارت، تم تقديم وتنفيذ الطريقة التالية من أجل التعرف على كل نظام. وبعد هذا النظام النظري تغيرت جميع العلوم والأساليب بوصفها معيارا وأساسا للتشخيص. واعتبر الانسان بوصفه فاعلا وعاملا أن من حقه إبداء رأيه تجاه العالم والانسان وأن يتعرف على مجمل المنظومة من خلال فرز أجزائها.

والمراحل الثلاث في هذه الطريقة هي:

١. قم بكسر المنظومة إلى الأجزاء المكونة لها؛

٢. قم بدراسة كل جزء بصورة منفصلة؛

٣. قم بتحديد سلوك المنظومة كلها من خلال مجموع سلوكيات الأشياء.

على سبيل المثال، نقوم من أجل التعرف على الساعة إلى فصل مكوناتها التي هي: العقارب والصفحة و...، ومن أجل معرفة المواد الكيميائية لهذه المكونات نقوم

بفرز هذا المكونات إلى جُزَئيات... ونعتمد هذه الطريقة بشان عموم الكائنات والمخلوقات المنتشرة في الكون، ونعتبر حصيلة الدراسة، معيارا نهائيا وحكما نهائيا حول كل نظام ذي روح وذي شعور.

وفي مقابل هذه النظرية الإختزالية هناك النظرية الشاملة، كانت تعتبر وفقا للتقليد السابق، أن كل شئ مرتبطا ببعضه البعض.

والملفت في رؤية الإختزاليين أنهم استندوا إلى الوضعية البحتة، ليحطوا فجأة من قدر عموم الكائنات التي كانت تعتبر إلى الآن بمثابة آية من الله، لتصل إلى أشياء قابلة للإستهلاك، حتى يتمكن الانسان الغربي من الإستيلاء غير المشروط على الطبيعة و يجعل مجمل المخلوقات في خدمته و يسلك من خلال الهمينة عليها تراتيبية السلطة.

وقد طرح آلن سافري عالم الأحياء الزيمبابوي فرضية عام ١٩٩٢ اعتبر فيها أن السبب الرئيسي لزوال التنوع البيئي والتصحر وتخريب العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والعاطفية يعود إلى قرارات الجماهير التي هي للأسف خطية وجزئية النظرة.

إن رواج النظرية الجزئية أدى إلى أن يوجه كل شخص وباستقلالية عن الآخرين وسائر المجالات العلمية وحتى السياسية والاقتصادية، جل اهتمامه إلى موضوعه المستقل والخاص به وأن يتجاهل سائر العلاقات والمجالات، بحيث أنه تم تجاهل أثر التفاعلات المستحدثة في كل مجال على سائر المجالات. وفي الحقيقة فان كل شخص أصبح يعتبر نفسه مدافعا عن مجال عمله الخاص به وتنصل بشكل حازم عن تحمل مسؤولية التغيرات أو الدمار الحاصل في سائر المجالات.

ومن بين المثقفين المعاصرين، قام جان كريستين اسماتس رئيس وزراء «جنوب افريقيا» الأسبق بتأليف كتاب بعنوان «النظرية الشاملة والتكامل» انتقد فيها النظرية الإختزالية وأبرز التداعيات المدمرة لهذه الرؤية على تقدم المجتمعات البشرية.

وقال في محاضرة جامعية عام ١٩٢٧:

إن عالمنا يتألف من سلسلة من «الكل» المتزايدة. ونبدأ بداية بالمادة التى هى أبسط الكل. ومن ثم نتحرك باتجاه النباتات والحيوانات وذهن الانسان وجنس البشر والشخصية والعالم الروحانى، أن الهيكلية العالمية تتشكل من ترابط وتركيبة هذا الكل.

أنظروا جيدا، وعلى النقيض مما نمر به في حياتنا اليومية، فان هذا العالم مفعم بالمحبة وبمنأى عن أي خصومة.

كلنا نرتبط مع بعضنا البعض كأجزاء كائن حى. وفى هذا الإرتباط فان الأجزاء قادرة على أن تكون مكملة ومساندة لاحدها الاخر. وهذه الفكرة بوسعها أن تجلب القوة والسلام والسلامة وتعلمنا أن ننظر إلى كل شئ بمنظار أكبر وأكثر شمولية. إن النظرة الشاملة هى المفتاح المفقود لفكرنا. وعندما ننظر من هذا المنظار، فان أسرارا أكثر تتكشف لنا فى العالم.

وكان اسماتس يعرف بان الجماهير تقاوم تغيير الرؤى، لكنه وإيمانا منه بصحة رؤيته قال لاحقا:

إننى أصبر وأنتظر النتائج الحقيقية. إن رسوخ الرؤى الجديدة فى أذهان الناس، يتطلب ردحا من الزمن وربما أن النظرية الشاملة لن تصبح جماعية بهذه السرعة، لكنها ستجد على الأمد الطويل وفى النهاية،

مكانتها فى تطوير الفكر البشرى وتفصل الرأى العام عن المناخ المخرب السابق وتقوده نحو رؤية أكثر عقلانية وسموا.

اليوم وبعد مضى عدة عقود على كتابة هذه السطور، فان عدد الذين مازالوا يعتمدون النظرية الشاملة فى التطبيق، ضئيل جدا وهذا مؤشر على طريقة التغير لدينا نحن البشر، بينما العقل السليم يحفزنا على اعتماد النزعة الشاملة، إن أداءنا مبنى على العادات الفكرية ومازال يميل إلى النزعة الإختزالية.[١]

إن أحد أهم مكاسب النزعة الإختزالية النابعة من فلسفة ديكارت التي كانت قد انسحب قبل هذا على سائر الميادين بما فيها العلاقات السياسية والاجتماعية، تمثل في أن الانسان الغربي حرر نفسه من جميع قيود ماوراء الطبيعة وأضفى مقاما أسمى وأرفع على العالم الطبيعي واعتبر انطباعات العالم الطبيعي المتأتية من المذهب التجريبي والوضعي، كافية وشافية لمعرفة العالم والانسان.

«المذهب التجريبى»، حصيلة عصر الحداثة

إن مفردة positive تعني إيجابي وما هو مؤكد و positivism هو مصطلح فلسفي استخدمه للمرة الأولى الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون في القرن السابع عشر للميلاد في كتابه «الأصول والمصادر.»

ويوصي بيكون في هذا الكتاب بالإقلاع عن دراسة أسباب وحقائق الأمور (حسبما كان سائدا في التقاليد الدينية) والإهتمام بالتفكير بالتفسير والتصرف في هذه الأمور الحقيقية. وكان فرانسيس بيكون يستخدم في الحقيقة صناعة البوزيتيف

١. المهندس عقيل ملكي فر، معهد الصناعة والتكنولوجيا.

(الوضعية أو الفلسفة الوضعية) لأمور مبنية على الواقع الرياضي والتجريبي اليقيني والقابل للإثبات مهملا سائر مبادئ وأساليب المعرفة ويؤيد هذه المعرفة التجريبية بوصفها أكمل طريق والسبيل الوحيد للمعرفة.

إن المذهب الوضعي هو توجه في الفلسفة الغربية الحديثة، ظهر مع ظهور الفلسفة الانسانية وتأصل الحياة المادية وإضفاء الأهمية على الأغراض الدنيوية، وكان سائدا لنحو قرنين (من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر للميلاد) في قسم كبير من المجالات والتوجهات الفلسفية الغربية.

إن الوضعية تعد في الحقيقة وجها من وجوه الفكر الغربي الحديث والذي يؤمن بانه يمكن الوصول إلى معرفة الأمور (المحسوسة فحسب) عن طريق الحواس والإفادة من الأساليب التجريبية ولا وجود لأي إمكانية لمعرفة الأمور المجردة وغير المحسوسة وغير الجزئية (الشاملة).

ويمكن تبيان خصائص المذهب الوضعي بالشكل التالي:

١. يتنكر لوجود أي انطباع إشراقي إو إدراك عقلاني كلي؛

٢. يؤمن بالفردية والجزئية؛

٣. يرى أن التجربة والإختبار يشكلان السبيل الوحيد لإدراك الأمور؛

٤. يعتبر أي قضية معرفية لا يمكن دراستها بالأسلوب الحسي، مهلمة وغير علمية؛

٥. تشكل الوضعية أساسا للعلوم الحديثة (أكانت العلوم الطبيعية أو العلوم الانسانية).[١]

١. زرشناس، شهريار، القاموس الثقافي السياسي، صص ٩٢ – ٩٤.

وقد أسست الفلسفة الوضعية على يد الفيلسوف وعالم الإجتماع الفرنسي أوغست كونت الذي كان يؤمن بان الجبر التاريخي سيقود البشرية باتجاه تزول فيه الرؤية الدينية والفلسفية والشكل الذي يتبقى من الفكر يتعلق بالفكر الوضعي الحاسم و التجربة العلمية.

إن الفلسفة الوضعية والمدرسة التجريبية المتطرفة استندت إلى المعطيات المباشرة للتجربة الحسية لتعتبر أن جميع قنوات ومصادر معرفة الكون تنحصر بالتجربة الحسية وأرست الدعائم العلمية تحت عنوان العلوم التجريبية الجديدة لتنكر و تشكك بجميع التجارب الدينية والمعرفة غير التجربية الروحانية حول العالم و الانسان.

و في ظل ما ذكرنا، يمكن فهم معنى ومفهوم التجديد والمصطلح الذي يعادله أي العصرية والحداثة. إن الحداثة والعصرية والتجديد بوصفها نمط جديد للحياة العصرية، هي حصيلة تطورات القرون الأخيرة في أوروبا.

وقد عرّف انتوني غيدنز عالم الاجتماع المعاصر الشهير، الحداثة والعصرية كما يلي:

تشير العصرية والحداثة إلى نمط الحياة الاجتماعية والهيكليات والمؤسسات الاجتماعية التى ظهرت فى أوروبا منذ القرن السابع عشر فصاعدا وامتد أثرها ونفوذها إلى سائر مناطق العالم.[١]

وإن تجاوزنا التعاريف اللفظية وجذور العصرانية والحداثة، فان الحداثة اجتاحت في الهيئتين الثقافية والحضارية مجمل العلاقات والتعاملات الثقافية والمادية للمجتمع

١. الحداثة والعصرانية (مجموعة مقالات)، ترجمة حسين علي ثلاثي، ص ١٣٧؛ تبعات الحداثة، ترجمة حسن ثلاثي، ص ٤.

الغربي ووصلت إلى الشرق. ويقول كريشان كومار في مقال له حول الحداثة واستخداماتها المفهومية:

فى القرن الثامن عشر وعصر التنوير الفكرى، حدد المفكرون والمتنورون فكريا، المفهوم الحديث فى صلة وعلاقة بالمفهوم الآخر، أى «هنا» و الآن. ومذاک فصاعدا، تحول المجتمع الحديث إلى مجتمعنا، أى نوع المجتمعات التى نعيش فيها، أكانت مجتمعات القرن التاسع عشر أو مجتمعات القرن العشرين. إن المجتمع الغربى الذى يظهر أكثر التعارض أو التباين صراحة مع المجتمعات السابقة أو المجتمعات الأخرى، تحول إلى علامة ورمز ل «العصرانية.» وهذا التيار، حدد حدود وتخوم العصرانية. وأصبحت الحداثة والتحديث أو العصرانية والتعصير معادلا للإستغراب أو التغريب.

و بذلک أصبح المجتمع العصرى منذ القرن الثامن عشر، يحمل علامات المجتمع الغربى، وكان المجتمع الحديث، مجتمعا صناعيا وعلميا. وكانت هيئته «الدولة الشعب» أو الحكومات الوطنية التى تستمد شرعيتها من الأنماط المختلفة من السيادة الشعبية، وكان الاقتصاد والنمو الاقتصادى يحظيان فى المجتمع العصرى بدور مميز وغير قابل للتفوق عليه. وكانت المنظومات الفكرية والفلسفية الرئيسية فى هذا المجتمع عبارة عن المذهب العقلى ومذهب المنفعة.[1]

۱. تبعات الحداثة، ترجمة حسن ثلاثي، صص ۸۱ و ۸۲.

ولم تبق النزعة الإختزالية (إختزال الطبيعة وإنتزاع الكرامة المعنوية من مخلوقات الله) والنظرية الجزئية، في حدود دراسة الطبيعة بل خطت مراحل لتلقي بظلالها على جميع الميادين السياسية والاجتماعية.

وعلى الرغم من أن «الشرق الإسلامي» لم يسلك مثل الغرب، مراحل عبور التقليدية الدينية إلى الحداثة النظرية والعصرانية العملية، لكن بما أن التاريخ والفكر الغربي ألقى بظلاله تدريجيا على جميع الثقافات والحضارات غير الغربية، وتجاوزت الطبيعة السلطوية للثقافة الغربية جغرافيا أوروبا الغربية لتجعل جميع المجالات التقليدية والمجتمعات التقليدية خاضعة لها، فان التوجهات التنويرية الفكرية للمنبهرين بالغرب، أصابت سريعا كافة المجتمعات التقليدية بمرض الإستغراب والإنبهار بالغرب. لذلك فان المجتمعات التقليدية خرجت على مدى قرنين من موقعها وبقيت في ظروف انفعالية في وضع معلق بين الشرق والغرب.

إن هذا الوضع الإنفعالي، دفع جميع موجهي العلاقات والتعاملات الصغيرة والكبيرة للمجتمعات الشرقية إلى السير كتفا بكتف بجانب أوروبا الغربية على أمل نيل الحداثة الكاملة وتجربة التقدم والتنمية (العصرانية) قبل أن تتوفر لديها مقدمات ذلك عن طريق تحديث التعاملات وشراء المنتجات التكنولوجية.

ورأى المثقفون والمتجددون الشرقيون، تاريخ شعوبهم دائما في ذيل تاريخ الغرب وشاهدوا ثقافتهم وحضارتهم في مرآة الغرب. لذلك فان الإستنساخ والمونتاج اجتاحا مجمل العلاقات الثقافية والحضارية للشرق، لكن بما أنهم كانوا ينظرون بنصف نظرة أيضا إلى ما تبقى من الثقافة الشرقية والدينية، ركزوا جل اهتمامهم

وجهدهم على إيجاد خليط من النزعة التقليدية والحداثة لكي يتمتعوا بجميع مكاسب الحداثة إضافة إلى الفلاح الأخروي والسلامة الأخلاقية الفردية والاجتماعية.

إن الوضع الحالي للمجتمعات الشرقية يميط اللثام من دون أي تفسير، عن محاولات هذه المجتمعات لإيجاد دمج وخليط بين التجربة المطلقة والتدين العام للشعوب.

ف«الشرق» لم يبق شرقا وفي الوقت عينه لم يحصل على تجربة الغرب إطلاقا.

إن المجتمعات الشرقية والثورية وتبعا للإنبهار بالغرب متعدد الأوجه وغض الطرف عن الشمولية الغربية وتوحد ثقافة الغرب وحضارته تسعى من خلال النزعة الإختزالية وتحليل الموضوعات (النظرية الجزئية) لإصلاح العلاقات، عسى أن تقلل من تداعيات الإستغراب والإبتذال الأخلاقي وتمهد في الوقت ذاته الطريق للوصول إلى العصرانية الكاملة والبقاء في الميادين النظرية والأخلاقية للمسلمين في نفس الوقت.

إن حديث سكان «الشرق الإسلامي» عن نمط الحياة والعمل على إصلاح نمط الحياة الحالي والسائد، يعكس أيضا هذه الرغبة وهذا الجهد.

ومن هذا المنطلق أردت من خلال الحديث عن ماضي ومستقبل النزعة الإختزالية والنظرية الجزئية في الغرب، التذكير بأن:

أولا، إن مجمل العلاقات والتعاملات الصغيرة والكبيرة في المجالات الثقافية والحضارية الغربية قد تشابكت معا وأنه من غير الممكن فصل مجاله الثقافي والحضاري عن جميع الأجزاء والمكونات؛

ثانيا، إن مجمل العلاقات والتعاملات الصغيرة والكبيرة قد ربطت وخيطت معا بالخيوط اللاصقة النظرية والفكرية الخاصة. بعبارة أخرى فان مجمل العلاقات والتعاملات المادية والصورية، هي صورة وجسد، تحركا تحت أثر روح وباطن الفكر الغربي الخاص؛

ثالثا، إن عدم دراستنا ومعرفتنا الدقيقة بالغرب أدى إلى أن نظن أنه مع فصل جزء صغير وتجاهل سائر أجزاء وأعضاء الجسد الثقافي والحضاري، سنكتسب إمكانية التأثير الشامل؛

رابعا، إن تحول وتغير الأوجه رهن بالتحول والتغير في المجال النظري والثقافي وتغير التوجهات العامة للجماهير حول العالم والانسان، بحيث أن الغرب تقبل التحول والتغير في المجال النظري والثقافي قبل أن يجرب الحداثة والمكننة.

ما يشبه الشخص الذي يظن انه سيحصل على خل جيد إن أدخل العنب بالصلوات والوضوء والطهارة إلى الماكينة والمصنع قبل أن يصلح هيكلية مصنع إنتاج النبيذ وتغيير أساسه.

نمط الحياة ومنشأ اليهود

إن روح الحداثة وبتبعها نمط الحياة الخاص الذي يؤدي إلى تداوم الحداثة، هي بلا شك يهودية المنشأ.

وتحدثنا سابقا عن موقع الثقافة ونسبة الحضارة إليها وقلنا بان الثقافة تشكل روح وجوهر أي حضارة في كل عصر وزمان.

إن الحضارة الغربية التي أرسيت على أساس الحداثة والعصرانية، إستمدت كل قوتها من الأخلاق اليهودية وبنيت عليها، بحيث أن البروفيسور كريشان كومار من جامعة فيرجينيا أعتبر أن أحد مواصفات المجتمع الحديث يتمثل في تفوق الاقتصاد والنمو الاقتصادي على سائر العلاقات ويشير إلى هيمنة مذهب النفعية في المجتمع الحديث. وتدين الحداثة بكل ذلك للأخلاق اليهودية والخدمة التي أسدتها الأخلاق اليهودية للحضارة الغربية.

إن نمط الحياة الحديث جعل من توجهات عموم شعوب الأرض تتلاءم مع السوق ومذهب المنفعة والربحية اليهودية.[١]

ويقول سومبارت فرنر في معرض بحثه عن أسباب تشكل الاقتصاد الحديث والعوامل التي ساهمت في هذا التطور في أوروبا الحديثة:

... يجب أن نفهم تأسيسا على المصادر الأساسية ما الدور الذى لعبه اليهود فى ترقية حياتنا الاقتصادية الحديثة منذ القرن الخامس عشر للميلاد فصاعدا، والأحرى الحقبة التى مال فيها تاريخ اليهود والنمو الكمى والعام للاقتصاد الأوروبى نحو جهة مشتركة. وعندها سنكون قادرين على أن نعلن بصورة حاسمة مدى الأثر الذى اضطلع به اليهود فى تغيير الحياة الاقتصادية.

وبتقديرى، فان أهمية اليهود تكمن فى بعدين، فهؤلاء أثروا على الشكل الظاهر والخارجى للرأسمالية الحديثة من جهة، وجسدوا روحيتها الميالة للإنزواء من جهة أخرى. ففى البعد الأول، إضطلع اليهود بدور مهم للغاية فى إضفاء الطابع الدولى على العلاقات الاقتصادية التى مازالت قائمة إلى الآن. فقد كان لهؤلاء إسهام كبير فى تخليق الحكومات الحديثة فى إطار الرأسمالية وأوصلوها إلى موقعها المعاصر. وفى النهاية، أضفوا جوانب خاصة على المؤسسة الرأسمالية من خلال إبداع الأمور الدقيقة الكثيرة للنظام التجارى للرأسمالية والذى كان يحرك ويدير عجلة الحياة الاقتصادية اليومية وكذلك المساهمة فى إكمال التفاصيل الأخرى.

---

١. للمزيد من المعلومات، ندعو القراء الكرام إلى قراءة الكتاب القيم ل «سومبارت فرنر» تحت عنوان «اليهود والحياة الاقتصادية الحديثة».

وفى الوجه الثانى، فان أهمية اليهود كبيرة للغاية، لان هؤلاء وفوق كل عامل آخر، بثوا روحا حديثة فى جسد الحياة الاقتصادية. فقد أخذ اليهود الفكر الجوهرى والرئيسى للرأسمالية ووسعوه قدر المستطاع.[١]

ويكفي أن نلقي نظرة على الوصفة التي كتبتها المنظمات الدولية اليهودية النزعة، لبلدان العالم الثالث والبلدان النامية لنجد كيف أن هذه المنظمات الدولية تعتبر التنمية الاقتصادية عاملا رئيسيا وحصيلة تجربة الحداثة وتقدم التنمية الانسانية (بمعنى الخروج من المنظومة الثقافية التقليدية ودخول العالم المتجدد) مقدمة لتجربة التنمية الاقتصادية.

إن هذه التنمية الانسانية تحصل من خلال تهديم وتدمير ما تبقى من الحياة الثقافية والحضارية والتقليدية و بسط الحياة العصرية واعتماد نمط الحياة الحديثة في المجتمعات النامية.

ويكتب سومبارت حول نشأة «امريكا» الحديثة:

... ألن يكون هذا الزعم وجيها من أن امريكا مدينة لوجودها البحت لليهود؟ وفى ضوء ذلك، فهل من الضرورى أن نكرر بان اليهود هم الذين حولوا أمريكا إلى ما هى عليه الآن؟ لان ما نعتبره أمريكيا ما هو إلا جوهر وخلاصة الروح اليهودية.[٢]

إن كافة الباحثين وأصحاب الرأي في مجال الحداثة ومبادئها النظرية، مجمعون على أن المذهب الإنساني[٣] بمعنى ومفهوم إضفاء الأصالة على الانسان والمذهب الدنيوي[٤] بمعنى ومفهوم النزعة الدنيوية وفصل الدين عن الدنيا ومذهب الربحية[٥]

١. المصدر السابق، صص ٢٣ و ٢٤.
٢. المصدر السابق، ص ٤٨.
٣. Humanism.
٤. Secularism.
٥. Utilitarianism.

وبالتالي الرأسمالية[١] والنزعة العلمية[٢] بمعنى ومفهوم إضفاء أصالة العلوم التجريبية والنزعة العلمية ونبذ أي وجه اخر من معرفة الوجود لا يبنى على الدين والمعرفة الدينية، هي من المبادئ غير القابلة للإنكار للحداثة.

والملفت أننا نرى إن جميع المبادئ المقبولة لدى الحداثة أو ما يسمى التنمية، تضرب بجذورها في الفكر اليهودي، وهو الشئ الذي تم حقنه في هيكلية مجمل العلاقات والتعاملات الثقافية والحضارية الأوروبية في مسار تدريجي ومنذ السنوات الأولى لتطور أوروبا (في القرن الخامس عشر). وكأن جميع المفاهيم الواردة في هذه الآية من «القرآن» تكشف النقاب عن الواقعة التي حدثت.

«وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ مِنَ الّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَة.»[٣]

وضروري الإشارة إلى واحد أو إثنين من آراء معاصري تلك الحقبة. وكتب القس جان مغالوبليس في ١٨ مارس ١٦٥٥ يقول:

إن هؤلاء اليهود يتابعون هدفا واحدا فحسب فى الحياة وهو وضع اليد على أموال المسيحيين... إنهم ينظرون إلى كل شئ من منظار ربحيتهم.

وحتى أن أشخاصا مثل ساواري الذي كان يتعامل بلطف وود مع اليهود، لا يستطيع غض النظر عن انتقادهم، فيقول:

إن اليهودى الحقيقى هو التاجر الذى يتعاطى الربا، وهو شخص يسعى لاقتناء الربح والفائدة كيفما اتفق ونهب الطرف الذى يتعامل معه ... .

---

١. Capitalism.
٢. Scientism.

٣. سورة البقرة (٢)، الآية ٩٦.

... ونستطيع بهذا الخصوص الإشارة إلى هذه النقطة بان اليهود ومن بين جميع الأمم والشعوب، يعرفون بأنهم أشخاص نفعيون حريصون أشد الحرص على المال. على سبيل المثال، هذا القول جار على الألسن في هنغاريا «حتى أن اليهود يعبدون مريمنا المقدسة» (الليرة الذهبية في هذا البلد منقوش عليها صورة مريم)، ويقال في روسية: إن الأصفر هو اللون المحبب لدى اليهود. وفي ألمانيا ثمة قول مماثل: اللون الأصفر، هو أكثر الألوان شعبية لدى اليهود.[١]

ومن يجرؤ على حذف الفائدة من الاقتصاد والبنوك في عالم اليوم وحذف البنوك والاقتصاد من اليهود؟ وكيف يمكن السكوت عن بنيان الحداثة والاقتصاد ومجموعة العناصر التي تشكل نمط الحياة، والحلم بنيل نمط جديد من الحياة المبنية على الدين والتدين من دون أدنى إشارة إلى تلك الأسس اليهودية ؟

التنمية وأسس التنمية في إيران

على الرغم من أن اليهود وبسبب ميولهم العنصرية الخاصة واعتبارهم أن اليهودية تنحصر في أبناء بني اسرائيل، يحجمون عن دعوة الآخرين لاعتناق ديانتهم، لكنهم ومن خلال نشر الأخلاق اليهودية في سياق الثقافة والحضارة الغربية، يبثون روحهم في صورة وسيرة الثقافة والحضارة الغربية.

وأما أمم الشرق فقد اتصفت بالأخلاق والسيرة والصورة اليهودية عن طريق تقليد نمط الحياة الإفرنجية واعتماد أسلوب التعاملات والتجارة الغربية وقبول الحداثة و ... .

---

١. المصدر السابق، صص ١٤٦ و ١٤٧.

وتشكل البنوك والمصرفية والتجارة والرأسمالية ومذهب المنفعة خلاصة وجوهر العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية لسكان «الشرق الإسلامي»، حتى وإن أقاموا صلواتهم اليومية، جماعة في أكبر المساجد، حتى وإن حجوا ويشاركون في صلاة الجمعة. إنهم يتصرفون على الطريقة اليهودية في الأرض ويبقون مسلمين في الظاهر. ويشكل الربا روح النظام الاقتصادي المادي لعالم اليوم.

وهذا يعني أن تغيير نمط الحياة الحديثة، أمر مستحيل أو يتسم بالصعوبة نظرا إلى التبعية إلى الربا.

وعلى مدى الأعوام المائتين الأخيرة لاسيما مع توسع نطاق وسائل الإعلام الحديثة، مرت عامة الشعوب غير الغربية بما فيها شعوب الشرق الاسلامي بابتلاءات مختلفة، بما فيها:

١. تحريف المعتقدات الدينية والتقليدية، ومراجعة تلك المعتقدات وإحلال منجزات العالم الحديث محلها؛
٢. تحويل القدوات والنماذج المقدسة وإعادة النظر فيها وإحلال أبطال ونماذج العالم الحديث محلها؛
٣. تغيير التقاليد وأسلوب الوجود والعيش (نمط الحياة) وإحلال نمط الحياة الحديثة محلها.

إن مثقفي المجتمعات الشرقية استهزأوا بداية بالسيرة والسنة والأخلاق الاسلامية وفي المراحل اللاحقة قاموا بعلمنة مجمل التقاليد الدينية بصورة تدريجية وجعلوا الثقافة التقليدية تنصهر في الثقافة الغربية، وقاموا في بعض المراحل بأسلمة مجمل الأساليب العملية والإيديولوجية الغربية، ليزيلوا بذلك العقبات التي تعترض جذب تلك الأساليب والإيديولوجيات. والمؤسف أنه لم يتم دراسة موضوع علمنة التقاليد

الدينية على يد المثقفين والمنبهرين الأكاديميين بالغرب وأسلمة الغرب على يد رجال السياسة المسلمين الذين يفتقدون للرؤية الاسلامية والتي أدت إلى استحالة الشرق الاسلامي (في الثقافة والحضارة الغربية).

ولابد من التذكير بان اتباع الخصوصية اليهودية والتنوير الفكري لا يعني التحول إلى الديانة اليهودية.

إن المجتمع المصاب بالخصوصية اليهودية والتنوير الفكري، هو مجتمع فارغ وهش من الداخل ويتحول إلى أداة بيد اليهود وسلم لصعود اليهود. المعين الذي يعين اليهود في الوصول إلى مآربهم وأغراضهم. وهذا المجتمع سيطحن ويتهشم في طاحونة اليهود.

وكيف أننا لا نتحدث عن ضرورة التغيير والتحول الثقافي ولا نعقد العزم على تحقيق ذلك. وإن كنا توصلنا إلى ضرورة هذا الشئ، لكنا نعد التحضيرات والمقدمات اللازمة له.

وكيف أننا غفلنا الخطوط العريضة لمنظومة ثقافية وتربوية ما ونعتبر إن إصلاح مكون ما يؤدي إلى إصلاح سائر المكونات، بينما لا نفكر من منطلق الصورة الثقافية والعملية حول سائر المكونات والأجزاء وأحوالها.

وإن أردنا من خلال نوع من التساهل والتسامح، عكس حركة ما والوصول من إصلاح الأجزاء إلى إصلاح مجمل المنظومة الثقافية والحضارية، فاننا بحاجة أيضا إلى التخلي عن أسلوب النزعة الإختزالية والنظرية الجزئية السائدة والإهتمام بمنظومة النظرية الشاملة التقليدية حول جميع العلاقات والتعاملات ذات الصلة.

وقد نتمكن من خلال إصدار تعميم أو وضع القوانين والأنظمة، التظاهر بالإصلاح في هذا المجال، لكن لا يجب تجاهل أن نمط الحياة هو المحصلة النهائية لإتحاد واتفاق الثقافة والحضارة وتوجهاتهما في الحقل الفكري والنظري.

دعوة ١

إن حدثا ما في القلب وتغيرا في النفس، يدخل الانسان إلى عالم جديد ويؤدي إلى ولادة انسان جديد. إن هذا الحدث لا يحدث من خلال إصدار بيان أو تعميم وأوامر.

إن الواقعة في النفس والتغير في الروح، يغير من عهد المرء ويسفر عن التحلل من عهد منسوخ ومذموم والإنخراط في عهد يحظى بالتأييد والشهادة والقبول لدى الله جل وعلا.

إن ضالة الشرق هي للأسف التنمية والحداثة. إنهم يعتبرون الحداثة وتجربة العصرانية ضرورية لوجودهم وحتى السير في العالم الديني.

إن الانسان الشرقي إن نجح في إبرام عهد جديد، يغادر القطار الغربي. ويجب معرفة أن الركض في الطريق الذي يؤدي إلى الضلال، خطأ. فالوقوف هو شرط العقل والعودة ضرورية للوصول إلى الغاية المنشودة.

إن كل ثقافة وحضارة، تُعرف بالعهد الذي يبرمه سكانها مع مرجع أو موقع أو جهة ما. إن العهد القلبي لمعلمي الغرب (الفلاسفة والمفكرون الغربيون) هو مع النفس الأمّارة، لذلك فهي منفصمة عن السماء تعتبر الانسان محورا للعالم والكون.

إن نشأة نمط العيش الحديث فرع للرؤية العامة حول العالم والانسان ومنشأ العالم والانسان والوجهة النهائية لسير وسفر الانسان والمعنى الخاص المعطى للحياة.

إن نمط الحياة الحديث، فرع لعهد مرجع يتحمل مسؤولية الإمتثال لأوامره ونواهيه.

إن العهد النفساني للعصر الحديث، يؤدي إلى إثبات قوة الانسان ومحوريته في كافة الأمور.

إن العالم الحديث والثقافة والحضارة الغربية وبالتالي نمط حياة الانسان المعاصر، يخضع لجميع مظاهر واثار ونتائج ذلك العقد المبرم. إن العهد الانساني هو في الحقيقة جوهر وروح جميع الصور والتجليات.

وكيف يمكن عقد الأمل على تغير صورة علاقات الانسان وتعاملاته قبل تحول وتغير العهد الجماعي لقوم ما؟

ولا شك أن التاريخ الغربي قد وصل إلى نهاياته وأن الأزمة قد اجتاحت جميع أركانه الثقافية والحضارية.

إن تاريخ الغد، لا يقام قطعا على العهد الماضي والسابق، كما أن أيا من أدوات العالم الحديث لن تكون بالضرورة لازمة للسير والسلوك في تاريخ الغد. إن أي تاريخ وحقبة، تملك ثقافة وحضارة خاصة بها ونمط حياة خاصة بها والأدوات التي ترفدها للبقاء في ذلك المجال وذلك بما يتناسب مع العهد المبرم والوجهة التي يجعلها الانسان معلما له للوصول إليها.

وما يمكن التذكير بشانه هو:

أولا الحديث عن نهاية التاريخ الغربي والأزمة الشاملة في ميادينه الثقافية والحضارية؛

ثانيا التذكير بالعهد والمرجعية اللازمة لتاريخ الغد؛

ثالثا التماشي مع ذلك العهد والعمل للإتصال والإرتباط بذلك المرجع والجهة المرجوة.

دعوة ٢

على الرغم من أن نجم التاريخ الغربي قد أفل نحو الإنحسار والضمور بسبب هشاشة الأسس النظرية والأفول والتراجع التام للمشهد الحضاري والمادي وانه سيزول لا محالة في ظل تفتق زمن وحظ تاريخ الغد، لكنه بقي متهورا ومنفلتا ويسير قدما في هيئة حضارة تكنولوجية، بسبب تعلق وانتماء جمع من الناس للعهد النفساني وغير الرحماني.

إن الانسان هو الذي يدعو الشيطان ويفتح ذراعيه له. لذلك طالما بقي يحتضن هذا الشيطان، فانه لن يتخلص منه ولن ينفصل عنه.

وهذا الانسان يتناسب بارادته واختياره مع إسم يتسم بالقهر أو اللطف ويجعل من وجوده مطارا لهبوط مراسم القهر أو اللطف. وعندما يتم الإستيلاء على مملكة وجود الانسان، فان مجمل قوته وقدرته وعدته وعديده يبقى تحت تصرف واختيار الجنود الإلهيين أو الرحمانيين، وفي ذلك الوقت فان هؤلاء يصدرون أحكامهم له.

ومع الإستيلاء على مملكة وجود الانسان وساحة قلبه، فان جميع الأعضاء والجوارح تتحول إلى يد وساق وأذن ضيف مدعو. بعبارة أخرى فان العهد الشيطاني يتسبب بالعمل الشيطاني والعهد الرحماني يتسبب بالثقافة والأدب والعمل والرحماني.

إن الله الرحمن، لم يسلط أي شيطان على الانسان. بل أن الانسان هو الذي يفتح بوابات مملكة جوده للجنود الإلهيين أو الرحمانيين ويفسح المجال لهم.

إن هذا الأمر يحدث لجميع الأفراد فردا فردا وأحيانا لقوم ما. إن التاريخ الغربي الآيل إلى الزوال هو تاريخ العهد الجماعي للغرب مع الشيطان وتاريخ دعوة إبليس للإستيلاء على قلب الانسان الغربي وروحه، لكن تاريخ الغد هو تاريخ العهد

الجماعي للشرق باسم لطف الله ورحمته، أي بقية الله، صاحب العصر والزمان (عج)، وبهذه الدعوة الكبيرة ومظهر إسم اللطف والرحمة أي حضرة رحمة للعالمين، تتغير مقدرات البشرية وتتخلص من قيود الشيطان وسجنه. ويقول الله تعالى في محكم كتابه:

«إِنّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ.»[١]

إن هذا التغير والتحول لا يتحقق من خلال صناعة الصورة والتظاهر والمراءاة، بل على العكس تزداد طبقات الحجب. إن بيت التطور والتغير، هو قلب المرء لا حتى ذهنه ولسانه وسائر جوارحه.

إن دعوة الشيطان لا تقع من خلال اللسان وصناعة الصورة حتى يتم دحره بهذه الطريقة. إن الانسان الغربي ومع إعراضه عن السماء يكون قد فتح ذراعيه للشيطان.

ولا شك بان إبرام العهد القلبي، هو مقدمة لكي يقدم الله تعالى للبشرية المخرج من الأزمات والطرق المسدودة. وليس مقررا أن يحدث تطور وتغير مفاجئ في ساحة قلب الانسان وروحه من دون الشعور بالإضطرار وإعلام جهوزية الانسان للخروج من العهد الشيطاني والنفساني. وتنص الآية الكريمة بصراحة:

«وَمَن يَتّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَخْرَجًا.»[٢]

إن التقوى هي عين الخروج من عهد الماضي ومقدمة لدخول العهد الجديد.

ونقل عن النبي الأكرم(ص) قوله أثناء تلاوة الآية الكريمة:

«وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» قَالَ: مَخْرَجا مِنْ شُبُهَاتِ الدُّنْيَا، وَمِنْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، وَشَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.»[٣]

---

١. سورة الرعد (١٣)، الآية ١١.
٢. سورة الطلاق (٦٥)، الآية ٢.
٣. شرح أصول الكافي، للمولى صالح المازندراني، ج ١٢، ص ٢٦٢.

والقصد هو إن اتقى أحد، الله حقا، فان الله تعالى يجعل له مخرجا من شبهات الحياة الدنيا ومن المشاكل وغمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة.

ويقول الله تعالى في الآية الأخرى:

«وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ.»[١]

إن الشيطان يخيف الانسان من الفقر ليخسر فرصة الإبتعاد عن الطاغوت ويُحرم من ملائكة الرحمة، ويقضي العمر في التعاسة والشقاء.

«الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.»[٢]

لذلك فان الله يبشر من يتحلى بالتقوى بالا يخشى الفقر والفاقة وأنه يرزقه من حيث لايحتسب.

عن أبىذر الغفارى قال: قال رسول الله(ص): يا أبا ذر إنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.» فما زال يقولها ويعيدها على.»[٣]

إن الله تعالى ليس عاجزا عن تغيير العالم والخلق.

«إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ»[٤]

لكن الله تعالى جعل أسبابا لأي تغيير في تقدير ومقدرات الناس. إن الدنيا هي دار الإبتلاء والإمتحان وأن جميع الأمور تنتظم عبر مسارها الخاص بها.

---

١. سورة الطلاق (٦٥)، الآية ٣.
٢. سورة البقرة (٢)، الآية ٢٦٨.
٣. أخلاق الناس، ص ٢٧٥.
٤. سورة البقرة (٢)، الآية ١٠٩.

وإن انجر قوم خلف مقتضيات الهلاك، فانهم سيسلكون مسار الهلاك ويبتلون به حسب السنة الإلهية. ويجب تغيير مقتضياتنا من خلال تغيير الظروف لكي نخرج من مسار الهلاك والشقاء لنسير في طريق السعادة.

إن إبتلاء الأمم ووقوعها في الأزمات والإضطرار ليس ناجما عن المصير والقضاء والقدر وإرادة الله، بل احتضانها لمسببات الأزمات ومثيرات الصعاب والتحديات، وإلا فان الله الرحمن الرحيم، لا يريد الشقاء والتعاسة لأي أحد.

وبلا شك فان الله تعالى وكما جاء في القرآن الكريم، يفتح سبل الخروج من المآزق، بحيث قال سبحانه وتعالى:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا.»

ولا يجب تجاهل أن الله تعالى أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها.

«أبىَ الله أن يجرى الأمور إلاَّ باسبابها فَجَعلَ لِكُل شَئٍ سَببا.»[1]

وجاء في حديث شريف آخر:

«أبى الله أن يجرى الأشياء إلا بالأسباب، فجعل لكل شئ سببا وجعل لكل سبب شرحا وجعل لكل شرح علما وجعل لكل علم بابا ناطقا.»[2]

وبناء على ذلك فان الله تعالى يدعو المؤمنين صراحة للتفكير بالمخرج الذي يجعله هو. إن ما يكسبه الناس لا يأتي إلا من خلال سعيهم وهو ما يحدث تماما وفق السنة الإلهية. أكان محصول زرعهم حلوا أو مرا لاذعا. ونقرأ في الآيتين الكريمتين ٤١ و ٤٢ من سورة الروم:

---

١. المازندراني، ١٤٢١، ج ٨، ص ٢١٠.
٢. مجمع البحرين، مادة السبب.

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا کَسَبَتْ أَیْدِی النّاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الّذِی عَمِلُوا لَعَلّهُمْ یَرْجِعُونَ * قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کَانَ عَاقِبَةُ الّذِینَ مِنْ قَبْلُ کَانَ أَکْثَرُهُمْ مُشْرِکِینَ.»

إن التوجه العام لقوم ما نحو أساس رحماني أو شيطاني، شاهد على عهدهم القلبي وكل ما يذوقونه من خيرات وبركات الدنيا أو شرورها، هو حصيلة عهدهم.

بعبارة أخرى، فان الجمع الجبري للتوجهات العامة للخلق هو الذي يكشف النقاب عن مغزى ومفهوم حياتهم وبالتالي حصيلة نياتهم.

إن الناس يبقون عند ذلك المدار وذلك الإقتضاء إلى أن يتحول ويتغير توجههم. ولذلك فان المؤمنين في التقليد الديني يقطعون عهدا مع خالق الكون ويسألونه بان يبقي لهم على تجديد العهد الصباحي هذا حتى افتتاح صفحة المحشر لكي يكون شاهدا على كيفية الوجود والعيش والعهد في الحياة.

«اللّهُم فاطِرِ السَّمواتِ والأرْضِ عالِمَ الغَیْبِ والشَّهادَةِ الرّحمن الرّحیم، أعْهَدُ إلیکَ فی هذهِ الدّنیا أنّکَ أنتَ الله لا إله إلاّ أنتَ وَحْدَکَ لا شَریکَ لَکَ وأنّ محمّدا صَلّی الله عَلیهِ وآلهِ عَبْدُکَ ورَسولُک. اللهم فَصلَی عَلی محمّد وآلهِ ولا تَکِلْنی إلی نَفْسی طَرْفَةَ عَیْنٍ أبدا ولا إلی أحَدٍ مِنْ خَلْقِک.»[1]

وقد أورد الشيخ الطوسي هذا الدعاء في تعقيب صلاة الفجر.

دعوة ٣: تجنب المال الحرام وحذف المال الحرام من حياة الناس.

دعوة ٤: إفتتاح باب الحوار عن بساطة العيش.

---

١. تعقيبات صلاة الفجر.

الامير المسجون

إهداء الي الامام الحسن العسكري(ع)

رحمة الله علي ذاك الفقيه الجليل القدر آية الله بهجت الذي قال في وصف حالة الناس في عصر الغيبة:

مثلنا مثل طائفة او جماعة حبست رئيسها وعند نزول البلاء هى بنفسها تتخذ قرار الحرب او السلام. نحن قمنا بهذا الأمر و لم نسمح له أن يأتى لكى يقوم بحل القضايا مع أننا نعلم بأنه إذا أتى بإمكانه حل المشاكل لكننا رغم كل هذا جعلناه يبقى فى السجن.

قبل هذا قال صاحب العصر والزمان(عج) فى توقيعه الشريف مخاطبا سماحة الشيخ المفيد(ره):

«... لو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا»

ولهذا طالت الغيبة. نحن قمنا بزج الامام(ع) فى سجن عدم وفائنا بالعهد الذى عاهدناه ومن ثم بدأنا نضج ونبكى لطول الفراق وألم الغيبة.

هذه الحاله تشبه حالة قوم وقعوا فى صحراء مقفرة موحشة لانهاية لها وإنهم يمضون حياتهم فى اضطراروخوف وهلع و رغم ابتلائهم بهذه البيداء المخيفة لم يحاولوا النجاة منها متكاسلون أملهم الوحيد هى عينُ ماء عفنة وطعامٌ قذرٌ من الجيف والسَحليات.

بذل هؤلاء المتورطون فى الصحراء عديموا الهمه كل ما فى وسعهم لمجادلة لانهاية لها لتقليل مرارة الماء وتوفير طعام لايغنى من جوع ولايسمن وتزيين سقيفة مبنية بالقذى وأحجار ملونة منتشرة على حافة الماء المتعفن مع أن على مسافة قريبة من هذا المكان هناك فى زاوية فارغة أو كهف شخصٌ مَحبوس ومُقيد الذى هو دليلهم وهاديهم الى طريق النجاة.

إننا إعتدنا على هذه الحياة الصحراوية وأكل الجيف بحيث أن افكارنا لاترتقى إلى أبعد من كشف الأدويه لتحسين مذاق الطعام وبناء مأوى يخفف من حرارة الصحراء وكأن ضميرنا وافق بأن الحياة لا معنى لها سوى ما تعودنا عليه.

أنا منذ شبابي الي الان طالعت كتبا كثيرة وأتذكر الكثير من أجزائها مثل كتاب بابيون الذي تم نشره قبل سنين وتم انتاج فيلما رائعا بناءا عليه.

بابيون تم الحكم عليه بالسجن المؤبد لجريمة لم يرتكبها وكان نصيبهُ من الدنيا زنزانة مظلمة عاتمة وسجّانين ذو اخلاق و طباع سيئة لكن بابيون لم يقبل أبدا أن حصتهُ من الحياة هو السجن فقط ولهذا قضي جميع سنوات سجنه يكافح ويجادل لكي ينقذ نفسه من السجن لا أن يوفر اجواء الراحة والهدوء في سجنه. عندما كان يستيقظ من النوم في كل يوم كان يشير الي جميع اولئك الذين اعتقلوه وعذبوه قائلا لهم: يا اولاد الحرام أنا مازلت حياً.

قضي بابيون حياته كلها يخطط لكى يهرب من السجن لا أن يتلائم مع الحبس الذي كان يعتبره ظلما فى حقه. إنه في نهاية المطاف عندما أصبح شيخاً هرماً رمي بنفسه من آخر سجن كان له الواقع في نقطة مرتفعة في جزيرة ما في مياه البحار وأطلق سراحه الي الابد.

بابيون لم يقبل بأن نصيبهُ من الدنيا هو السجن وماء وطعام المحبس لكن حياة السجناء الآخرين كانت تمضي في ذروة اليأس والانفعال وضمائرهم وافقت بأنهم خلقوا لكي يكونوا مسجونين لا أن يكونوا أحرارا ولهذا كانوا كالطير الذي فتح عينه علي الدنيا في السجن ولم يبحثوا في أذهانهم عن معني للحريه.

إنهم كانوا يعتبرون مهمتهم وهدفهم هو التلائم والاندماج مع السجن والسجانين ذو الاخلاق والطباع الردئيه ولهذا فقط أجسامهم النحيفة كانت تحظي بالحرية وذلك علي يد السجانين ملفوفين في قماش من الكتان وكان يتم رميهم على يد السجانين من فوق صخرة شاهقه في وسط امواج البحار العاتيه العنيفه ومن ثم يصبحوا طعاما لاسماك القرش.

إن أكبر مصيبة حلت بالناس أنهم وافقوا بأن مصيرهم هو مصير المحكومين بالحبس والقيود والحياة الالزاميه فى الصحراء ولهذا أمحينا معنى الخلاص والانعتاق من أذهاننا.

قبلنا بأن الحياة فى الصحراء القاحلة وأكل الجيفة وتحمل حرارة شمس الصحراء اللاهبة هو رزقنا المقدر المحتوم وقد سلب منا أى إختيار وقدرة على الهروب والخلاص.

حسب ما جاء فی هذه العبارة الواضحة فی دعاء عهد الشریف: «ظهر الفساد فی البر والبحر بما کسبت أیدی الناس.» لاشک ان کل ما ظهر فی البر والبحر من بؤس وشقاء کان نتیجة لأعمالنا لکن ینبغی أن نشک فی هذا المعنی بان البقاء الدائمی هو لیس قدرنا المحتوم وأن الاقامة فی هذه الفلوات المخیفة تم بإختیارنا وکأن لیس لنا رزقاً ولا مفرا آخرا وبعد القبول بهذا الموقع إختلقنا لأنفسنا مهمة خاصة وهو البقاء فی الصحراء وتسهیل هذه الحیاة الصحراویة بمنتهی السعی والجهد.

کلُ إنسان عاقل یُدرک بعد تأمل قلیل أن کل هذه القدرة والموهبة المتمرکزة فی الانسان تحمله مسؤولیة ومهمة ایضاً وتطلب منه أداء دور لائق فی هذه الساحة الواسعة.

یکمن فی هذا القبول غیرالمقبول تعریفا لمهمة ودور الانسان فی العالم وهو فقط تسهیل الحیاة الصحراویة.

وهذا الامر یحدد افق ونهایة سیرنا نحو الکمال.

الکارثة نابعة عن قبولنا بالامر الواقع. مع أن فی مسافة لاتبتعد عنا سوی خطوات هناک بیتٌ فی زاویة سجن فیه امیرهادی بیده مقالید الحکم وإنه مفتاح الفرج بامکانه أن ینقذ الجمیع ویفتح أمامنا حیاة طیبة وماءً نقیا.

الحدیث عن المهدی(عج) أساسا یختلف عن الاحادیث الجاریه بین عامة أهل الارض. هو من جنس آخر. یبدأ هذا الحدیث منذ البدایه بالاحتجاج والتساؤل حول هذا الاستنتاج الخاطیء عن الحیاة ومهمة الانسان ویقوم باستجواب جمیع تلک الامور ویثیر الشکوک حولها ویضع أمامنا علامة استفهام کبیرة یبلغ حجمها مساحة الصحراء الذی قبلنا أن نعیش فیها ویثیر الشک والهزیمة فی کل ما کنا علی یقین منه خلافا لما کنا نعرفه مخطئین عن موضوع ومفهوم الانتظار.

ولهذا فان الحوار المهدوى يرافقه منذ البداية التساؤل والحراك.

تبدأ الحركة بهزيمة فى ما كنا نعتقدهُ بأنه محتوما لابد منه. الحركة تبدأ فى النفس. كما قال القرآن الكريم:

«إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (سورة رعد (١٣) آية ١١)

إن الارضية لتغيير الموقف وحتى تغيير حالة اعضاء الجسم تبدأ من تغيير فى النفس. تبدأ بالتغيير فى كل ما تم القبول به - رغم أن تلك الامور لمتكن صحيحة وليست حقا ـ أو التغيير فى كل ما لم نعتقد به لكن لابد لنا ان نعتقد به ونشك فى كل ما كنا نعتبره امراً محتوماً مفروضاً ومن ثم ستبدأ الحركة فورا. هذه الحركة تساوى التغيير الحاصل فى النفس لأنها تريد ان تملأ الفراغ الناتج عن التغيير لكى تنقذ نفسها من التوتر والاضطراب.

نحن اعتبرنا الحياة الصحراوية والطعام الملوث الذى لايسمن ولايغنى من جوع هو أمرا محتوما غيرقابل للتغير وهذا ما أدى الى سكوننا وعدم حركتنا.

السعى والجهد من أجل الحصول على طريق للخروج والخلاص ينبع من هذا الشك والتغيير لان فى جغرافيا افكارنا الصحراوية نتحدث عن كل شى ء وكل شخص الا طريق النجاة ومفتاح الفرج.

نحن نقيم لكل شي ء وكل شخص مهرجانا ومؤتمرا وتكريما لكننا طوال حياتنا ولو للحظه لم نتحدث عن هذا الامر الحيوي شيئا مع اننا لو نضاعف جهودنا الجاريه مائة الف مره فانها لم تؤدي الي تغيير أساسي في موقعنا لانها كلها مبنيه علي حتمية الحياة الصحراوية.

جميع قضايانا الصغيرة منها والكبيرة تدور حول تحسين وضع الصحراء وتسهيل الحياة الصحراوية. عملنا هذا يشبه ان نقيم في وسط الصحراء مؤتمر «دراسات حول الصحراء» بدلا من أن نسعي لانقاذ أنفسنا منها أو يجتمع جميع المقيمون في الصحراء لكي يصنعوا دواء لإعطاء طعام الصحراء رائحة زكية والجميع يتحدثون عن هذه الصحراء لكن هناك لم نجد حديث عن ضرورة السعي من اجل الخلاص من هذه الصحراء وإكتشاف مفتاح الفرج أو لم نقوم بالبحث عن رجل هادي مرشد ومقيد محبوس في سجن الغيبة مع أننا كان لنا دور في هذا الحادث المشؤوم ومن خلال أعمالنا نزيد من فترة الغيبة.

لو نتحدث بعض الاحيان عنه أيضا لم نتحدث عن خلاصه من هذا السجن بل العكس نذكر الذكريات الماضية و حديث الماضيين عنه لكي نزين به حياتنا الصحراويه. بعبارة اخري بدلا من الحديث عن خلاصه والبحث عنه أدخلناه لخدمتنا في حياتنا الصحراويه وهذا اقسي تعامل قام به قوم مع أميرهم.

ولهذا فان المنقذ يبقى فى السجن وحياتنا الصحراويه تستمر. الحقيقة أن تعريفنا عن الحياة نابع عن استنتاجنا الخاطىء.

أنا كتبت هذه العبارة فى مكان آخر وهى: كل شى ء يكرره الانسان يعتاد عليه وإذا إعتاد على شىء يستقر فيه ويتحول إلى أخلاقه وثقافته و الاخلاق والامور المعتاده هما يحددان مصير الانسان.

إن مصير الاقوام يتم تحديده من خلال ما إعتادوا عليه. نظرا لإعتيادهم على الحياة الصحراوية فإن مصيرهم المحتوم هو البقاء فى الصحراء.

إنا كررنا فى قرارة أنفسنا بأن كل ما هو موجود فهو أمر محتوم لابد منه وقد نظمنا جميع اقوالنا واعمالنا وعلاقاتنا وتعاملنا على هذا الاساس. لو لم يحدث تغيير فى هذا الاستنتاج الخاطى ء فانه سيتحول الى عادة لنا تحدد فى النهايه مصيرنا.

الحوار المهدوى هو من أجل أن ندرک بأن الوضع الموجود الذى تورطت به البشريه والعالم وتسير فيه ليس وضعا مطلوبا ومحتوما ومقبولا بل إنه مبنى على أركان الظلم والاوهام الموجودة لدينا وزينه الشيطان لكى يراه الانسان جميلا وسكنا أبديا له والانسان من أجل تحويل الوضع الى الجنة المنشودة يقوم بتغيير الاجزاء فيه ولم يفكر بتغييره جذريا.

الانسان على أساس هذا الشک ينهض من مكانه لكى يجد طريقا يخلصه من هذا الوضع وفى النهايه يتوسل بمن يدله على الطريق الصحيح وهادى ومرشد يعرف الطريق و الأسرار ومن خلال التعاضد معه يمكن إجتياز جميع الدوامات و الزوبعات.

هناک الكثير من الرجال قد أدركوا بان الوضع الموجود غيرمطلوب وغيرمقبول لكنهم يظنون بأن استنتاجهم يكفيهم لكى يخرجوا من هذه الحياة الصحراوية ولهذا ساروا لتغيير الصور دون الاعتناء بالمنقذ المسجون ويمرون فى غفلة عن الاركان التى تم تدميرها فى الوضع الموجود وزادوا من حجم وضخامة الازمات التى تكتنف حياتهم كما وكيفا.

ينبغى التنبيه أن رغم ما نظن فان التطور فى وضعنا الراهن وخلاص المسجون من سجن الجهل والغباء لايتم عن طريق الاعجاز وأحداث خارقه للعاده.

لوكان هكذا لحدثت المعجزه قبل سنين وقرون لكثير من الاقوام الذين كانوا اكثر منا جدارة وتأزما ولو كان من المقرر أن يتم هذا الامر عن طريق المعاجز المدهشه لما طالت سنين الحيرة والابتعاد هكذا.

هذه القضية لايمكن أن يتم اصلاحها من خلال الجلوس والتحسر والتألم فى الأزقه الصحراويه.

إن الله قدر مجموعة من السنن والاسباب والمقدرات لجميع من هو موجود فى الارض والزمان وقد بين مجاريا خاصة لتحقيق جميع تلك السنن.

لو ارادة خالق الكون كانت تقتضى بان يرسل ملكا لازالة الظلم والجور المنتشره فى اقطار حياة البشر الثقافية والحضارية لقام بهذا الامر دون عناء وتعب.

لماذا نمد ايدينا دون جدوى نحو السماء نشكو ظلم بنىاسرائيل واعوانهم و انصارهم؟ لماذا نحدق فى السماء لنزول معجزة ترفع عن ايدينا وارجلنا القيود و الاغلال؟ السماء لم تنصرنا الا بعد قيامنا فى الارض.

أننا أسندنا جميع العلل المؤديه الى الحبس والابتعاد الى المحبوس الغائب بحيث نطلب منه المجى ء أيضا.

قال رسول الله(ص) مخاطبا اميرالمؤمنين(ع):

«إِنَّما مثلکَ کمثلِ الکعبَه توتی و لاتاتی»[1]

إن النبى هو كان يسير فى الأزقه والشوارع وكان يدعوا الناس الى دينه بإلحاح والتمنى والترجى وكان يهديهم بنور الهداية الربانية وفى هذا المسار تحمل من الجهال الأحجار والعصى والشماتة ايضا.

١. كفاية الطالب كنجي، ص ٢٤٤؛ التفسير فى النثور ذيل آية «خير البريّه».

إن الولى والامام نعمة لانظير لها لمجتمع مضطر متورط فى صحراء الابتلاء والاختبار ومادام الناس لم يطلبوه للانعتاق والخلاص من الاضطرار والاضطراب ولم يستعدوا لتنفيذ الحدود الالهيه لايمكن لله أن يقوم بتقديمه للناس.

كما أن أهل الفسق والفجور قتلوا الرجال من أئمة اهل البيت الرجل تلو الآخر نسلا بعد نسل وناموا فى بيوتهم مطمئنين دون أن يعلموا بفرح وسرور إبليس.

قال رسول الله(ص) فى كلام آخر لأبوذر الغفارى:

«مَثَلُ عَلىٌّ فيكُم ـ فِى هذهِ الامَةُ ـ كَمَثَلُ الكَعْبَةِ المَسْتُوْرَةُ، النظّرُ اليها عِبادِهِ وَ الحَجُّ اِلَيْها فَريضَةُ» [1]

اعلن رسول الله(ص) بانه ينبغى للناس أن يذهبوا الى الكعبه المستوره لا أن تأتى الكعبة الى الناس وأن الحركة والذهاب نحو الامام المبين فريضة كالذهاب الى حج بيت الله الحرام.

البعيدون عن الكعبه المشرفه ينبغى لهم أن ينقذوا أنفسهم من آفات الحياة الصحراويه لكى ينالوا شرف الحضور فى مسجد الحرام كما قال رسول الله(ص) لأميرالمؤمنين(ع): «إذا لم يأتيک الناس فابقى فى البيت.»

روي عن أبيالحسن موسى، عن أبيه(ع) أن رسول الله(ص) عند الوصيه قال لعلي(ع):

فَإنّمَا مَثَلُکَ فِى الْأُمّةِ مَثَلُ الْكَعْبَة نَصَبَهَا اللّهُ لِلنّاسِ عَلَماً وَإنّمَا تُـؤْتَى مِـنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَنَأْىٍ سَحِيقٍ وَلَا تَأْتِى وَإنّمَا أَنْتَ عَلَمُ الْهُـدَى وَنُـورُ الـدّيْنِ وَهُوَ نُورُ اللهِ.» [2]

---

۱. مجلسي، محمّدباقر، بحارالأنوار، م ۳۸، ص ۱۹۹.
۲. نفس المصدر، م ۲۳، ص ٤٨٣.

يقام كل عام من بدايته حتى نهايته فى شتى أنحاء العالم الاسلامى و بين المسلمين آلاف المؤتمرات والاجتماعات العلمية والثقافية والدينية وللاسف لم يتحدث احد حول هذا الامر شيئا أن كيف يمكن لنا أن نجد الامام المنجى وكيف يمكن لنا أن نذهب اليه حتى نتمكن من النجاة من الحياة الصحراويه بفضل عنايته وتوجيهاته الربانية.

كل المساعى تبذل فى مجال ايضاح ووصف وشرح كيفية الحياة والبقاء فى الصحراء وتسهيل الحياة الصحراويه ولهذا لم نجد أى منفذ لكى يسطع منه نور النجاة والخلاص على الساكنين فى الحياة الصحراوية.

كيف لم نسئل عن طريق النجاة مع أننا مضطرون؟ لماذا نستخدم اسم وذكر النجاة فقط لكى نزين به حياتنا الصحراويه؟

ولهذا فان هذا السير والسلوک يسلب الفرصة من المتورطين فى الصحراء ويتم تسليم جميع هذه الفرص للمنافس ويؤدى الى المزيد من الانفعال بين الناس وفى النهاية هزيمتهم فى مقارعة العدو الحاقد للانسانية والاديان.

أ وليس المستكبرون على مر جميع القرون المنصرمه حكموا المستضعفين بظلم و جور؟

أن السير والسلوک المنفعل يؤدى لامحالة الى الهزيمة. جميع الحركات المنفعلة تؤدى فى النهاية الى انتصار العدو الظالم. ان الطغاة حكموا دوما من خلال هذا المسار على المستضعفين وانتصروا عليهم.

لابد للحركة أن تتم فى مسار البحث عن المنجى ومفتاح الفرج.

عند مواجهة الخوارج تحاور ابن عباس معهم نيابة عن اميرالمؤمنين(ع) ونقل ما قاله الخوارج الى الامام(ع). الخوارج عند احتجاجهم اعتبروا الامام بانه قد أهدر

الوصاية وأجابهم الامام على(ع) قائلا: » اما قولكم، كنت وصياً فضيعت الوصايه فانتم كفرتم و قدمتم علي غيري و ازلتم الامرعني، و لم اك كفرت بكم، و ليس علي الاوصياء الدعاء الي انفسهم فانما تدعوا الانبياء الي انفسهم، و الوصي مدلول عليه مستغن عن الدعاء الي نفسه، ذلك لمن يؤمن بالله و رسوله، و قد قال الله تعالي: «ولله علىالناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا» فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم اياه و لكن كانوا يكفرون بتركه لان الله تبارك و تعالي قد نصبه لهم علماً و كذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله(ص): يا علي انت بمنزله الكعبه يوتي اليها و لاتأتي.»[1]

إن الضرر الناجم عن عدم رجوع الناس الى الامام وعدم دعوتهم اياه كما قال اميرالمؤمنين(ع) هو الابتلاء بالكفر كما أن التارک للحج يبتلى به.

هذا الامر لم ينقص من شموخ وكبرياء كعبة آمالنا المحبوس فى سجن الغيبه شيئا عندما الناس تتركه وحيدا وتشتغل بحياتها وأكلها وشربها الصحراوى. الناس بظلمهم حالوا دون ان يقوم الامام بواجبه. واجب الامام شرط أن يرجع الناس اليه هو خلاصهم من صحراء الشرک والكفر والنفاق وجميع النجاسات الظاهريه والخفية الناتجة عن البقاء فى صحراء غيرذى زرع.

كما قال النبى الاكرم(ص) فان الامام هو بمثابة حقيقة الحج المتمثل بين الناس الذى يقصدوه الناس من كل فج عميق وأن حقيقة الصوم والصلاة والزكاة ايضا تتجلى فى وجود امام الحق.

الامام الباقر(ع) يذكر الولايه بمثابه مفتاح الصلاة والصوم والحج والزكاه كما جاء فى رواية شهيرة عنه:»

---

[1]. ابومنصور طبرسي، الاحتجاج، تحقيق شيخ ابراهيم بهادري و شيخ محمّدهادي، ج ۱، ص ٤٤٢ ـ ٤٤٦.

بنـي‌الاسلام علـي خمس: الصلوة و الزكوة و الصوم و الحج و الولايـة و لـم ينـاد بشيء كما نودي بالولاية» [1]

فى الحقيقة إن الصلاة والحج والصوم والزكاة دون الولاية ليس لها ظهور ولم تظهر جميع بركاتها وآثارها.

إن الاركـان الاربعـة الاخـرى دون الولايـة لـيس لهـا معنـى والولايـة هـى التـى ترشدها و تقوم بتوجيهها.

قال المعصوم(ع):

«أما لو أن رجلا قام ليلهُ وصام نهارهُ وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولـم يعرف ولاية ولى الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له علـى الله عزوجل حق فى ثوابه ولا كان من أهل الايمان.»

مصير الذين ليسوا هم بمسلمين واضح. نحن هنا نتحدث عن أُناس يعيشون فى البلاد الاسلاميه باعتبارهم مسلمين.

إقامـة الصـلاة وأداء فريضـة الحـج لـم تـتم إذا لـم يـتم التعـرف علـى ولـى الله الاعظم(ع) ولم تبدء الحركة نحوه.

ولى الله هو الذى يمنح للصلاة والصيام المعنى الحقيقى لهما. ولى الله هو التمثال الحقيقى للصلاة. الامام هو باطن جميع هذه الاعمال والناس يؤدون ظاهر الصلاة فقط ولهذا يقول الامام المعصوم(ع) ما كان على الله عزوجل حق فى ثوابه. ما هى حصة الذى يقيم صلاة ظاهرية فقط تفتقد الى المعنى والروح ويركع ويسجد و هو يمر فى غفلة عن حقيقة الصلاة؟

---

[1]. كافي، ج ۲، ص ۱۷.

إن الصلاة لاتتم إقامتها إلا وفق ما يقوم بها الائمة المعصومون(ع). نحن نقرأ الصلاة ولكن لم نقيمها. إن اقامة الصلاة والزكاة مرهونة بالرجوع الى حقيقتهما. نحن عندما نؤدى ظاهر العبادات مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة فى الحقيقة فقد تأدبنا بالأدب الالهى ولم نكن من أهل التعنت والاستهتار وجرى الذكر فى قلبنا وإنها ممارسة لكى نستعد لضيافة حقيقة هذه الاعمال وهو صاحب الامر والزمان(عج). إنها حركة لو تتم بشكل صحيح ستأخذ صاحبها معها من الظاهر الى الباطن.

قال الامام الرضا(ع):

«نحن من أجل رسول الله(ص) لنا حق عليكم وايضا لكم حق علينا. إذا ما أديتم حقنا فنحن ايضا سنقوم بواجبنا تجاهكم.»[1]

إن درک ومعرفة الامام والرجوع إلى امام مفترض الطاعة منصوب من قبل الله سبحانه وتعالى يوفر الارضيه لكى نشاهد الحقيقة والتمثال المشهود لاعمالنا العبادية كالصوم والصلاة.

كل هذه الامور توفر فينا الاهلية لكى نرى باطن وحقيقة الصوم والصلاة شرط أن نتوجه الى ولى الله الاعظم ارواحنا له الفداء.

إن الرجوع الى الامام من واجباتنا إذا ما تم فان الامام سيجد مجالا لكى يقوم بواجبه أى يهدينا الى سبيل الرشاد. هنا سأُشير الى ما ذكرته فى البدايه.

أن سر الكامن فى خلق الجن والانس فى الارض هو تحقيق النجاح والفلاح وإن هذا الفلاح والنجاح ونيل المراتب الرفيعظ من المعرفة والخلاص واجتياز الحواجر والعقبات الموجودة فى البرزخ والقيامة كلها لاتتحقق الا من خلال معرفة الامام المبين وإجتياز سبيل المعرفة الالهية والدخول من باب الله وإذا أردنا أن نقوم بتنظيم

---

١. المفيد، الارشاد، ص ٣١١.

جميع شؤون الحياة الجزئية منها والعامة و تنظيم جميع الاواصر والعلاقات المتعلقه بالله سبحانه وتعالى علينا أن نكون من اتباع ومرافقى الامام المخلصين.

عدم وصول شؤون حياتنا الدنيوية والاخروية للغاية المطلوبة كما نشاهد و نرى نابع عن ابتعادنا وتغافلنا عن سبيل النجاة.

ولهذا علينا ان نعتبر الحوار المهدوى الولائى بانه الركن الاهم والرئيسى لجميع الحوارات القصيرة والطويلة للعارف والعامى وإنه أهم موضوع إذا تم التعرف عليه فسيتم التعرف على طريق النجاة ايضا وإذا لم يتم التعرف عليه ولم يدرج فى بداية قائمة جميع الحوارات فان جميع التدابير التى تتخذ من أجل تحسين المعاملات والعلاقات بين الخلق لم تثمر عن شى ء بل العكس هو الصحيح كما قال الشاعر:

عكس ما كنا نتوقع فإن الزنجبيل زاد من الصفراء

وزيت اللوز زاد من جفاف البشره

فان اعمالنا وتدابيرنا زادت اوضاعنا و امور حياتنا تعقيدا.

غيبة الامام اصبح رزقنا المقدر وهو نتيجة اعمالنا. كما أننا نفكر بأرزاقنا الماديه الظاهريه ولم نغفل عنها ساعة لابد لنا أن نفكر برزقنا المعنوى الحقيقى والذى هو سببا لنزول الارزاق الماديه والثقافيه.

نتيجة لتغافلنا عن حقيقة الرزق وسبب نزول جميع النعم فان الحديث بهذا الشان بين الناس يبدو غريبا والناس لم تستوعب العلاقه التى جميع هذه الامور معا.

عادة نحن يوميا نتحدث عن الشرب والأكل كما قال الشاعر الايرانى سعدى عليه الرحمه:

عمرنا **الثمين مضى فى أن**

ماذا نأكل فى الصيف وماذا نلبس فى الشتاء

إن الشيطان اللعين سمسار الظلم والفساد قد خطف منا فرصة النيل من مصدر الرزق والخلاص.

والسّلام عليكم و رحمة الله و بركاته

الزيارة الحمراء

في كل سنة وفي آخر عشرة من شهر صفر وفي يوم الأربعين بالذات، تتوجة الأفئدة مرة أخرى نحو «كربلاء» وعاشوراء ونهضة أبي عبدالله الحسين(ع). وكأن عاشوراء وواقعة الطف، تكتسي معنى آخر مع الأربعين ويبرز وجها آخر لها.

ومع الأربعين، تخرج عاشوراء الحسين(ع) من «نينوى» لتنتقل إلى السهل الشاسع لصدور الناس، ومن هناك إلى ميدان التاريخ لتجتاز جميع الإفتراضات والحدود الزمانية والمكانية.

وعندما ترتفع شمس يوم الأربعين، وكما هو تقليد في التشيع، وكما أعلنه الإمام الحسن العسكري(ع) وجعله علنيا، كعلامة وشارة، فان زيارة الأربعين تتألق وتتوهج ليلقي الزائر من قريب أو بعيد السلام والتحية ويبدي التأدب للساحة القدسية للإمام الحسين(ع) وسائر شهداء سهل كربلاء ويقول:

وَقَلْبى لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ!
وَاَمْرى لاَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ!
وَنُصْرَتى لَكُمْ مُعَدَّةٌ!
حَتّى يَأذَنَ اللهُ لَكُمْ!

فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ...[١]

ومن هنا أقول؛ إن اكتساب السمة الحسينية وكل ما يجب أن يتعلمه نصير الحسين(ع) من مدرسة عاشوراء، يفتتح مع الأربعين. إن كل ورقة من هذا الدفتر الذهبي تتقلب حتى وقت القيام والظهور المجدد للإمام الحسين(ع) في هيئة ولباس ابنه، الإمام المهدي، أرواحنا له الفداء، إلى أن تكتمل النهضة غير المكتملة لعاشوراء عام ٦١ للهجرة. ولهذا السبب فان حياة الشيعة وكون المرء شيعيا، تكتسب معنى في ظل الأربعين ومع الزيارة، وتنحو منحنى ومن ثم تسير كنهر ينبع من عاشوراء في مجراه.

إن الأربعين، يوصل الحسين(ع) بالإمام المهدي(ع) ويوصل عاشوراء بوقت الظهور لكي يجد الشيعي الحسيني والمهدوي في أرضية التاريخ الملتوية، بداية ونهاية سيره وسلوكه وسفره في مضمار التاريخ.

ومن هو ليس بزائر لن يكون حسينيا ومن ليس بحسيني، لن يكون مهدويا. إن الأبتر يسير عبثا في بيداء الأرض.

ومع الزيارة والأربعين، يتخلص الزائر من الإنفعال والركود والغفلة، ويتحرر من الإنحراف، في المنعطفات المهمة التي يتحول فيها عموم الناس بحيرة واندهاش، إلى لقمة سائغة لمكر ابليس ويصبحون في خدمته.

وفي سنة زيارة بيت الله الحرام، يجد المسلمون فسحة لتزكية النفس، والتحرر من عبودية الأنانية ويلتقطون الأنفاس من خلال تجديد الحياة المعنوية، إلا أن التخوف من الخطر والخشية من التهديد، قد تمنع الزائر من شد أمتعته للسفر تشوقا

---

١. زيارة عاشوراء.

وحبا، في صحراء الحجاز، ومع ذلك وحسب ما ذكر عن سنة زيارة كربلاء الحسين(ع)، فان أي تخوف من الخطر وحتى الخوف من الموت، لا يمكن أن يحول دون سير وسفر الزائر في جادة كربلاء.

وقد نقل الشيخ المفيد (رض) والشيخ الطوسي (رض) رواية عن الإمام الحسن العسكري(ع)، تعتبر زيارة الأربعين علامة من العلامات الخمس للمؤمن:

«عَلاَمَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ صَلاَةُ إحدى وخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الأَرْبَعِينَ وَالتَّخَتُّمُ فِي الْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.»[١]

إن تأكيد الأئمة المعصومين، أضفى طابعا خاصا على زيارة الإمام الحسين(ع)، لكن ليس من أجل التكفير عن الذنوب وكسب رضا الله وغفرانه في المحشر، بالرغم من أن كل هذا يحصل على اثر الزيارة.

وخروج الإمام الحسين(ع) من المدينة، قبل أن يأتي من أجل إيصال الفائدة للناس، جاء من أجل إحياء سنة رسول الله(ص) والحد من تحريف الدين وكذلك طرد الطاغوت الغاصب من الخلافة وبالتالي إخراج الناس من «العهد الظالم»، والا فان الإنسان ومن أجل تجربة حلاوة نعمات الجنة، ليس مضطرا لتجربة كل هذه الصعاب على طريق زيارة كربلاء.

وهل لاحظتم أن مراسم الأربعين، بعد الإستشهاد، تقام للإمام الحسين(ع) فحسب؟

إن عودة من تبقى من قافلة الإمام الحسين(ع) بعد رحلة الكوفة والشام العصيبة، إلى كربلاء، توصل المتبقين من قافلة الشهداء بالحسين(ع) والحياة الحسينية وتمهد لجريان الحسين(ع)، ومن هنا فان زينب الكبرى (س) تصبح بعد الحسين(ع) مفسرة معنى الحياة.

---

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٤.

إن نهضة وجهاد الحسين(ع) ورغم ثمنها الباهض والمكلف والتي كانت خارجة عن عهدة مجمل خلق العالم ورغم فرض أحلك المصائب والمحن على آل الله، تكتسب معنى من خلال إحياء التعاليم والشعائر عن طريق الأربعين والزيارة وتواصل عاشوراء مع النهضة العالمية المكملة التي تجعل دم الحسين(ع) يؤتي أكله.

ومن هنا فان الزيارة تجعل نهضة الحسين(ع) لا يلفها النسيان وتؤرق أعداء الحسين(ع) والحسينيين وتحول دون استحالتها واضمحلالها في أنماط التوجهات الثقافية والحضارية الظالمة طوال التاريخ.

عن أبان بن تغلب قال: «قال لى الإمام جعفر الصادق(ع) يا أبان متى عهدك بقبر الحسين(ع) قلت لا والله يا ابن رسول الله ما لى به عهد منذ حين قال سبحان ربى العظيم و بحمده وأنت من رؤساء الشيعة تترك الحسين لا تزوره.»[1]

إن زيارة الحسين(ع) هي بمثابة التواصل المستمر مع الحسين(ع) والإعلان عن البقاء مع الحسين(ع) وإدامة الحضور في قافلة الحسين(ع)، وإلا فان من ينفصل عن الحسين(ع) فانه ينفصل عن القافلة وبذلك فانه سيقع في شرك جيش الشام عاجلا أم آجلا.

وفي الكثير من الروايات، أكد عظماء الدين على أهمية زيارة الإمام الحسين(ع) بقولهم:

من كان قادرا على زيارة الحسين(ع) ولم يزر، فانه يكون عاقا للنبى الأكرم(ص) والأئمة.[2]

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

---

١. كامل الزيارات، ص ٣٣١.
٢. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٣٣، ح ٢.

«زيارة الحسين بن على واجبة على كل من يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجل»[١]

وعن معاوية بن وهب عن أبى عبدالله(ع) قال: قال لى يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين(ع) لخوف فإن من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان عنده ... .»[٢]

وثمة الكثير من الروايات حول ضرورة الإهتمام بزيارة الإمام الحسين(ع). وهذا الإهتمام لم يرد بشأن زيارة أي من الأئمة المعصومين(عليهم السلام) وحتى زيارة بيت الله الحرام، بحيث أن عدم الإستطاعة المالية وعدم الإستطاعة الجسدية وعدم توافر الظروف البيئية مثل أمن الطرق يمكن أن يحول دون زيارة «بيتالله الحرام» أو مشهد سائر الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، لكن هذه المعوقات لا يمكن أن تحول دون زيارة أبي عبدالله الحسين(ع).

وعلى امتداد التاريخ، صب أعداء الانسان والأديان، جل اهتماماتهم على وضع عوائق على طريق زيارة كربلاء، بحيث أنهم هدموا مرارا قبور شهداء كربلاء وضريح الإمام الحسين(ع) وحتى أنهم حرثوا أرضها.

و سئل الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام، أنه من الأفضل؟ أرض مكة أم أرض كربلاء؟

فقال عليه السلام:«إنّ أرض الكعبة قالت: مَن مثلى، وقد بنى بيت الله على ظهرى، ويأتينى الناس من كلّ فجّ عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟

فأوحى الله إليها: أن كفّى وقرّى، ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الإبرة غمست فى البحر فحملت من ماء البحر.»[٣]

---

١. المصدر السابق، ص ٣٤٦، ج ٥.
٢. كامل الزيارات، ص ١١٧.
٣. سفينة البحار، ج ٧، ص ٤٦١.

وبناء على ذلك يمكن القول، أنه على الرغم من الخوف على النفس والخوف من وجود المخاطر، فان تكليف الزيارة لن يرفع. ويمكن مشاهدة نماذج من المؤمنين في نصوص التاريخ، تعرضوا للتعذيب والسجن وحتى فقدوا عضوا من أعضاء جسدهم من أجل زيارة أبي عبدالله الحسين(ع).

إن حياة الشيعة وديمومة حياة الدين التوحيدي، تجد معناها في زيارة أبي عبدالله الحسين(ع)، ومن دونها، لن يبقى شئ من حقيقة الاسلام وحقيقة الإيمان والتشيع.

وفي هذه الزيارة، وكما ورد في نص زيارة الأربعين، فان الزائر يسلم قلبه وأمره ونصرته إلى من يتوجه إليه بالزيارة أي الحسينبن علي(عليهما السلام). إنه يصبح عمليا ونظريا، زائرا ويُدخل على طريق تأدية الحق والوفاء بالعهد، مجمل نصرته في أمر أهل البيت(عليهم السلام) لاسيما إمام العصر والزمان(ع).

وطوال رحلة زيارة الإمام الحسين(ع)، إن انتبه الزائر إلى روح الزيارة، يجد أن هذا التكليف يثقل كاهله ومن أنه يقوم في حضرة الإمام الحسين(ع) بوصل قلبه الذي يصنع مجمل عهده وميثاقه وآصرته فضلا عن أمره الدنيوي والأخروي في مجمل علاقاته وتعاملاته الفردية والجماعية بالحسين(ع) ومدرسته وانتفاضته، ويوظف مجمل قوته وطاقته لنصرة الحسين(ع) لكي تتحقق بذلك المهمة الخطيرة للزيارة.

وبهذه الطريقة وحدها تتاح إمكانية الإبقاء على طراوة هدف الإنتفاضة ومعنى النهضة. وهو الأمر الذي تتوقف عليه حياة الاسلام وحقيقة الدين المحمدي.

ويمكن مشاهدة تجلي هذا المعنى في رفع الراية الحمراء للانتفاضة والشهادة على قبة وضريح الإمام الحسين(ع).

لقد كان العرب منذ العصور السالفة وقبل الاسلام وبسبب عصبيتهم وطبعهم الهائج يخوضون حروبا وصراعات ضد بعضهم لبعض لاسباب وذرائع مختلفة ولم يكونوا يكفوا عن الحرب إلا في الأشهر الحرم الأربعة بما فيها محرم. وفي تلك الأشهر ومن أجل أن يعلنوا لأنفسهم والقبيلة الخصم، بان وقف الحرب لا يعنى إنتهاء الحرب نهائيا، كانوا يرفعون راية حمراء على خيمهم في مخيماتهم، وكانوا يستلون السيوف من أغمادها فور انتهاء الأشهر الحرم.

إن الراية الحمراء المرفوعة على قبة وضريح الإمام الحسين(ع) تعلن، إنه على الرغم من أن الحرب قد توقفت على ما يبدو وأن شهداء سهل نينوى قد ووروا الثرى، لكن الحرب مازالت قائمة على قدم وساق وأنها ستستأنف بمجرد زوال العقبات وتوافر أول فرصة، بحيث أن الصورة التامة لهذه النهضة ستتجسد مع ظهور الطالب بدم الحسين(ع) أي إمام العصر(ع).

إن الزائر يحيي الراية الحمراء للنهضة في قلبه من خلال القول «وَقَلْبِى لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَاَمْرى لاِمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ وَنُصْرَتى لَكُمْ مُعَدَّةٌ.»

إن الزيارة الحمراء تعني أنه على الرغم من أننا قد وضعنا السيوف جانبا، لكننا نحتفظ بجهوزيتها للقتال، وننتظر رفع معوقات النهضة لندخل الساحة مرة أخرى ونكمل النهضة غير المكتملة.

وكيف يمكن للذي غادر الحرب وبعبارة أخرى وكما يقول الإمام الصادق(ع) تخلى عن الإمام الحسين(ع) وانهمك في العيش والحياة، أن يدخل ساحة القتال مرة أخرى مع انطلاق صوت نفير الحرب؟

إن الزائر يرفع الراية الحمراء بجهوزية تامة للمجاهدة و الإنتفاضة.

ويتذكر الشيعي في كل حياته هذه العبارة «أين الطالب بدم المقتول بكربلاء»، أي أنه يقول متى ترفع وتزول القيود والمحظورات حتى يتسنى للمرء دخول ساحة قتال آخر لإبادة أبناء ابليس بالتبني والقضاء عليهم؟ وفي الحقيقة فانه إن تخلى عن السيف فانه لم يؤد الزيارة ويكون كالإنتهازي الذي يفكر بغرف الجنة، لكنه يضحي بالحقيقة في سبيل التجارة.

ثمرة الزيارة

إن كسب الثواب الأخروي، هو فرع للزيارة والطفيلي هو المقصود الرئيسي للزيارة. وهذا يشبه أن يظن أحدهم بان هؤلاء الرجال الشجعان، خاضوا المعركة واستشهدوا من أجل غفران ذنوب وسيئات الناس. وهذا الإستنتاج الخاطئ للمسيحيين الذين يعتبرون أن المسيح(ع) هو فدية لقطيع الناس المذنبين. ومن هنا أقول أن سر جزء كبير من إنفعال وعجز المسلمين، مرده توجههم وموقفهم من زيارة الشهداء. وفي الحقيقة، فان هؤلاء لا يؤدون الزيارة ولا يذهبون لتأدية الزيارة. ويوظفون في تعامل أحادي الجانب، الشخص الذي يريدون زيارته، في خدمة هواجسهم وحاجاتهم. ولهذا السبب قلت أنهم لا يذهبون إلى الزيارة، كما أن مفهوم «و قلبى لقلبكم سلم» و «نصرتى لكم معدة» غير باد في زيارتهم كما في نظرهم وعملهم. وقد نستطيع التساؤل من أنفسنا ومن أصدقائنا الذين يهرعون إلى كربلاء زرافات ووحدانا وفي حشود مليونية ومشيا على الأقدام في إطار التعريف الذي بيناه عن «الزيارة الحمراء»، كم منهم ذهب إلى الزيارة؟ فالرد على هذا السؤال ليس غامضا وخفيا.

وكيف أن مجموعة منا، خذلت الحسين(ع) في وقت الرجوع وعدنا إلى ديانا و مدينتنا؟

وكيف أن شعار «ونصرتي لكم معدة» لا يتبلور في عمل ونظر الكثير من الزائرين، وكأنهم عادوا من كربلاء إلى حياتهم من دون الحسين(ع) لا أن يذهبوا من الحياة إلى كربلاء مع الحسين(ع).

والحديث لا يدور حول أنه لايجب ممارسة الحياة، بل يجب معرفة أن الحياة هي ذات مغزى تتجسد في جغرافيا «الدعوة إلى الحق والجهاد.»

والحياة بلا جهاد على درب الإمام الحق، تشبه المقبرة الصامتة الساكنة أكثر منها من الحياة النامية والفاعلة.

وكيف أن قلوبنا وأقلامنا وأقدامنا ترتجف في وقت نصرة الثائر لدم الحسين(ع) ومن يريد مواصلة نهضته؟

وماذا حدث حتى ترتجف قلوبنا وأقلامنا وأقدامنا في وقت التبري من أحفاد وبقايا أعداء الحسين(ع)؟

وهذا الكلام الرفيع أي كان قائله، يتسم بصبغة ورائحة حسينية حينما يعلن» «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.»

وكأن نهضة الحسين(ع) في سهل نينوى قد اتسعت وامتدت عاشوراء حتى شرق العالم وغربه، وأصبح الزمن كله عاشوراء. لقد اتسع الزمان والمكان في الأرض والسماء لمواجهة إبن النبي الخاتم(ص) لإبن ابليس بالتبني.

فكل يوم عاشوراء، عندما فتح عام ٦١ للهجرة، لم يغلق لكي يتم التعرف على الوجه الرجولي والوجه الغادر إلى الأبد وحتى ذلك اليوم حين يعلن الرجال الشجعان:

«إن كان دينُ محمّد لم يستقم إلّا بقتلى، فيا سيوف خذينى» حينما قالها الحسين(ع) في ذروة عاشوراء.

فهذا ذنب لا يغتفر إن كان زائر الحسين(ع) غير جاهز لخوض المواجهة الكبرى ومواكبة الطالب بدم الحسين(ع).

وألا نقرأ في زيارة الحسين(ع):

«اللهُمَّ الْعَنِ العِصابَةَ الّتِى جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلام وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ. اللهُمَّ الْعَنْهم جَميعاً.»[1]

إن زائر الحسين(ع) وبعد الزيارة، يستهدف الذين شايعوا وبايعوا وتابعوا أئمة الكفر والشرك والنفاق.

إن التبرّي يجب أن يجري، مثل دم الحسين(ع) الذي لا يجف ويصبح أكثر طراوة وجريانا في كل ظهر عاشوراء، لكي يرتعد الظالمون خوفا ووجلا في كل الأرض وفي جميع الأيام.

ولهذا نرى أن النبي الأكرم(ص) قال:

«إنّ لِقَتلِ الحُسَينِ حَرارَةً فى قُلوبِ المُؤمِنينَ لا تَبرُدُ أبَداً.»[2]

إن خالق الحسين(ع) هو الذي يريد أن تبقى حرارة هذا الدم وطراوته حتى وقت استعادة حق الحسين(ع).

إن استعادة حق الحسين(ع) هي استعادة جميع الفرص من عشيرة الظلم، عندما تغتصب السلطة وهذا من حق الحسين(ع) أن يكون الله الطالب بدمه واليد التي تخرج من كُم يا لثارات الحسين(ع).

---

۱. زيارة عاشوراء.
۲. جامع أحاديث الشيعة، ج ۱۲، ص ٥٥٦.

إن من لا يبقى على بيعة الحسين(ع) بعد زيارته لصحراء كربلاء، ولا يمتثل للحسين(ع) ولا يعد لنصرته، فانه لم يزره في الحقيقة. ولذلك فاننا نتوجه إلى المتخاذلين عن الثأر لدم الحسين(ع) ونعلن:

يا زوار ديار الحسين(ع)! كيف أعددتم نصرتكم؟ وكيف امتثلتم لسنة الزيارة، فيما أنتم تائهون في صحراء الحياة من دون الحسين(ع)؟

وكيف فضلتم أمور دنياكم في كل التعاملات والعلاقات الفردية والجماعية على مطلب الحسين(ع) ونهج الحسين(ع)؟

هيهات! لأن الزيارة جرت لا في متن حياتنا بل على هامشها.

إن الحسين(ع) لم يدخل الساحة إلا من أجل ما طلب منه ربه، وسلم جميع أمره إلى الله ودخل الميدان واعلن بشجاعة تامة «فيا سيوف خذيني.»

إنه ذهب إلى آخر حد من الإيثار والتضحية في وقت غياب الحق على امتداد علاقات وتعاملات الناس ومن أجل المطالبة بحق الله وحق رسول الله(ص).

إن الحسين(ع) كان يعلم جيدا بان الله تعالى، يتكفل هو المجاهد الذي يدخل ساحة القتال للمطالبة بحق الله وإحياء امر الله.

عن الباقر(عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزوجل: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتت أمره، ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم اوته منها إلا ما قدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة.[1]

١. الطبرسي، عليّبن الحسين، مشكاة الأنوار، ترجمة هوشمند ومحمّدي، قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ هجري شمسي.

ومن يستطيع ينكر أن مجمل مجئ وذهاب أول وآخر خلق الله ومجمل إنزال الكتب وإرسال الأنبياء يجد معناه في مسار تحقق الدولة الكريمة لأهل بيت خاتم الأنبياء(ص) وإن إرادة الله قائمة على دعم وحماية تأسيس الدولة المهدوية في آخرالزمان.

إن من تطأ قدماه خارج بيت الغيبة على مسار أكبر مطلب وإرادة لله تعالى لكي يرفع راية يا لثارات الحسين والبيعة لله في كربلاء مساحتها مساحة الأرض وعاشوراء بجسامة عصر الظهور، فانه هو الطالب بدم الحسين(ع)، ومن هنا أقول:

إن زائر الحسين(ع) لايفكر إلا بالزيارة الحمراء وأن حياته لاتكتسب معنى إلا من خلال الزيارة الحمراء.

إنه يعرف جيدا، أن من يتكفل جميع أموره الدنيوية والأخروية ويرتب كل جزء وكل من حياته، هو الله الذي يدعو الجميع للتجمع تحت الراية الخضراء لوصي نبي آخر الزمان(ص).

وكم مؤسف أن زائر كربلاء، يعود بعد الأربعين مرة أخرى وأخرى يبحث عن حاجاته ويجعل نفسه متكفلا لأموره.

ولهذا فان التعقيد يفرض نفسه على حياتهم كل يوم أكثر من ذي قبل، وكأن قوتهم ورزقهم وضع على ظهر غزال يجوب الصحارى والبراري، وهو يركض خلفه حاسر الرأس وحافي القدمين، ويقاسي من ألم الشوك والصخور.

إن هذا الكلام، لا يعني الإقلاع عن الجهد والعمل لكسب الرزق والمعاش، بل يجب العمل في هذا الإتجاه والنية والجهوزية للإنتفاضة.

وإن كان الأمر غير هذا، فان أعماله لن يكون لها بركة مهما ركض وعمل. إن البركة تتحقق مع الصاحب الرئيسي للرزق وبرضاه. إن الصاحب الرئيسي للرزق هو الله الواحد الأحد، وأن الوسيط الواضح والخفي للرزق هو إمام الزمان(عج).

«و رُزِقَ الوَرى.»

وعندما يكون الله صاحب الرزق والرزق بيده والعالم متعلق به وقد خلق العالم له ولأسرته، فان كل شئ يصبح بيده. وعندما نتكفل نحن برزقنا ولا ننتبه إلى هذا الأمر المهم، فاننا نرزق كرزق العصفور.

وليت نقول من أعماق القلب والروح:

أيها الطالب بدم الحسين، ونصرتى لكم معدة.